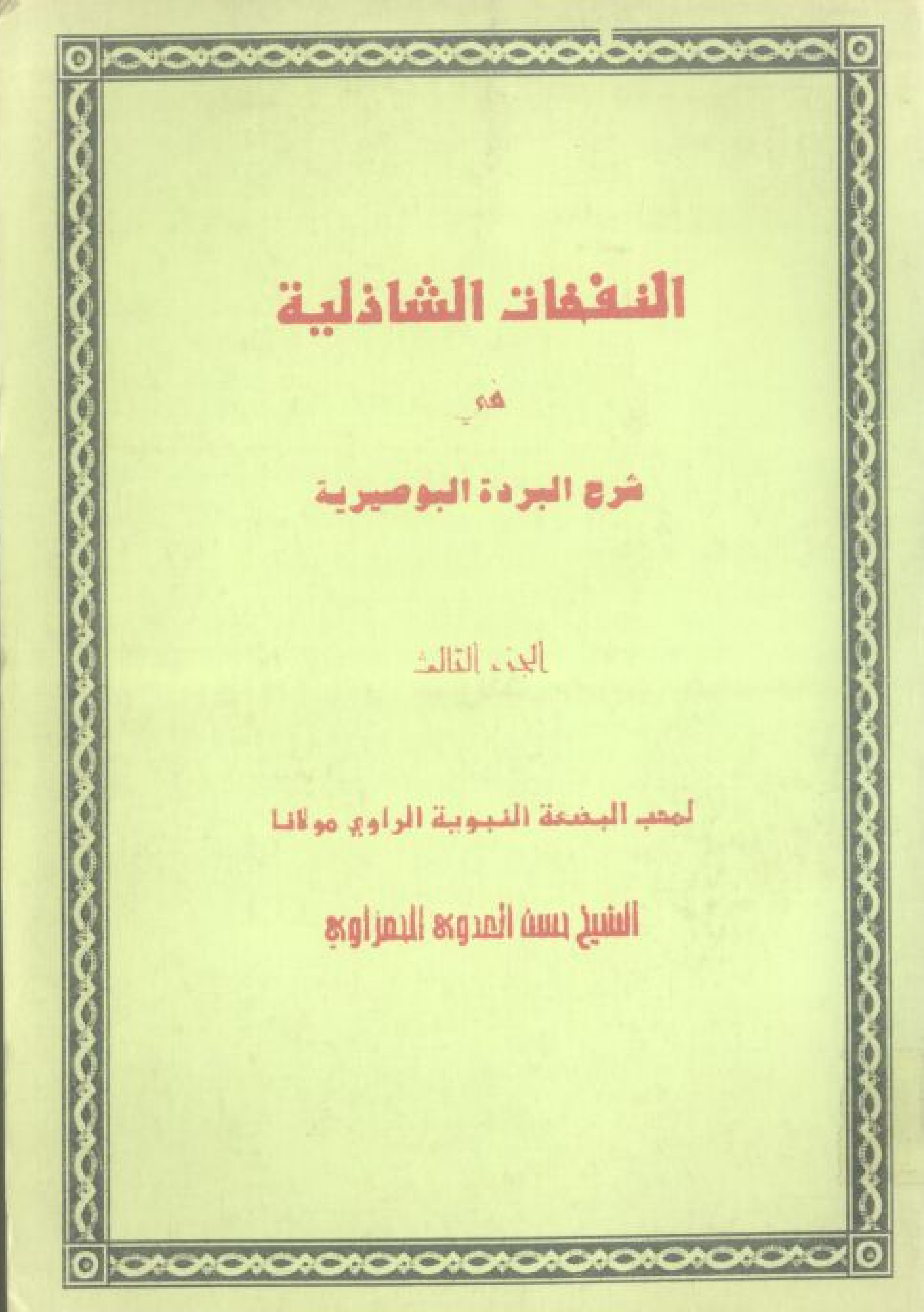


النفحات الشاذلية

في

شرح البردة البوصيرية

الجزء الثالث

لمحب البضعة النبوية الراوي مولانا

الشيخ حسن العدوي الحمزاوي

النفحات الشاذلية

في

شرح البردة البوصيرية

الجزء الثالث

لمحب الحضرة النبوية الراوي مولانا

حسن عدوي حمزاوي

الشيخ حسن العدوي الحمزاوي

١٣٠٣

حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى كان أحد أبويه من بوصير الصعيد والثانى من دلاص فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيرى ثم اشتهر بالبوصيرى قيل ولعلها بلد أبيه فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة وأخذ عنه الامام أبو حيان والامام اليعمرى وأبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفى سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزى لكن صوب شيخ الاسلام العسقلانى انه توفى سنة أربع وتسعين وستمائة ذكره الشهاب بن حجر فى شرح همزية المديح النبوى لصاحب الترجمة وقال السيوطى فى حسن المحاضرة شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدلاصى المولد المغربى الاصل البوصيرى المنشا ولد بناحية دلاص فى يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة وبرع فى النظم وتوفى سنة ست وتسعين وستمائة وقال الشهاب بن حجر كان رحمه الله تعالى من عجائب الله تعالى فى النظم والنثر وان لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة لكفاه فخرا على كل من نظم وكذلك قصيدته الهمزية البديعة التى تنقاد لها النفوس الآبية مطيعة قال الجوجرى فى شرحها له النظم الحسن الكثير الذى من جملته البردة ومن جملته قصيدة على وزن بانت سعاد يعنى قصيدة كعب ابن زهير وأول قصيدة البوصيرى

الى متى أنت باللذات مشغول ❀ وأنت عن كل ما قدمت مسؤل

اه وفى شرح الامام الهمام النابغة الاديب والصمصامة البارع الالمعى الاريب مفتى الثقلين وعلامة المشرقين أبى السعود العمادى على البردة ما نصه فان للادب مآدب فوائد تغذى القلوب والارواح ومشارب عوائد تهتز منها أعطاف أهل الذوق والارتياح الى ان قال وان زبدته وخلاصته وسلافته أعنى الكلام المقفى المخيل الموزون الذى من شأنه جلب السرور واماطة الشجون الطباع السليمة تميل اليه والاذهان المستقيمة تحوم حواليه والافكار الانيقة وقفت عليه الى ان قال وكفى شاهدا على ما ألقيته اليك ووضعته بين يديك ما جاء به الشيخ الاديب والفاضل الاريب شرف الدين محمد بن سعيد الدلاصى المعروف بالبوصيرى المصرى أفاض الله عليه شآبيب الغفران وسقى ثراه من مزن الرضا والرضوان فى قصيدته المسماة بالبردة التى هى عدة فى كل شدة فانك اذا أمعنت النظر فيها مع قريحة وقادة وبصيرة نقادة ألفيتها تأخذ بضبع السالك البر والطير وتلقى العابد الناسك من مهالك الضير الى مدارك الخير أفلا تنظر كيف افتتح بابها بالتغزل والتشبيب المناسب للنفس الامارة فى عنوان الصبا والشباب ثم انتقل منه الى ما يكشف للنفس الامارة عما التهت به ومالت اليه فى ذلك السن فتحقق انه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على انسان عين المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السادات ما دامت الارض والسموات وما فاز محب بمحبة عروس أهل الحضرات (وبعد) فلما تفضل الرحمن باتمام سيرة سيد ولد عدنان عليه الصلاة والسلام وأهل بيته وذريته وبراهين كرامات الاولياء وأهل العرفان شرعنا الآن فى شرح ما سبق به الوعد منا أول الكتاب من شرح البردة تطفلا على موائد خدمة مديح سيد الانام عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام لاسيما سيدهم الجامع بين الحقيقة والشريعة العارف بالله تعالى سيدى محمد البوصيرى الملحوظ بعناية الملك القدسى وبنظرة من شيخه القطب الغوث سيدى أبى العباس المرسى أمدنا الله بمددهم فنقول وبالله التوفيق

ذكر نبذة من ترجمة سيد المحبين المادحين للحضرة النبوية المصطفوية سيدى محمد البوصيرى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به

قال العارف الكبير والعلم الشهير الجامع بين الحقيقة والشريعة سيدى عبد الغنى النابلسى فى شرحه للقصيدة المضرية فى الصلاة على خير البرية هو الشيخ الامام العالم العامل الهمام بحر المعارف الالهية وجوهر الحقائق الربانية امام الشعراء وشاعر الائمة العلماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن

كالسراب والضباب لا يشفي عليلا ولا يسقي غليلا فيسحب على ذلك المقام ذيل الاعراض ويهدم ما شاده فيه بمعول النقض والانتقاض فتصير الامارة لوامة فتقبل على مقام السلامة والكرامة ثم أقبل بعد أن استعدت لي بحسن العقيدة على الاشتغال بمدح صاحب القصيدة وآله الابرار وصحبه الاخيار فيرقى بحب الصالحين ومتابعة المتقين الى مقام النفس الملهمة ويخرج من الجب المدلهمة ثم انه أخذ عما يتعلق بالبدء والمعاد ويهدى الى طريق الرشاد وسبل السداد فيصعد بذلك الى مصعد النفس المطمئنة لتخاطب نفسه يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فهل مثل هذا الترتيب للعاقل اللبيب الاطبيب يسكن من القلوب الوجيب ويوصل المحب الى لقاء الحبيب ولما كانت هذه القصيدة الشريفة والدرة اللطيفة مشتملة على ما أشرت به اليك وأمليته عليك مع كرامات ظاهرات تناسب معجزات صاحبها الباهرات وكانت أفئدة العالمين مشغوفة بتلاوتها وقلوب العارفين مولعة بقراءتها وكانت قد فاقت جميع الاشعار في سائر الامصار بمدح النبي المختار واشتهر من كراماتها ما يغني وضوحه عن التعبير ولاح من آياتها ما يستغنى به عن التقرير والتزبير الى آخر ما قاله رضي الله عنه وقال المحقق ابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية وان من أبلغ ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم من النظم الرائق البديع وأحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع وأجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته وأفصح ما أشارت اليه منظومة من بدائع كمالاته ما صاغه صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر الشيخ الامام العارف العامل الهمام المتفنن المحقق البليغ الاديب المدقق امام الشعراء وأشعر العلماء وبليغ الفصحاء وأفصح البلغاء الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي كان أحد أبويه من بوصير الصعيد والآخر من دلاص بكسر الدال فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيري ثم اشتهر بالبوصيري قيل ولعلها بلد أبيه فغلبت عليه ولد سنة ثمان وستمائة وأخذ عنه الامام أبو حيان والامام اليعمري أبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم وتوفي سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة على ما قاله المقريزي لكن صوب شيخ الاسلام العسقلاني انه توفي سنة أربع وتسعين وكان من عجائب الله تعالى في النثر والنظم ولو لم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة التي تسبب نظمها عن وقوع فالج به أعيا الاطباء ففكر في اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم ثم به الى ربه فأنشأها فرآه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفي لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه رجل صالح فطلب

منه سماعها فعجب اذلم يخبر بها أحدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فأعطيته اياها وقيل انه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقرأ عليه شيأ منها فتفل في عينيه فبرئ لوقته لكفاه ذلك شرفا وتقدما كيف وقد ازدادت شهرتها الى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعاني صناعة الكتابة على الجبايات وباشر بلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب أبا العباس المرسي رضي الله عنه وارضاه وجعل جنات المعارف متقلبه ومثواه فعادت عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى أن فاق أهل زمانه ورزقه الله من الشهرة والحظ مالم يصل اليه أحد من أقرانه فرحمه الله ورضي عنه اه قال الاستاذ العارف الحفني في حاشيته على الشرح المذكور قوله دلاص بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهملة أيضا كورة بصعيد مصر من الجانب الغربي وبوصير بضم الموحدة وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون التحتية وبالراء بلدة بصعيد مصر كذا قيدها في اللباب كأصله وقد اشتهر على ألسنة العامة أبوصير بلفظ الكنية اسم للبلد ويقولون الابوصيري ولا وجه لذلك كذا نقل من خط العجمي وقوله اليعمري بفتح الياء مع فتح الميم وضمها نسبة الى يعمر بن شداخ بفتح المعجمة وتشديد المهملة وآخره معجمة من بني ليث وقوله فأعطيته اياها الذي في كلام غيره فأنشدته اياها وهو المناسب لقوله فطلب منه سماعها فاتفق انها كانت معه فأعطاها له وقوله اشتد رمده الذي رأيته في كلام غيره ان الذي اشتد رمده غير الناظم حيث نقل عن الناظم انه قال ثم بعد ان أنشدتها للرجل الصالح ودعني وانصرف ثم بعد أيام استدعاني الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر وقال أنشدني القصيدة التي مدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم واقسم أن لا يسمعها الا قائما على قدميه مكشوف الرأس فأنشدته اياها فسر بها وكتبها له بيدي فلم تزل عنده متبركا بها يقرؤها في المهمات حتى مات فاستمرت عند ولده فخر الدين ثم حصل رمد لسعد الدين الفارقي تابع فخر الدين أشرف منه على العمى فرأى في منامه من يقول له اما النبي أو غيره امض الى فخر الدين ابن الصاحب واطلب منه البردة وضعها على عينيك تبرأ فلما انتبه حضر بين يدي فخر الدين وأخبره فأخرج له القصيدة فوضعها على عينيه فعافاه الله ببركتها انتهى فالذي أصابه الرمد سعد الدين ويمكن تعدد الواقعة بأن حصل رمد لناظمها فشفي بما ذكره الشارح وحصل لسعد الدين فشفي بوضعها فلا منافاة ولا معارضة اه وقد أوضح هذا المقام باتم عبارة وبلوغ مؤلفه المرام الامام الهمام سيد أهل التحقيق بالاجماع ومظهر فنون البراعة بلا نزاع الامام السعد التفتازاني في شرحه لهذا الكتاب ونصه ومما أحاطت بعلمه الآراء الزاهرة وأشرقت بذكره النفوس الطاهرة

أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثاره والتخلق بأخلاقه والاستضاءة بأنواره انما يتيسر بعد تبين ديادنه وتكشف أسراره وادراك سجاياه ومعرفة أخباره فطوبى لمن جعل مسارح الافكار مفاخر صفاته ومطارح الانظار مآثر سماته وبعد ملاحظة ماجاء في الكتب الالهية من جميل الشيم النبوية تتبع تراكيب البلغاء وتصفح أساليب الفصحاء الذين وشحوا غرر مقالاتهم ورشحوا درر دلالاتهم بشرح شمائل الرسول المثبت بالعصمة وذكر فضائل الحبيب المؤيد بالحكمة الشارح الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل والذين نثروا في اثناء نثرهم النثرة بث مناقبه الفاخرة وأدرجوا في ادراج شعرهم الشعري بكشف مراتبه في الدنيا والآخرة ثم اختار من المدائح والاشعار ماشاهد فيه أثر قبول النبي المختار وطيران صيته في الآفاق والاقطار وسيران ذكره الى اقاصي البلدان والامصار ألا وهي القصيدة المشهورة بالبردة التي نظمها نظام عقود جواهر المعاني مرشح نفائس الحكم الحاكية عن العرائس الغواني بحلي العبارات الانيقة وحلل الاستعارات الرشيقة سمي النبي محمد البوصيري قدس الله تعالى سره في نعت الرسول وانتشر ذكر قبوله اياها انتشار آثار الصبا والقبول كما يحكى ان ناظمه الباذل نفسه مابين معترك الاحداق والمهج قد عرض له عارض الفلج وفي هذه الحالة طلب نظمها فلج وما كان عنده في تلك الايام احد يؤانسه من الانام وكان في مغارة منقطعا عن الخلائق متجانبا عن الديار فأخذ يمدح ثاني اثنين اذهما في الغار فلماتت هذه القصيدة التي لا تنقضي عجائبها على مر الايام ولا تخلق غرائبها على كر الشهور والاعوام ولا يطرأ على غصنها الطري وصمة الذبول ولا يعرض لبدرها المذي ونورها البهي آفة الافول بادر الى السجود للاله متضرعا بين يدي رسول الله قائلا بدمع منسجم وقلب اواه

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ❊ سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ❊ اذا الكريم تحلى باسم منتقم

فان من جودك الدنيا وضرتها ❊ ومن علومك علم اللوح والقلم

وقرأ هذه القصيدة عن آخرها طامعا من بحار عطاياه ركوب زاخرها ثم سلط رب العباد على عينه اليقظى هجوم الرقاد فرأى بفيضان فضل الجناب المطلق الحبيب القائل من رآني فقد رأى الحق ماسحا راحته عليه الصلاة والسلام بالتلطف على أعضائه معطيا لها زاحة جراحة في حوبائه فتنبه رحمه الله سليم الاطراف من أليم دائه وتوجه بطول الامل لعرضها الى الروضة المقدسة النبوية على مشرفها الصلاة والتحية فاذا هو بالشيخ أبي الرجاء الموسوم بالصديق المشهود له بالقطبية على

التحقيق الذى كان منقطعا الى الله تعالى عن أهل طيبة الطيبة سقاها الله كالروضة الغناء بالهعاليل الصيبة يقول الناظم خصه الله تعالى بمشاهدة اللقاء قال الشيخ يامحمد هات قصيدتك الغراء التى أعجزت فصاحتها مصاقع الخطباء وأخرست بلاغتها شقاشق العرب العرباء قلت أى قصيدة تريد ياقطب قاطبة الامم قال التى استهلالها

امن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

قلت من أين حفظته ياأبا الرجاء وماقرأتها على أحد ممن الى جاء قال رأيت البارحة جناب حضرة الرسالة مع جم غفير فى غاية العظمة والجلالة اذجئت متضرعا اليه لعرض قصيدتك عليه فلاقاك بالفرح والسرور مظهرا لذى الحضار من مديحك الحبور واجازك فكنت تقرأوهو يبدى الارتياح ويتحرك استحسانا تحرك الاغصان المثمرة من هبوب نسمات الرياح ولما آل الامرالى اتمامها افتتحت بقراءة المطلع بعد اختتامها فلم تكرر قراءة المطلع وعينه وجميع الامر كما كان رؤيته ثم قصة وصول البردة من الحضرة للصلة مشهورة وحكاية ماشوهد من آثار بركاتها فى الكتب مسطورة واشتهارشأنها العجيب عند جماهير الانام أغنانى عن الاكثار فى وصفها واطالة الكلام ومع مالها من مناقب يعجز القلم عن تسطيرها ومزايا تعيا الالسن عن تقريرها مااتفق لها شرح كاشف لمشكلاتها موضح لمعضلاتها كافل بتوضيح مااستبهم من خفاياها شامل لتبيين مااستعجم من خباياها بتفسير يكشف عن اسرارها وتقرير يتكفل برفع استارها ورأيت النفوس الطاهرة راغبة فى استعلام فوائدها وصادفت الآراء الزاهرة مائلة الى استفهام عوائدها ورأيتها أعزما يرغب فيه ويعرج عليه واهم ماتناخ مطايا الطلب لديه فبعد طلب جماعة من اجلاء الاكياس وثبت من اثبات حذاق الناس شرعت فى شرح لها يتضمن بسط موجزها وحل ملغزها وتفصيل مجملها وتبيين معضلها وبذلت مجهودى فى تصحيح الفاظها وتنقيح معانيها فجاء بحمد الله حريا بأن يكتب ظاهره بالذهب على ألواح الياقوت ويرسم باطنه بالنور على خدود أهل الملكوت والحمد لله افتتاحا واختتاما والصلاة والسلام على رسوله ما نسقت عقود الشهب انتظاما

﴿مقدمة الافتتاح لبداية راحة الارواح﴾ اعلم ان الناظم نظمه الله تعالى فى سلك البررة الكرام افتتح قبل الخوض فى تيار بحار المرام والغوص على جواهر نعوت النبى صلى الله عليه وسلم بمخاطبة نفسه أى ذاته على سبيل التجريد مستفهما عن سبب بكائه الشديد وسائلا عن موجب مزج دموعه بالدم السائل فقال



التحقيق الذى كان منقطعا الى الله تعالى عن أهل طيبة الطيبة سقاها الله كالروضة الغناء بالهاطل الصيبة يقول الناظم خصه الله تعالى بمشاهدة اللقاء قال الشيخ يا محمد هات قصيدتك الغراء التى أعجزت فصاحتها مصاقع الخطباء وأخرست بلاغتها شقاشق العرب العرباء قلت أى قصيدة تريد يا قطب دائرة الامم قال التى استهلالها

امن تذكر جيران بذى سلم ❊ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

قلت من أين حفظته يا أبا الرجاء وما قرأتها على أحد ممن الى بداء قال رأيت البارحة جناب حضرة الرسالة مع جم غفير فى غاية العظمة والجلالة اذجئت متضرعا اليه لعرض قصيدتك عليه فلاقاك بالفرح والسرور مظهرا لدى الحضار من مديحك الحبور واجازك فكنت تقرأ وهو يبدى الارتياح ويتحرك استحسانا تحرك الاغصان المثمرة من هبوب نسمات الرياح ولما آل الامر الى اتمامها افتتحت بقراءة المطلع بعد اختتامها فلتكرر قراءة المطلع وعمته وجميع الامر كما كان رويته ثم قصة وصول البردة من الحضرة للصلة مشهورة وحكاية ماشوهد من آثار بركاتها فى الكتب مسطورة واشتهارشأنها العجيب عند جماهير الانام أغنانى عن الاكثار فى وصفها واطالة الكلام ومع ما فيها من مناقب يعجز القلم عن تسطيرها ومزايا تعيا الالسن عن تقريرها ما اتفق لها شرح كاشف لمشكلاتها موضح لمعضلاتها كافل بتوضيح ما استبهم من خفاياها شامل لتبيين ما استعجم من خباياها بتفسير يكشف عن اسرارها وتقرير يتكفل برفع استارها ورأيت النفوس الطاهرة راغبة فى استعلام فوائدها وصادفت الآراء الزاهرة مائلة الى استفهام عوائدها ورأيتها أعز ما يرغب فيه ويعرج عليه واهم ما تناخ مطايا الطلب لديه فبعد طلب جماعة من اجلاء الاكياس وثبت من اثبات حذاق الناس شرعت فى شرح لها يتضمن بسط موجزها وحل ملغزها وتفصيل مجملها وتبيين معضلها وبذلت مجهودى فى تصحيح ألفاظها وتنقيح معانيها فجاء بحمد الله حريا بأن يكتب ظاهره بالذهب على ألواح الياقوت ويرسم باطنه بالنور على خدود أهل الملكوت والحمد لله افتتاحا واختتاما والصلاة والسلام على رسوله ما نسقت عقود الشهب انتظاما

❊ مقدمة الافتتاح لبداية راحة الارواح ❊ اعلم ان الناظم نظمه الله تعالى فى سلك البررة الكرام افتتح قبل الخوض فى تيار بحار المرام والغوص على جواهر نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بمخاطبة نفسه أى ذاته على سبيل التجريد مستفهما عن سبب بكائه الشديد وسائلا عن موجب مزج دموعه بالدم السائل فقال



ولله دره من قائل

﴿أمن تذكر جيران بذي سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم﴾

أي ما سبب اختلاط دمعك الجاري من مقلتك بالدم اهو من تذكر جيرانك المقيمين بذي سلم أيها المبتلى ببلاء الفراق والمحترق بنيران لواعج الاشواق ما بال دمعك المهراق ممزوجا بدم حوبائك كأن سببه تذكر جيرانك واحبائك نعم من امتطى غارب الاغتراب وفارق اللذة والاتراب ثم تذكر وصل الاحباء والجيران وتذكر في أيام مؤانسته الاصدقاء والخلان كيف لا يجري دمعه ممزوجا بالدم وكيف لا يحترق قلبه بنار الحسرة والالم يا من عبراتك على وجناتك تجول كأنك في مذاكرة أيام وصلهم تقول

سقى الله أيامًا سعدنا بقربكم * وثغر المنى في روضة الانس ضاحك
نعمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت دهرا والعيون سوافك

اما ما يتعلق بالتركيب فبيانه ان الذكر بالضم ما يكون بالقلب وبالكسر باللسان والتذكر يكون بعد النسيان من أيهما اعتريته وأصل جيران جوران لانه جمع جار وأصله جور واضافة التذكر اليه اضافة المصدر الى مفعوله والسلم بفتح اللام نوع من الشجر وروي بالكسر وهو السماع وبذي سلم صفة جيران أي كائنين بمكان ذي سلم ومن الاولى متعلقة بمزجت كالباء في بدم قدمه تنبيها على ان الشك ليس في نفس المزج اذ هو ثابت مشاهد بل في سببه ومن الثانية متعلقة بجرى وهو صفة دمعا والتنوين في جيران ومقلة ودم عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب المراد به الناظم نفسه على ما سبقت الاشارة اليه اهـ قال المحقق مفتي الثقلين الامام ابو السعود في شرحه أقول (اللغة) التذكر والتذكار بمعنى ما يعود خطوره على البال بعد الذهول عنه وقد يطلقان على الخطور مطلقا وقد يرادفان الذكر بالضم والكسر فيطلقان على الاخطار بالخاطر والامرار باللسان وجاء بمعنى الذكرى قال الشاعر * تذكرت والذكرى تهيج زينبا * والجيران جمع جار وهو القريب في المنزل ومؤنثه الجارة ويقال للزوجة لانها تجاور زوجها في محل واحد الى ان قال (والاعراب) الهمزة للاستفهام التقريري كقوله تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان ومن الاولى لابتداء الغاية ويجوز ان تكون للسببية والجار والمجرور متعلق بمزجت وانما أخر العامل وان كان حقه التقديم لارادة الاختصاص وابتداء الاهتمام بشأن المعمول ولان الشك والتردد في سبب المزج فان المزج مشاهد محسوس اما حقيقة أو ادعاء فقدم ليلي أحد الامرين المتردد فيهما حرف الاستفهام فيحصل التعادل بينهما ولموافقة الوضع الطبع فان تذكر الجيران

علة مزج الدمع بالدم والعلة مقدمة على المعلول طبعا فقدمت وضعا ليوافق الوضع الطبع فان قلت ما المتقدم الطبيعي قلت هو أن يكون المتقدم محتاجا اليه المتأخر والا يكون علة كافية في وجوده كتقدم الواحد على الاثنين واضافة تذكر الى الجيران من اضافة المصدر الى المفعول وهي بمعنى اللام وبذي سلم متعلق بجيران لانه بمعنى مجاورين فان أبيت فاتخذه متعلقا بمقدر أعني حالين أو كائنين وعلى كلا التقديرين الباء فيه بمعنى في والجار والمجرور أعني بذي صفة للجيران فان قلت لم نكر جيران قلت ليفيد تنكيره التعظيم وكونهم في مرتبة من الشهرة مستغنية عن التعريف ومزجت على الخطاب والكلام من وادي التجريد كأنه جرد من نفسه مثله متصفا بهذه الصفة مبالغة في اتصافه بها أوانه أنف منها أن تكون نفسه مما اتصفت به من الجزع أو انها رابته بفعلها أو اضطرابها فزعم انها ليست نفسه اذشام منها مخالفا لزمنها السالف أوانه كره ان يبث حزنه على أحد من أهل زمانه اما لعلة عدم الوفاء منهم أو حذرا من شماتة الاعداء أو احترازا عن توهم الشكاية من الاحباء فجرد من نفسه مخاطبا وخاطبه كما صنع امرؤ القيس في قوله

تطاول ليلك بالاثمد ❊ ونام الخلي ولم ترقد (٣)

والمتنبي في قوله

لاخيل عندك تهديها ولا مال ❊ فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

وانما نكر دمعا الذى هو مفعول مزجت ليمكنه وصفه بالجملة أعني جرى ومن في من مقلة ابتدائية وانما ذكر المقلة مع ان الدمع لا يكون الا من المقلة لتصوير الصورة الغريبة العجيبة المحزنة الملينة للقلوب وانما نكرها العدم مقتضى التعريف ولقصد التحقير طلبا للترحم وتعريفا بنفسه أن يرثى لها ونكر دم للتنبيه والتفخيم والتنوين في هذه النكرات عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب أى جيرانك ومقلتك ودمعك ودمك وفي البيت من الصناعة البديعية براعة الاستهلال والتجنيس المذيل كقول الشاعر

رميت بأحداق سوال سوالب ❊ وضن بألفاظ غوال غوالب (٤)

(والمعنى) انه لما رأى دموعه تحادرت من الآماق وعبراته تسابقت على الخدود من الاحداق مبدين ما أكنه سره من لاعج الاشواق ومظهرين ما أخفاه ضميره من زاعج الاتواق أقلقه ما رأى من نفسه من شدة الجزع ورابه ما عاينه من صولة الهلع مما هو خلاف صولة العقلاء المسترشدين وشعار الفضلاء المستهدين وأنف أن يكون مثلها نفسه فخاطبها خطاب المتكبرين وكلمها بكلام المستنكفين وقال لها أمزجت دمعا غزيرا جاريا من آماق العين مشوبا بالدم من تذكار سكان وادى



ذى سلم أم من هبوب رياح بكاظمة أو من وميض البرق فى الظلماء من اضم وانه من شدة تحيره وغلبة سلطان تفكره وله وله المتولهين ودخل فى ربقة المترددين وقال وهو من المتحيرين ولم يدر انه من الموسومين بهذه الصفات حيث وجد نفسه من الاموات أمزجت الدمع الهاطل من آماقك السائل من أحداقك بالدم من اخطار ذكر أحبابك بذى سلم وتذكار أهل ودادك من سكان الحرم

﴿أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ۞ وأومض البرق فى الظلماء من اضم﴾

قال العلامة السعد كلمة أم متصلة هبت الريح هاجت ومن لابتداء الغاية والتلقاء الجهة وكاظمة اسم موضع وأومض بمعنى لمع واضم بكسر الهمزة اسم جبل وواو العطف اما على حقيقتها فيكون الترديد بين الشئ والشيئين أو بمعنى أو فيكون الترديد بين ثلاثة أشياء على سبيل منع الخلو فان التذكر وهبوب الريح ولمعان البرق من جانب منازل المحبوب كل منها سبب داع للبكاء ومهيج للشوق وموجب للافراط فيه واعلم ان هذه المعانى التى سبق اليك بيانها بديع شأوها وعجيب شأنها مستحسنة عند ذوى الطباع المستقيمة ومقبولة لذى الاسماع السليمة اذا كان المراد من المخاطب هو الناظم نفسه تغمده الله بالغفران وأسكنه فسيح الجنان وأريد من الجيران جيرانه فى الدنيا ومن ذى السلم والكاظمة والاضم مساكن الاحباء واما اذا أريد توجيه الخطاب الى الروح الانسانى والنور الربانى الذى خلقه الله تعالى قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة أو بالفى سنة كما نطق به الحديث والى تقدم خلقه أشار الله سبحانه وتعالى حيث قال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم يعنى قابلا للفيض الالهى ومستنفذا لاستفادة الفضل الغير المتناهى بلا واسطة ثم رددناه أسفل سافلين أى الى القالب الذى هو أبعد المركبات عن الحضرة فهو أبعد الابعدين والروح أقرب الاقربين جمع الله بينهما ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور فبعزته بعد المقرب للابتلاء وبمغفرته قرب المبعد للاصطفاء والاجتباء فحينئذ لابد فى تقرير معنى البيت وما يتلوه من الابيات من ايراد بعض المقاصد على طريق المقدمات وسردهات رحمه الله تعالى ثم قال فالناظم يخاطب روحه الانسانى ويقول يا من عبراته الممزوجة بالدم على وجناته تجول أمن تذكر هؤلاء الجيران وقعت فى هذه النيران أم هبت الريح من تلقاء الروضة الغناء أعنى الحضرة الغفورية المسماة بالكاظمة لغاية الاغضاء وأومض البرق من اضم المحبة أى جبلها الباذخ وزادت لمعانه للقلوب فى غررها الشوارخ فان كل واحد من هذه الامور سبب للبكاء ورسول يروى حديث الاحباء

واها لبعيدة من الامصار * تستحضرها بواعث الافكار
فى مسند عشقها أحاديث روى * برق ونسيم خيال سار

يقول للروح لا تسأل عن غصن ذوى بعد ارتقائه ونجم هوى عند اعتلائه ونبت ربا امسك عطره وسارى ليل غاب قمره ولا تصغ الى محب يذوب بنار الحرقة ولا يدرى متى تنقطع حبائل الفرقة فيقول

مذ فرق بينكم وبينى الدهر * لم يبق على مدى نواكم صبر
قد مسنى الضر وضاق الصدر * يا منيتى الى متى ذا الهجر

ومع هذا يخفى الحال عن الاغيار ولا يطلع الخلى على الاسرار اذ الفارغ لا يعرف ما فيه غيره حتى ينتهى اليه سيره

لا يعرف الحب الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

فانى وان ابتليت بجسم ناحل ولكننى من فرط الوجد على مراحل اه وقال المحقق أبو السعود هبوب الريح هيجانها وهب من مكانه اندفع منه بسرعة وهب البعير اذا نشط فى سيره قال الشاعر

هبت نسمات عشقكم فى السحر * شوقا فتراقصت غصون الشجر

الى أن قال (الاعراب) أم قيل انها المتصلة نظرا الى التقدير من وجهين أحدهما ان الهمزة فى أمن وان دخلت على الحرف صورة فهى داخلة على الفعل تقديرا اذ التقدير أمزجت الدمع من تذكر لتقدم العامل على المعمول وثانيا ان ام هبت الريح فى تقدير أم من هبوب وعلى كلا التقديرين تكون متصلة لان المتصلة هى التى يليها أحد المتساويين قال والاقوى انها المنقطعة لعدم وقوع أحد المتساويين بعدها والتقديران المذكوران لا يخلوان عن تعسف كما لا يخفى فان قلت المنقطعة قد تكون فى الكلام الاستفهامى دون اضراب كقولك أزيد عندك أم عمرو وقد تكون فى الكلام الاضرابى كقولك انها لابل أم شاء فمن أى القبيلين هى هنا قلت هى من القبيل الثانى كما يظهر لك عند أداء نا المعنى ومن تلقاء متعلق بهبت وعطف أومض على هبت من عطف الجملة على الجملة لما بينهما من التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع ومن اضم وفى الظلماء متعلقان بأومض وفى المعنى من اضم مقدم على فى الظلماء وان كان فى اللفظ مقدما عليه فان التقدير أومض البرق من اضم فى الظلماء تشهد به الذوق السليم والطبع المستقيم قال (والمعنى) ان اتخذنا أم متصلة كان المعنى ان مزج الدمع بالدم معلوم متيقن أيضا ان سببه أحد الامرين اما تذكر جيران بذى سلم أو هبوب ريح كاظمة وايماض برق اضم وانما الشك فى التعيين فاخبرنى أيها القلب المستهام المستضام أى الامرين الهائلين سبب

تخلطك الدمع بالدم فانه لا يتصور أن يكون السبب أمراً ثالثاً وان اتخذتها منقطعة كان المعنى انه لما شاهد ما أدهش باله وغير حاله وبلبل بلباله غلب على ظنه ان سبب مزج دمعه ذكر جيران بذي سلم ثم عدل عن ذلك من شدة تحيره وغلبة تفكره فغلب على ظنه ان مثل هذا المزج ينبغي أن يكون سببه تذكر المنازل والاوطان وغلبة التشوق الى الاهل والخلان ولا ينبغي الا أن يكون من اثارة شوق الى تربة ضمت جثمان شمس برج الرسالة والنبوة وروضة حوت زهر شجر الابالة والعنوة فاضرب عما يفيد الاضراب والاستفهام التقريري أعني أم فقال أم سبب مزج دمعك بدمك هبوب رياح عطرة تعطر خياشيم المحبين وتحرك لوعة المشتاقين ووميض برق يلهب خمار الاشتياق ويذكي جذوة الاحتراق الى تقبيل تراب أعتاب من حل في ذلك التراب ونزل على ذلك الجناب قال والله أعلم بالصواب ومنه المبدأ واليه المآب وقال الامام القسطلاني في شرحه (أمن تذكر) مصدر تذكر تتفعل من الذكر ضد النسيان جار ومجرور متعلق بمزجت أضيف الى قوله (جيران) بكسر الجيم كفعلان جمع جار أي من أجل تذكر جيران كانوا (بذي سلم) وهو موضع بين مكة والمدينة قريب من قديد والباء فيه ظرفية وهو صفة لجيران وعامله محذوف أي كائنين وليعلم ان الذي يلي همزة الاستفهام هو المستفهم عنه فان استفهمت عن الفعل قلت أضربت زيداً وعن المفعول قلت أزيداً ضربت ولما كان المستفهم عنه هنا انما هو سبب مزج الدمع بالدم أولاه الهمزة ولم يولها المزج لانه ليس محققاً وأخره فقال (مزجت) أي خلطت (دمعاً) بالنصب على المفعولية (جرى) أي سال (من مقلة بدم) جار ومجرور متعلق بجرى والمقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض وفيها الحدقة وهي السواد الذي في وسط العين وفيها الناظر والانسان وهو موضع البصر منها الذي تراه كأنه صورة وليس بخلق مخلوق والعين كالمرآة اذا استقبلها شخص رأى شخصه فيها لشدة صفاء الناظر والناظران عرقان في العينين والدم هو أحد الامشاج الاربعة التي خلق منها الانسان وفي قوله جرى من مقلة بدم احتراس ويسمى أيضاً تكميلا لانه لو اقتصر على قوله مزجت دمعاً بدم لكان مما يحتمل الكلام ان الدمع بعد انفصاله من العين مزج بدم أجنبي وليس هذا مراده فدفعه بقوله جرى من مقلة بدم وهذا ابرد قول من قال ان قوله من مقلة حشو لا فائدة فيه لان الدمع لا يجري الا منها وتعريف الدمع هو الماء المالح السائل من العين مع البكاء سخن ان كان للحزن والافبارد وسببه مضاعفة الحرارة الغريزية بالحرارة الحادثة بحركة النفس الشديدة عند الفرح أو الحزن الا انها مع الحزن أقوى فلذلك يخرج سخناً كالماء الشديد الحرارة اذا فارق النار القوية لا يبرد الا بعد حين فاذا كانت الحرارة

ضعيفة فيتنفس مفارقتها يعود الى أصله وقل خروجه مع الفرح لان النفس تنبسط معه فتتبدد الحرارة على الجسد فيضعف فعلها وكثر مع الحزن لان النفس تنقبض فتخرج الحرارة على صوب واحد فتفر الرطوبات المائية امامها فاذا فرغت خرج الدم لانه أقرب من غيره لعمومه الاعضاء وسريانه فى سائر العروق فاذا كثر البكاء وطال خمدت الحرارة فجف الدم فيبيض الدمع ويقال حينئذ شاب الدمع قال العلامة الدسوقى على شرح المحلى لهذا المتن والى هذا المعنى يشير قول بعضهم

غلب السرور على حتى انه ❊ من عظم ما قد سرنى أبكانى

ياعين صار الدمع منك سجية ❊ تبكين من فرح ومن أحزان

ثم قال القسطلانى وفى هذا البيت براعة الاستهلال لانه علم منه ما قصده من مدحه صلى الله عليه وسلم بذكر الجيران بذى سلم فانه من جبال الحجاز وفيه الاسناد المجازى فان المخاطب لم يمزج الدمع بالدم بل فعل سببه وهو البكاء فهو نحو بنى الامير المدينة والتنكير فى قوله جيران ودمعا ومقلة ودم اما للتعظيم واما للنوعية وفيه أيضا التجنيس الناقص فى دمع ودم لاختلافهما بزيادة حرف العين ثم عطف على قوله تذكر قوله (أم هبت الريح) يعنى أمن تذكر جيران مزجت أم من أجل ان هبت الريح (من تلقاء) أى ناحية أو قرب (كاظمة) موضع قيل بقرب المدينة الشريفة (وأومض البرق) أى لمع خفيا (فى) الليلة (الظلماء من) ناحية (اضم) بكسر الهمزة جبل وقيل واد وحقيقة البرق عند الحكماء وأهل الهيئة نار تحدث عند شدة اصطكاك اجرام الهواء بعضها فى بعض ولذلك أكثر ما يكون عند انتقال الزمان من البرد الى الحر أو العكس فيأتى البرد فيصادف الهواء حارا أو بالعكس فتحدث أصوات الرعد من ذلك الاصطكاك وأما السنيون فيقولون ان الرعد ملك وقيل صوت ملك يزجر السحاب الى الجهات التى يريد الله تعالى والبرق صورته واعلم ان فى بكائه من أجل تذكر جيران بذى سلم تنبيها لك ان تبكى خوف أن لا تكون مجاورا لاهل الجنة لانهم الكائنون بدار السلام وهى الجنة كما قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام فى آى كثيرة أو ان تكون من أهل النار وكنى عنها بكاظمة لانها تنطبق على أهلها ويكون على هذا المراد بالريح ريحها وايماض البرق لهبها ولعله العنق الذى يخرج منها لالتقاط أهلها فهى أعرف بهم من الوالدة بولدها فينبغى لكل مكلف أن يبكى مخافة فوت الجنان أو خوف مقاساة النيران ويحتمل أن يكون أراد بالجيران محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم فان ذكر المحبوب يوجب بكاء المحب وقد كان كثير من الصحابة واتباعهم يدركه مثل الموت اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فمنهم من يضطرب ومنهم من يصفر لونه ومنهم من يغشى عليه وفى كلامه

اشارة الى أن الحزن والبكاء خوفا لا ينبغي أن يفارقا المكلف و بالجملة فالتزام الحزن والبكاء خوفا من نقم الله تعالى لا يسكن الا قلب تقى كما قال بشر الحافى رحم الله تعالى الخوف ملك لا يسكن الا قلب تقى وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى لو أن محزونا بكى فى أمة لرحمها الله عز وجل ببركة بكائه اهـ بلفظه رضى الله تعالى عنه وامدنا بمدده واعلم ان قوله أمن تذكر جيران الخ هو أول القصيدة باتفاق وأما ماشاع على ألسنة الناس من قولهم

الحمد لله منشى الخلق من عدم * ثم الصلاة على المختار فى القدم

فليس منها قطعا قال العلامة الدسوقى وهو وان كان ثناء حسنا فى ذاته الا أن ابتداء القصائد به غير مستحسن عند الادباء لان عادتهم افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الاحبة وديارهم ومقاساة الاحزان والاشواق وتحمل مكاره الفراغ ويسمون ذلك عندهم غزلا وتشبيبا ويعدون ذلك من جملة لطف المطالع لاهتمامهم بشأن العشق واغتنامهم شدائده ولذلك قال بعضهم الشعر لا يبدأ بالبسملة والحمدلة * ثم قال الناظم رحمه الله تعالى مستفهما استفهاما انكاريا ارادا على مخاطبه المنكر للاثر الناشئ عن الحب بسبب انكاره للحب

---

* (فما لعينيك ان قلت اكففا همتا * وما لقلبك ان قلت استفق يهم) *

أى ان صدقت فى انكارك نشأة ذلك البكاء عن الحب وان الحب لا وجود له عندك فما لعينيك أى فأى سبب أوجب لعينيك ان قلت لهما اكففا عن البكاء واتركاه سال دمعهما وما لقلبك ان قلت له افق مما أنت فيه من الوجد يتحير ويتوله وكل من هذين الامرين من آثار الحب وظهر مما قلناه ان الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر اهـ من المحلى والدسوقى عليه وقال العلامة السعد يعنى ان كنت تنكر فرط الوجد فى المحبة والوداد وتظهر السلو عن كوامن لواعج الفؤاد فما لعينيك ان أردت منها الامساك عن البكاء سالتا أشد السيلان وما لقلبك ان طلبت منه الافاقة يهيم فى أودية التحير غاية الهيمان فالفاء فى فما فصيحة لافصاحها عن الشرط المحذوف ويجوز أن تكون لعطف الاستفهامية على الاستفهامية والاستفهام للتعجب كما فى قوله تعالى مالى لا أرى الهدهد والعامل فى لعينيك محذوف أى ما حدث وما عرض والشرطيتان حالان جعلتا اسميتين بتقدير هما فى الاولى وهو فى الثانية وكف يستعمل لازما ومتعديا وهمى سال واسناده الى العينين مجاز مثل سال الميزاب واستفاق بمعنى أفاق وهام تحير يعنى أيها الصب المتيم الباكى أسفا والمحترق فى نار الحيرة لهفا كيف تطمع فى اخفاء حالك مع هذين الشاهدين على ما فى بالك

من بلبالك

كيف يخفى المحب سرهواه ❊ وسقام الهوى عليه دليل اه

وقال العلامة أبو السعود الفاء فصيحة وما للاستفهام التعجبي كقوله تعالى مالى لا أرى الهدهد ولعينيك جار ومجرور متعلق بما لتضمنها معنى التعجب أو الاستفهام أى أى شئ حصل لعينيك أو ما فى محل رفع على الابتداء ولعينيك خبره والجملة الشرطية اما أن تكون فى محل النصب على الحال واما أن تكون استئنافية كأنه لما رأى انه تعجب من عينيه قال ما بال عيني يتعجب منهما فقيل له ان قلت اكففا همتا وكذا القول فى المصراع الثانى ثم قال (والمعنى) انه لما رأى الصب المسكين والعاشق المستكين مارحما مما يكابد من شدة الاشواق وشائبا مما يقاسى من ألم الفراق دمع عينيه بدم الأكباد وماء أماقيه بصديد الفؤاد ولم تظهر الشكوى بما يجده من أهل الوداد علم انه سينكر محنته وسيخفى محنته فخاطبه محتجا عليه بما يثبت مدعاه قائلا له ما بال عينيك ان قلت لهما كففا الخ وما لقلبك المستهام وفؤادك المستضام ان قلت له أفق من الغرام واصح من سكر الهيام لم يأب عما عنفته به من الملام ولم يدع ما كلمته به من الكلام فما هذه الاشنشنة العاشقين وليس هى الاديدنة الوامقين اه وفى قوله اكففا وهمتا المطابقة ويسمى الطباق والتضاد وهو الجمع بين ضدين أو متقابلين اه قال العلامة القسطلانى والفاء فى فما جواب شرط مقدر أى ان كان انكارك حقا فأى سبب أوجب لعينيك لما أن قلت لهما كففا بكاء كاهمتا وما لقلبك ان قلت له استفق من غمرتك يهم مضارع هام والهيام كالجنون يقال هام فى العشق لا يدرى أين هو وخص القلب لانه محل العقل عند أكثر السنيين قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها وقالت طائفة محله الدماغ ومنهم من جمع بين القولين لما بينهما من الاتصال وهو شكل صنوبرى وموضعه من الجسد وسط الصدر وهو منبع الحياة وعنصر لحرارة الجسم ❊ ولما لم يحر المسؤل جوابا وافحمه السائل بالسؤال المسكت رجع فى تغليطه فى انكار حالة الحب التى لا تخفى فقال منكرا

❊أيحسب الصب أن الحب منكتم ❊ ما بين منسجم منه ومضطرم❊

أى أيظن العاشق المشتاق والمستهام الذى ولهه الحب ان الحب منكتم عن الناس اسم فاعل من الكتم أى مستتر ما بين دمع عين منسجم بمعنى سائل منه وحر قلب مضطرم منه أى ملتهب والطاء بدل من التاء أصله مضترم كمفتعل وما فى قوله ما بين زائدة اه قال العلامة السعد يعنى مما يقضى منه العجب ارتكاب ما لا يفضى الى



الادب وهوان ينكر المحب ويظن ان حبه يبقى منكتما مع كون دمعه منسجما وقلبه مضطرما

ولّلمحب لسان في شمائله ❊ بما يجن من الاهواء يعترف

فلا ينبغي منك الانكار بعد ماظهرت شواهد الآثار فالاستفهام في أيحسب للتعجب والانكار التوبيخي بمعنى لا ينبغي أن يكون ويحسب بالكسر والفتح من أفعال القلوب والصب العاشق من صب الماء سكبه لانه بكاء غالبا كما قيل

وما في الخلق أشقى من محب ❊ وان وجد الهوى مر المذاق

تراه باكيا في كل حال ❊ مخافة فرقة أولاشتياق

فيبكي ان نأوا خوفا عليهم ❊ ويبكي ان دنوا خوف الفراق

وأن مع اسمها وخبرها قام مقام المفعولين وما بمعنى الذي منصوب محلا على انه بدل من الحب أو صفة له وصدر الصلة محذوف أي الحب الذي هو بين دمع منسجم أي منصب وقلب مضطرم أي مشتعل بنار الحب اى ملتبس بهما وملزوم لهما فالحاصل ان ما استولى وظهرت آثاره لايتأتى ستره أوانكاره اه وعبارة المحلي ثم قال له ملتفتا من الخطاب الى الغيبة أيحسب الصب أي العاشق لانه لكثرة بكائه غالبا كانه يصب الدمع من العينين والاستفهام للتعجب الانكاري أي ماينبغي للمحب أن يظهر انكتام حبه عن الناس في ظهوره بانسجام دمعه واضطراب قلبه قال العلامة الدسوقي قوله ثم قال أي على جهة غلبة الانكار لان ذلك المسؤل لمالم يرد جوابا واخمه السائل بالسؤال المسكت والالزام المبهت رجع الى تغليطه في انكاره حالة الحب التى لاتخفى فقال له على وجه الانكار أيحسب الخ وقوله ملتفتا الخ لماجرت به عادة الادباء من تغيير كلامهم من أسلوب الى أسلوب آخر تكلما وخطابا وغيبة تطرية للمسموع وتنشيطا للسامع فانهم في قرى الارواح يتضيفون بأساليب الارادات كان الناس في قرى الاشباح يتضيفون بالوان الاطعمة اه وفي أبي السعود الهمزة للاستفهام التقريري وحاصله أنه يقرر انحصار ظنه مع انكتام الحب بين هذين الامرين وقيل انه استفهام تعجبي وقيل توبيخي وقيل انكاري ولكل وجه وجيه وان مع اسمها وخبرها مفعولان ليحسب وبين ظرف متعلق بمنكتم ومنسجم وكذلك مضطرم أى قلب مضطرم والمعنى انه لماساله عن سبب مزج الدمع بالدم وكان في سؤاله معرضا عن عشقه وظهرت منه أمارات الانكار وزعم ان انكاره يجديه في الاستتار دفع ظنه بقوله أيحسب الصب الذى ظهرت شهود عشقه وبانت بينات هواه ان اشتغال قلبه بمن يهواه وسلب لبه بمن هو في الدنيا مناه قد يستتر عن الرائين وينكتم عن الناظرين حال كونه واقعا بين أمرين هما كاشفان

للسرائر ومكنان ما برز فى الضمائر أعنى أنه مع المنسكب من الآماق والقلب المضطرم بنار الاشواق كلا فان الامر ابين من الامس وأظهر من الشمس قال الشاعر

لى فى محبتكم شهود أربع ❊ وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبى وارتعاش مفاصلى ❊ ونحول جسمى وارتجاج لسانى

❊ ثم ان المسؤل كانه قال للسائل وهو المصنف سلمنا انكارك على الصب ظنه خفاء حبه لكنى لست بصب فما دليلك على ذلك فقال السائل

❊لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ❊ ولا أرقت لذكر البان والعلم❊

أى لولا الهوى موجود لديك لم ترق أى تصب دمعا على طلل منسوب الى الاحباب أى فى طللهم ان قدرنا انه شاهده سكى بين الاطلال وفيه تكلف وان لم يقدر وقوعه على الطلل فهى للتعليل أى من أجل ان تذكرت أو ذكرت لك اطلال الاحباب والطلل ما ارتفع من آثار الديار والجمع اطلال وطلول ولولا حرف امتناع لوجود وهى تلزم الدخول على المبتدا وهو هنا الهوى وخبره محذوف وجوبا على الصحيح والتقدير كما قدمناه لولا الهوى موجود وتغنى عنه فى الغالب جواب لولا و لم والفعل المجزوم بها وما تعلق به جواب لولا ودمعا مفعول ترق ثم اردف هذا الدليل وهو اراقة الدمع على الطلل بدليل آخر فقال ولا أرقت بكسر الراء سهرت أى ولولا الهوى لم تسهر لذكر شجر البان والعلم وشجر البان ببلاد الاحبة والعلم جبل أو الجبل الطويل وهو من جبال الاحبة أيضا ويحتمل أن يكون مراده ولا أرقت لذكر البان والعلم المشبه بهما المحبوب فى طول القامة وحسن الهيئة وطيب الرائحة وانما أورثه ذكرهما السهر لان المحب تكثر حرارته فتفنى رطوبات دماغه التى هى من صعود أبخرة من المعدة اليه وانما يكون النوم من تلك الرطوبات اذا كثرت فتجمد هنالك ويكون منها النوم والسبات أى الراحة لا الداء المعروف ولذا تنعكس الحرارة عند النوم الى داخل الجسد وسببها الاعظم كثرة الطعام والشراب لاشتغال الحرارة الغريزية بهضمهما فيضعف ما يصل منها الى الدماغ ويكثر فيه ما يفر امام الحرارة من الرطوبات البارده فتجمد لذلك وينام والمحب الذى ألهاه حبه عن الاكل والشرب تضاعفت حرارته الغريزية بالحرارة التى اكتسبها من لوعة الحب وحرقته فتفنى رطوباته فلا ينام لاسيما عند تذكر معاهد الاحباب أو ما هو شبيه بالاحباب واللام فى لذكر البان للتعليل وأل فى الهوى تحتمل الجنس أى لولا هذه الحقيقة والعهد اى لولا هواك وفى قوله لم ترق التفات من الغيبة الى الخطاب نحو مالك يوم الدين اياك نعبد اه من القسطلانى قال العلامة السعد يعنى يا من أراق الدموع على الدمن والاطلال وأرق لذكر أماكن الوصال ومنازل مشاهدة الجمال لولم يكن لك محبة مع

اهل المنازل وسكان الطلل مالك تبكى على اطلال الكثيب والعقيق والدخول وحومل وما بالك تسهر الليالى بذكر الشجر والجبل ومن المعلوم ان السهر والبكاء من علامة اهل المحبة والولاء والمحب لا يبكى الا للحبيب والمريض لا يتمنى الا لقاء الطبيب ولهذا قيل

سهر العيون لغير وجهك باطل * وبكاؤهن بعيد بعدك ضائع

وفى ابى السعود الهوى المحبة الشديدة والميل قال الشاعر

* هو كل نفس أين حل حبيبها * والاراقة السكب والطلل رسم الديار بعد خرابها ويجمع على اطلال والبان شجر ينبت فى البادية تشبه به قدود الحسان والعلم جبل من جبال الحجاز قال الشاعر

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقرا السلام على عرب بذى سلم

ولولا حرف لامتناع الشئ لوجود غيره اى أن يكون وجود أحد الشيئين علة لعدم الآخر كقوله لولا على لهلك عمر اى وجود على سبب لانتفاء هلاك عمر فيكون وجود الهوى فى البيت سببا العدم نفى اراقة الدمع على الطلل أى وجود الهوى مستلزم لاراقة الدمع فتكون اراقة الدمع دليلا على وجود الهوى ولولا هذه لا تدخل الا على المبتدا وخبره محذوف وجوبا اى على الصحيح لدلالة لولا عليه ووقوع جوابها موضعه وقيل انما يجب حذفه اذا كان الخبر عاما كالمثال المذكور فى البيت وأما اذا كان خاصا فانه يجب ذكره كقوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعد ابراهيم وقول امامنا الشافعى رضى الله عنه

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم اشعر من لبيد

والمعنى لولا محبة أهل هذه الديار ومن حل بها من الشموس السالبة للصبر والقرار المسعرة فى القلب لهب النار لم تصب أيها الصب الدمع المدرار على طلل لم يبق منه الا الآثار وما أحسن ما يتمثل به لخاتمك من بين الاشعار

أمر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

فما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

ولولا انك تذكرت من بان من بانات القدود اسيلات الخدود مرتفعات النهود ما ارقت لذكر البان والعلم ولا قلقت بذكر من أنجد وأتهم اه باختصار * ثم اردف الدليل بدليل ثالث على ما فى بعض النسخ التى شرح عليها بعض الشارحين لكن لم يوجد ذلك فى كثير من النسخ بقوله

*ولا اعارتك لونى عبرة وضنى * ذكرى الخيام وذكرى ساكنى الخيم*

أى ولولا الهوى لم تعرك اى تعطك على سبيل العارية ذكرى الخيام فاعل اعارت

ومضاف اليه والخيام جمع خيمة وهي بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر والمراد باللون هنا النوع فانه شبه نوعي العبرة والضنى بلباسين اعارتهما ذكرى الخيام وذكرى ساكنيها للصب ووجه التشبيه ان آثار الحب زينة للصب يتزين بها كما يتزين باللباس فرقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنى وانسجام الدموع سمطين أو اكثر على النحر بمثابة الدر المعلق عليه وذلك لون العبرة وفي قوله ولا اعارتك لوني استعارة بالكناية ويلازمها استعارة تخييلية وحقيقتها أن يضمر التشبيه في النفس ولا يذكر شيء من أركانه سوى المشبه ويدل على التشبيه بأن يثبت المشبه بشيء مختص بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارة بالكناية وهو ههنا تشبيه لوني العبرة والضنى بلباسين ولم يذكرالكن ذكر ما هو من أحوالهما وهي العارية فتشبيه اللونين باللباسين هو الاستعارة بالكناية واثبات العارية لهما استعارة تخييلية وسقطت النون من ساكنين للاضافة اه من القسطلاني ❁ ولما أورد السائل على المخاطب الحجج الدالة على انه محب وأكثر منها حتى لم يبق له عذر وصحت نتيجة المستدل اقبل عليه بالخطاب وقال منكرا عليه بصورة الاستفهام

﴿فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت ❁ به عليك عدول الدمع والسقم﴾

أي فكيف تجحد حبا بعد هذه الحجج وبعد ما شهدت اي اخبرت به أي بالحب عليك عدول الدمع السائل من عينيك عند ذكر الطلل والسقم القائم بجسمك لذكر ساكني الخيم وهم عدول لا ترد شهادتهم وعدول جمع عدل وأصله مصدر فلا يثنى ولا يجمع وباعتبار ما صار اليه من النقل للذات يثنى ويجمع فتقول عدلان وعدول اه قال العلامة السعد الفاء فصيحة على ما أشير اليه ويحتمل أن تكون للعطف على الجملة الشرطية وكيف حال لا مفعول فيه على ما توهم بدليل أنه يجاب بالحال مثل راكبا في جواب كيف جاء زيد وتبدل منه الحال مثل كيف جاء زيد أراكبا أم ماشيا والاستفهام للتعجب والاستبعاد بمعنى ما ينبغي ان يكون وتنوين حبا للتعظيم والعامل في بعد تنكر وما مصدرية وضمير به للحب او موصولة والضمير لها والشهادة مستعارة للدلالة الصادقة وذكر العدول ترشيح لها واضافته الى الدمع والسقم للبيان أو بمعنى من اي العدول المستفادة من جهتهما وهي كما ذكرت خمسة فتأمل أو المراد تحقق الدمع والسقم في الاوقات وتواليهما قيل شاهد المحبة دمع ساجم وسقم عن اللذة حاجم وميل دائم وقلب هائم فكيف تنكر حب من خلوت به في تلك المعاهد بعد ما شهدت عليك وشوهدت فيك هذه الشواهد اه وفي أبي السعود الفاء تفريعية اي اذا لم يرق الدمع الا الهوى ولم يسلب الرقاد الا الجوى وهما لا ينفكان عنك وأنت

لا تنفك عنها فكيف تنكر الحب والتنوين في الحب للتعظيم اى حبا عظيما ظاهرا لا يخفى على أحد وبعد ظرف لتنكر وما امامصدرية وضميره للحب واما موصولة والضمير لها والمشهود به الحب والمشهود عليه المحب والمشهود له الحبيب والشاهدان العدلان الدمع والسقم والعدول وصف في الأصل غلب استعماله في الاسمية وهو جمع عدل بفتح العين وهو شاهد دار القضاء وبالكسر أحد الوترين اللذين كالقفة يوضع فيهما المحمول على ظهر الدابة روى العلامة في شرحه للمفتاح ان بعض السفالين مر ببغداد على محكمة دار القضاء وكان أحد العدول جالسا هنالك فضرطت بغلته فقال في لحية العدل كما هو دأب سفهائهم فقال بعض الظرفاء افتح العين فان المولى حاضر فان قلت ما وجه جمع العدول المضاف الى الدمع والسقم مع افراد المضاف اليه قلت للدلالة على كثرة الدمع والسقم فان قلت لم أفرد الدمع والسقم قلت ليدل على ان جنس الدمع وجنس السقم شاهدان عليه لئلا يختص بفرد دون فرد ولذلك حلاه باللام الجنسية فهو من قبيل وهن العظم مني (والمعنى) لما ظهرت عليه امارات الانكار وعلامات الاستتار بعد ان ظهرت منه آثار المحبة والهوى ودلائل الحرقة والجوى خاطبه معنفا وقال له مؤنفا أتنكر العشق الذي ظهرت علاماته والهوى الذي بانت بيناته بعد ان شهدت به عليك لدى حكام المحبين وقضاة العاشقين عدول من جنس الدمع الصافي من الكدر المترقرق على صفحات الوجنات ترقرق ماء المطر والسقم الذي ألبسك ثوب النحول ورداك بردية الردى وحليك بجلباب الصغار والذبول فهل هذا المقام ينفع فيه الانكار أو يتيسر فيه الاستتار اه ثم عطف عليه بقوله

﴿وأثبت الوجد خطى عبرة وضنى ❊ مثل البهار على خديك والعنم﴾

أي وأثبت الوجد من جهة الحزن خطى عبرة وضنى أي مرضا مثل البهار بفتح الوحدة وهو ورد أصفر على خديك والعنم بفتح العين والنون شجر له أغصان حمر ومراده تشبيه الخطين بالعنم في الحمرة لامتزاج الدمع بالدم وأثر الضنى بالبهار في الصفرة اه قال العلامة السعد وأثبت عطف على شهدت أي كيف تنكر حبا بعد ما أثبت الوجد وهو الحزن ويستعمل في الهم المستولي على القلب الناشئ من الحب على خديك صفة عبرة وهو الهزال والضعف ويلازمه عادة صفرة الوجه مثل منصوب على انه حال أو مفعول ثان لاثبت بتضمينه معنى جعل والبهار نوع من الورد أصفر ينبت في الربيع والعنم عطف عليه وهو شجر أحمر لين الاغصان يشبه به البنان يقال بنان معنم أي مخضوب بالعنم والمشبه بالبهار هو الضنى على ان المراد به لازمه

وبالغيم هو خطا عبرة واسناد اثبت الى الوجد مجاز عقلى من قبيل الاسناد الى السبب كما فى سرتنى رؤيتك فالمعنى انه يقول يامن مقلته العبراء يدوم انصبابها وكبده الحراء لا يزول التهابها كيف تنكر المحبة والاشواق وكيف توارى سراة القلب المشتاق بعد شهادة عدول الدمع والسقم بها عليك واثبات الوجد المبرح خطين من العبرة على خديك وذبول جسمك من الضنى وذوبانه من الاوار وحمرة دمعك مثل العنم واصفرار لونك مثل البهار فلا بد لك من الاقرار كما أقر بالهوى عند شهادة هؤلاء العدول بعض أهل الأسرار حيث قال

شوقى اليكم وصفه لا يمكن ※ يامن لهم فى ربع قلبى مسكن
لولا الهوى ماذاب جسمى بالضنى ※ والدمع لولا الوجد هلا يسكن
عندى غرام نحوكم وتشوق ※ عن شرح ايسره تكل الالسن

اه وفى أبى السعود الوجد فى الاصل الحذق وفى التعارف هو حركة النفس واضطرابها عند ذكر المعشوق والخط فى اصطلاح المتكلمين ما يقبل القسمة طولا والعبرة الدمعة مأخوذة من العبور وهو الاجتياز من غير وقوف وانما سميت الدمعة بها لتجاوزها حد الخدود وعدم اقامتها عليه كأنها عابر سبيل قال الشاعر

عبرتى ثم حيرتى واصطبارى ※ يتسابقن والدموع سوابق

والضنى الهزال من المرض قال الشاعر

خفيت ضنى عمن يروم عيادتى ※ فلولا انينى ما اهتدى نحوى الركب

والبهار ورد أصفر ينبت فى الربيع والعنم شجر لين الاغصان يشبه به بنان الجوارى وقيل وردة حمراء تنبت فى الماء وقيل شجر له ثمر أحمر وهذا المعنى هو الذى وقع فى لفظ البيت لرعاية التقابل بينه وبين البهار فى الصفرة والحمرة ثم قوله واثبت عطف على شهدت فهو فى حيز بعد ما وخطى مفعول اثبت وحذف نون التثنية للاضافة والاضافة لامية ومثل صفة خطى وقيل منصوب على الحال وعلى خديك متعلق باثبت ويجوز أن يكون مستقرا أى كائنين على خديك واضافة الخطين الى العبرة والضنى يجوز أن تكون بيانية أى خطين من العبرة والضنى مشبهين بالبهار والعنم فى الصفرة والحمرة ففى البيت لف ونشر غير مرتب وتنكير العبرة والضنى للتعظيم والتنويع وتشبيههما بالبهار والعنم ادعاء لظهورهما تحقيقا لما ادعاه وفى هذا البيت والبيت السابق صنعة مراعاة النظير فان ذكر البهار والعنم والوجد والضنى والعبرة من النظائر كما ان ذكر الانكار والشهادة والعدول والخط والاثبات كذلك (والمعنى) كيف يمكنك انكار المحبة والغرام والهوى والهيام بعد أن شهد عليك شاهدان عدلان أعنى الدمع والسقم وسجل به حاكم الغرام الذى هو الوجد

والهيام على صفحتى وجنتيك وديباجتى خديك خطين هما خط الدمع والسقم ووشى العبرة والالم اللذين هما فى ظهور كونهما من آثار العشق كنار على علم وضرام على اضم حيث ان خط الدمع من مزجك له بالدم بلغ مرتبة فى حمرة شبيهة بالعنم وخط الضنى والانكسار بلغ رتبة فى الاصفرار شبيهة بالبهار اه ❁ فلما كانت هذه الحجج واضحة وعلى كل شرف لائحة ولم يبد المخاطب له بدا من الاقرار أفصح مقرا بلسان المقال كما أقر بلسان الحال فقال

❁(نعم سرى طيف من اهوى فارقنى ❁ والحب يعترض اللذات بالالم)❁

أى صدقت أيها السائل فى كل ما نسبته الىّ فانى انما بكيت وسقمت من تذكر الجيران الذين كنت فارقتهم وتسليت عنهم بعض التسلى وسبب ذلك التذكر ان سرى طيف أى خيال من أهوى الىّ ليلا فى النوم فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا لما حركنى من الفرح بسبب لقائهم ظنا منى ان ذلك فى اليقظة فلما تبين لى انه حلم عاد لى ما كنت تسليت عنه بعض التسلى فأثر ذلك عندى فأرقنى أى اسهرنى والحب يعترض اللذات أى يحول دونها بالالم ويحتمل أن يكون معنى يعترض يغيب اللذات من قولهم عرضته أى غيبته واعترض الشئ صار عارضا كالخشبة المعترضة فى النهر واللذات جمع لذة قيل هى ادراك الملائم من حيث هو ملائم والألم مقابلها وقيل اللذة دفع الألم كالاكل لألم الجوع ورد بأنه احد أسبابها وقد تتصوردونه كالالتذاذ برؤية وجه مليح بغتة فانه لم يتقدم ألم لفقده حتى يدفع فكأنه قال كان لى قبل طروق خياله التذاذ بالنوم الموجب لراحة بدنى عند من يرى اللذات وجودا بنفسها الا انها اضافية اولتسليتى عن ألم فراقهم عند من يراها دفع الألم اه قسطلانى قال العلامة السعد نعم حرف ايجاب لما سبق وهو الاستفهام عن تحقق الحب سرى سرى أى ذهب بالليل والطيف الخيال من أهوى أى أحبه ارقه اسهره يعترض من اعترض له بسهم أقبل به قبله فرماه فقتله فالألم يكون استعارة عن السهم واللذات عن الشخص المرمى فالحاصل انه لما استفهم منه على سبيل الانكار وتليت عليه الآيات الدالة على انه عاشق بحيث لم يجد الى الانكار سبيلا ولا الى التبرى عنه دليلا فاعترف بعدما أصبح خده بالدموع الممزوجة بالدم منقشا وفشا سره المكنون فى الحشا كما قال

تدفق من عيونى ماء حزنى ❁ تلظى فى الجوانح منه جمر
غدا العبرات مبرزة لسرى ❁ وهل يخفى مع العبرات سر

فقال نعم ما ظننتم كما ظننتم ثم كأن سائلا قال كيف كان الحال فاستأنف بقوله

سرى وفى قوله فارقنى التفات من الخطاب الى التكلم على عكس ما كان فى المطلع من التكلم الى الخطاب على مذهب السكاكى لان الالتفات عنده تغيير مقتضى التعبير اهـ وفى أبى السعود نعم تصديق وتقرير للكلام السابق لا لمطلق الايجاب كبلى ولذلك قيل فى جواب اولم تؤمن بلى ولم يقل نعم وسرى من السرى وهو السير فى بعض من الليل والطيف والخيال مترادفان وهما فى اللغة مثال الحبيب فى النوم وقيل الخيال ما يرتسم فى القوة المخيلة سواء كان فى اليقظة أو فى النوم والطيف لا يكون الا فى النوم ومن أجل ذلك ينسب الطيف الى الخيال والارق السهر ويعترض أى يحجب اللذات ويزيلها بسبب الألم فالباء سببية أو للملابسة والجار والمجرور فى محل نصب على الحالية أى يعترض اللذات متلبسا بالالم وطيف فاعل سرى ومن موصولة فى محل جر لاضافة طيف اليها وأهوى صلته والعائد محذوف لكونه منصوبا والواو فى والحب للحال والجملة أعنى المبتدا الذى هو الحب وخبره الذى هو يعترض حالية واللذات مفعول يعترض والجار والمجرور أعنى بالألم متعلق بيعترض والمعنى انه لما رأى كتمان الهوى واخفاء الجوى بعد ما أفشى الدمع ما اخفاه وأظهر النحول ما طواه لم يجد نفعا فاعترف بالمحبة واقر بالهوى فقال نعم ابتليت بهذه النقم فكأنه سئل عن سبب الارق الذى اعتراه والقلق الذى تغشاه هل هو من طارق الخيال وطيف الحبيب فقال نعم سرى طيف من اهواه وخيال من اتمنى رؤياه بعد ما كنت متمتعا بالمشاهدة والوصال متلذذا بالمجاورة والاتصال ولا غرو فى هذا الحال فان الحب يعترض اللذات بالألم ويشوب النعم بالنقم

فكنا فى اجتماع كالثريا ❊ فصيرنا الزمان بنات نعش

فان قلت لم افرد الالم وجمع اللذات قلت ان كل فرد من افراد اللذة الحاصلة فى العشق مشوب بجنس الألم فيكون فيه اشارة الى شدة الألم وانه لم تخل لذة منه اهـ وفى المحلى والدسوقى يعترض اللذات أى يحول دونها ويمنع منها بسبب الألم الذى ينشأ عنه وسبب الطيف ان النفس اذا ولعت بشئ حصل فى القوة المخيلة فيصير نصب عينيه و يراه فى النوم فيحصل له نوع تسل وان حصل له ألم حيث لم يجد من يهوى ولا خياله ولبعضهم فى هذا المعنى

وزارنى طيف من أهوى على حذر ❊ من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا

فكدت أوقظ من حولى به فرحا ❊ وكاد يهتك سر الحب بى شغفا

ثم انتبهت وآمالى تخيل لى ❊ نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

❊ ثم استشعر بلائم فى الحب لان البيت السابق قد تضمن الاقرار بالمحبة والغالب ان من أقر به يلام فخاطب هذا اللائم بقوله

﴿يا لائمي في الهوى العذري معذرة ❁ مني اليك ولو أنصفت لم تلم﴾

أي يامن يلومني في شأن الهوى أو سبب الهوى العذري بالذال المعجمة أي الحب المفرط منسوب الى بني عذرة قبيلة يؤدي العشق بهم الى الموت معذرة مني اليك منصوب نصب المصدر بفعل مقدر أي اعتذر اليك اعتذارا بأني مبتلى بالحب ولو أنصفت لم تلم فيه لانه ليس باختياري وقوله منسوب الى بني عذرة تشير الى انه منسوب لكل القبيلة من حيث انه مشابه لهواهم فالنسبة تشبيهية وقيل الهوى العذري هو الحب المفرط الذي من شأنه ان يكون صاحبه مقبول العذر عند كل أحد وقوله يؤدي العشق بهم الى الموت أي لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم وكان أكثر موتهم بداء العشق لانه قل ان يعيش أحد منه في عشق مات والى هذا المعنى أشار المتنبي حيث قال

وعذلت أهل العشق حتى ذقته ❁ فعجبت كيف يموت من لا يعشق

فعذرتهم وعرفت ذنبي انني ❁ عيرتهم فلقيت منه مالقوا

وقوله ليس باختياري أي ولا يلام الا على الامر الاختياري كما قال القائل

وعيب الفتى فيما أتى باختياره ❁ ولا عيب فيما كان خلقا مركبا

وقوله لم تلم وذلك لان اللوم على الشئ أو الحث عليه فرع عن تصوره فأنت لو عرفت الهوى ماهو لم تلم عليه ولذا قال بعض الصوفية لا ينبغي لاحد أن يتكلم على مرتبة الا اذا اذاقها والى ذلك المعنى أشار العارف ابن الفارض بقوله

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى ❁ واذا عشقت فبعد ذلك عنف

وقال أيضا

يالائما لامني في حبهم سفها ❁ كف الملام فلو أحببت لم تلم

اه من المحلي والدسوقي عليه قال العلامة السعد اللوم العذل في الهوى أي في الوقوع فيه وانما جعل الوقوع في الهوى مستتبع للملامة لانه سبب لها كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة والهوى العذري عبارة عن الحب الشديد المفرط والعذري نسبة الى بني عذرة وهي قبيلة مشهورة بالابتلاء بداء العشق وكثير من شبانهم يهلكون بهذا المرض كما يحكى أن واحدا سأل منهم عن سبب انهما كم في أودية المودة وموجب هلاكم من شدة المحبة فأجابوا بأن في قلوبنا خفة وفي نسائنا عفة ويجوز أن يكون الهوى العذري عبارة عن الحب المستولي على القلب الذي من حقه أن يقبل العذر من صاحبه كل أحد وقيل في بني عذرة يوجد حسن مفرط أيضا كما في بني هلال فعلى هذا يكون المعنى الهوى العذري في محبة المحبوب الجميل المفرط في الحسن والجمال (ويحكى) عن الاصمعي انه مر بقبيلة بني عذرة فاضافه

في احياء سنن الهدى واتباع طريق المهتدين وان عنفه في ذلك أحد فليعرض عن الجاهلين اهـ وفي أبي السعود اللوم العذل قال الشاعر

لقد لامني في حب ليلى أقاربي * أخي وابن عمي وابن خالي وخاليا

والعذري نسبة الى بني عذرة وهم قبيلة من عرب اليمن قد اشتهروا بغلبة العشق والمحبة قيل ان غلاما ناحل الجسم قد علت على وجهه الصفرة وظهرت عليه آثار الكآبة والحزن وقف على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له ممن يافتى فقال من قوم اذا أحبوا ماتوا فقال عذري ورب الكعبة فقال الغلام نعم فقال له ولم ذلك فقال لرقة في قلوبنا وعفة في نسائنا والانصاف هو اعطاء الحق من نفسه وعدم التجاوز في أخذه والمعنى أيها اللائم في الهوى العذري والعاذل في الحب الجبلي اعذرني معذرة أو خذ مني معذرة مقبولة عند من اتصف بصفة الانصاف وتنزه عن طريق الجور والاعتساف وهي ان هذه المحبة أمر ضروري وخلق جبلي ولا يلوم عاقل أحدا على مالا اختيار له فيه ولا يعذل لبيب على مالا سبيل اليه وهذا قريب من قوله تعالى حكاية عن زليخا حين عنفت في حب يوسف عليه السلام بعد ان أبدت جماله للعاذلات وعرضت حسنه على اللائمات فوقعوا في الحيرة والتيه قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اهـ * ثم أخذ الناظم يستعطف العاذل لعله يرق له فيقبل عذره فقال

*(عدتك حالي لاسري بمستتر * عن الوشاة ولا دائي بمنحسم)*

أي جاوزتك حالي بفتح الياء وهيئتي والحال تذكر وتؤنث والافصح التأنيث ويحتمل أن يريد بقوله عدتك حالي الاستفهام على سبيل الانكار أي أعدتك حالي وحذفت الهمزة للعلم بها كما قيل في قوله تعالى حكاية عن الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا ربي وعلى هذا يكون تأكيدا لقوله ولو أنصفت لم تلم وكأن العاذل قال حين استفهمه نعم جاوزتني فقال الصب خذ علمها لاسري بمستتر أي بمنكتم عن الوشاة الذين هم أعدائي والواشي الكذاب النمام الذي يبلغ الحديث ويزينه ولا دائي في الحب أي مرضي بمنحسم أي ليس بمنقطع حتى يرجى زواله ويحتمل أن تكون الجملة خبرية أي جاوزتك حالي فانت لم تصب بمصيبتي حتى تعلم مقدار ما أنا فيه ولو أصبت بها ما عذلتني ولعذرتني ويكون قوله لاسري على هذا التقدير جواب سؤال مقدر كأنه قيل له وما حالتك التي استعظمتها فقال لاسري الخ اهـ قسطلاني قال العلامة السعد عدا اليه سرى وعليه ظلم وعنه تجاوز وبدون الصلة بمعنى سار سريعا والمراد هنا عدت اليك فحذف الجار كما في قوله تعالى واختار موسى قومه وهو في الظاهر دعاء على اللائم المؤذي أي ابتلاك الله بمثل ما ابتلاني به أما في نظر من يتلذذ ببلاء العشق

بعضهم وكانت لمضيفه بنت رشيقة القد صبيحة الخد فصيحة الكلام مليحة الملام

وليس بها عيب سوى ان ضيفها * يعاب بنسيان الاحبة والوطن

يقول الاصمعي فخرجت من بيت المضيف لاتفرج في باقي حيهم اللطيف فرأيت شابا ضعيفا كالهلال ونحيفا كالخلال تلوح أسرار المحبة من أسرته وتجلى أنوار المودة في صفرة وجنته في نظره نار موقدة وفي قلبه نار تطلع على الافئدة لاتنطفئ نيران قلبه لقطرات العبرات وهو يزمزم ويترنم بهذه الابيات

فلا عنك لي صبر ولا فيك حيلة * ولا عنك لي بد ولا منك مهرب

فلو كان لي قلبان عشت بواحد * وأفردت قلبا في هواك يعذب

ولي الف باب قد عرفت طريقها * ولكن بلا قلب الى أين أذهب

فسألت الحضار عن حاله واستكشفت عن موجب بلباله فقالوا الحبيبة التي أنت في بيتها بنت عم المصاب ولنيران هواها في قلبه اشتعال والتهاب ومارآها منذ سنين وله من فراقها زفرة وأنين يقول الاصمعي فمضيت الى البيت طالبا بلعل وليت وقلت ياراحة جراحة كل قلب كئيب أرى فيكم حرمة وذماما لكل غريب وقد جئت اليك مستشفعا في أمر هذا الشاب فتعطفي عليه باستمالة قلبه المصاب وزودي قرة عينه بنور الجمال وتكافي مسرة قلبه بسعادة الوصال فقالت صلاحه في فراقنا وفوزه في الاحتراق بلواعج أشواقنا فبعد اللتيا والتي قبلت انجاح أمنيتي فذهبت الى المحب وقلت استعد لمشاهدة المحبوب وكن مراقبا للمواصلة المطلوب فبيناذلك هاج الغبار من جانب الحبائب فغشي عليه ووقع في النار التي كانت لديه واحترق بعض أعضائه وازداد عجوبائه فمشيت الى الحبيبة فقالت ياسليم القلب انه لم يطلق مشاهدة غبار نعالنا فكيف يطيق مطالعة أنوار جمالنا قوله معذرة يجوز أن يرفع معذرة على الابتداء لتخصصها بالظرف الواقع صفة لها ويجعل اليك خبرها ولكن السماع هو النصب ولو أنصفت جملة شرطية حالية أي لو عدلت لما جرعتني مر الملام ولعذرت من ابتلي بتوالي الآلام ولو ذكرت ماجرى بين المحبين ومحبوبهم المجازي الفاني لقبلت عذر الهائمين في بوادي محبة الحبيب الحقيقي الباقي اه وفي القسطلاني معذرة مني اليك أي اعتذر معذرة ويصح رفعها على انها خبر مبتدا محذوف أي هذه معذرة أو على انها مبتدا ومني صفة له واليك خبره ولو أنصفت لم تلم أي لكنك لمت فلم تنصف ولو حرف امتناع لما كان سيقع لوقوع غيره ولم تلم جوابها وبنو عذرة قبيلة من اليمن كما قاله الجوهري اذا دخل أحد منهم الهوى لم يزل به حتى يقتله قال وفي هذا البيت اشارة الى أنه ينبغي للعبد أن يستغرق في طاعة الله رجاء أن يكون من أوليائه ولا عليه من عذل من عذله على ذلك وليجتهد

يسمع عذلهم أى لا يقبله وفى الحديث حبك الشئ يعمى و يصم وقد يتلذذ المحب بسماع ذكر حبيبه من العاذل كما قال العارف ابن الفارض

أدر ذكر من أهوى ولو بملامى ❊ فان أحاديث الحبيب مدامى

فلى ذكرهم يحلو على كل حالة ❊ ولو مزجوه عذلى بخصامى

قال الثعالبى فى فقه اللغة يقال فى أذنه وقر فان زاد فهو صمم فان زاد فهو طرش فان زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صلخ وكان ينبغى للمصنف أن يأتى بما هو أعلى من الصمم الا أنه لم يستقم له الوزن الا بذكر الصمم ولا محل لجملة محضتنى هنا لأنها اما مستأنفة أو تفسيرية للوم اللائم المتقدم وجملة اسمعه فى محل نصب على انها خبر ليس اه قال العلامة السعد محضت الشئ أخلصته وصفيته عما لا ينبغى والمحض من الشئ الصرف الخالص اسمعه قبله كما فى سمع الله لمن حمده ولكن للاستدراك وهو دفع توهم تولد من كلام سابق ولما كان مظنة أن يقال لم لا تسمع استأنف بقوله ان المحب وقوله عن العذال متعلق اما باسمعه أو بصمم وهو أولى من جهة المعنى ولا بأس بتقديم معمول المصدر اذا كان ظرفا اذ يكفى فيه رائحة الفعل كما نص عليه الشيخ فى قوله تعالى فلما بلغ معه السعى وفى صمم خبر ان أى كائن فى صمم عن سماع كلامهم جعل الصمم ظرفا مبالغة فى بيان عدم القبول يعنى أحاط بى الصمم احاطة الظرف بالمظروف اذ حبك الشئ يصم ويعمى حديث معروف اه وفى أبى السعود المحض الخالص من المغاير يقال خير محض وشر محض أى خالص أحدهما من الآخر والنصح والنصيحة بمعنى وهو الدلالة على ما فيه الصلاح قولا والعذال جمع عاذل وهو اللائم والمعنى لقد أخلصت النصيحة ونزهتها عن التهمة والريبة ولكنى لم اسمعها مع انى عالم بكونها نصيحة خالية عن شوائب الريبة مبرأة عن مخايل الغريبة لما أظهر ما هو عليه من الحال كان قائلا قال اذا كنت عالما بانها نصيحة خالصة وموعظة صالحة فلم طويت عنها كشحا ولم تلمح الى نحوها لمحا فقال ان المحب الصادق والعاشق الوامق محتجب عن عذل العاذلين متحصن عن وشى الواشين فى خباء الصمم لان سماع العذل فوق مرتبة الالم قال الشاعر

عذل العواذل فى هواك مضيع ❊ هب أنهم عذلوا فمن ذا يسمع

❊ ثم لما اعترف له على طريق التسليم الجدلى بانه محض النصح فلم يرجع عن اللوم اتهمه فى عذله فكان السائل قال له كيف تتهمنى فى العذل فقال له

❊ انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى ❊ والشيب أبعد فى نصح عن التهم ❊

أى انى اتهمت الناصح الذى هو ابرأ من كل تهمة وأصدق من كل ناصح وهو الشيب فانه دليل انهزام القلب وانهدام القالب والسعيد من يتعظ بوعظه قال ابن أبى

فيكون دعاء له ثم كان سائلا قول كيف ذلك الحال فاستأنف بقوله لا سرى ولا يعنى لبس والسر الامر الخفي وجمعه لاسرار والوشاة جمع واش من الوشي يعني النم لان النمام يزين كلامه حسبه قطعه فانحسم يعني بامن أطال اللسان في الملامة ومن ملامته أقامت على العشاق القيامة مكنونات ضمائري غير مستورة عن الوشاة ومستورات سرائري غير مكنونة لدى الشكاة ولعمري لا انحسام لدائي ولا انقطاع لرجائي فلا تسع في هتك الاستار وتلق بالقبول للاعذار فانك لو ابتليت بما ابتليت به من الغرام لما أطلت على الصب المتيم لسان الملام اه وفي أبي السعود عدتك أي جاوزتك والحال الشأن يقال ما حال فلان أي ما شأنه والسر ما يكتم وقد يطلق على محل الكتم قال الشاعر

ثبت حبك في سري وفي خلدي ❊ فذاك دمعي على الخدين للواشي

والاستتار ضد الافتضاح والانتهاك والوشاة جمع واش من الوشي وهو النقش والتزيين والمراد به هنا النميمة وانما سمي النمام واشيا لانه يزين كلامه وينقشه ليروج قال الشاعر

لقد حسن الواشون في العذل قولهم ❊ لتقبله الاسماع والسمع يخدع

والداء المرض والحسم قطع الشيء استئصالا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في السارق اقطعوه ثم احسموه أي اكووه لينقطع الدم والمعنى يقول للائم داعيا له مستعطفا اياه طمعا منه في أن يريحه من اعياء الملام وأن يتركه على ما هو عليه من الغرام جاوزتك وتعدت عنك مصيبتي فانها لا ترتضيها مسلم لعدوه فضلا عن أن يرتضيها أحد لاصدقائه واما ان حمل على كونه دعاء عليه فالمعنى أيها الظالم الجافي والعاذل المتعدي الجاني ابتلاك الله بما ابتليت به وسلط عليك ما سلط الله على من حالة ليس من شأنها ان يلام صاحبها ولا يعير راغبها فان من عير أخاه بذنب أوشك أن يقع فيه أما سمعت قول من قال من أظهر الشماتة لاخيه اوشك أن يعافيه الله ويبتليه فكأنه قال وما حالتك نشرحها له بكونها حالة من حقها أن لا يتعرض للوقوع فيها تحذيرا منه عليه أن يكف عنه الملام فيخلص بما هو أمر من ضرب الحسام ووقع السهام وطعن السمهري الذي سنانه كسنان الضرام اه

❊ ولما كان العاذل انما أبدى عذله في صورة النصح وكان أبغض شيء الى المحب العذل على اى حال كان قال له

❊ محضتني النصح لكن لست أسمعه ❊ ان المحب عن العذال في صمم ❊

أي أخلصت لي النصح بعمك وانا لا أسلم لك ذلك سلمت انه كما ذكرت لكن لست أسمعه منك أي لا أقبله ثم أبدى عذره في ذلك بقوله ان المحب عن العذال في صمم فلا



اضافة الصفة للموصوف أى الشيب الناصح والعذل بفتح الذال وسكونها الملامة والشيب بياض الشعر وجملة اتهمت نصح الشيب فى محل رفع على انها خبران والرابط فيها ضمير المتكلم واضافة العذل الى ياء المتكلم من اضافة المصدر الى المفعول والجملة الاسمية فى محل نصب على الحالية وفى البيت روايات عذل بالتنوين وعذلى بالاضافة فعلى رواية التنوين يكون عوض المضاف اليه ثانيها نصح بالتنوين ونصحى بالاضافة وثالثها من وعن وهما متقاربان معنى وان امتاز كل منهما عن الآخر بخصوصية يختص بها (والمعنى) ان عدم قبولى لنصحك ايها الناصح مع انك قد اتيت بمحض النصيحة ليس ذلك ببعيد وليس ذلك اول نصيحة عصيت فيها الناصح الشفوق ولا اول موعظة لبست من مخالفتها الروق فانى قد اتهمت ناصح الشيب الذى ليس فى نصحه شك ولا ريب مع ان الشيب الفاضح والبياض الفاضح ابعد فى النصح عن التهمة من كل ناصح اه ❊ ولما كان قوله انى اتهمت نصح الشيب يستلزم انه لم يعطف ولم يأخذ بقوله أخذ يبين علة ما أجمله فى ذلك فقال

❊فان امارتى بالسوء ما اتعظت ❊ من جهلها بنذير الشيب والهرم❊

أى ان نفسى الامارة لم تقبل موعظة الشيب من أجل ان جهلت انذار المشيب والهرم وهو كبر السن وضعف القوى فنذير على هذا بمعنى المصدر أو يكون مراده بالشيب النذير فيكون من باب اضافة الصفة الى الموصوف ويكون التقدير أيضا ونذير الهرم أى والهرم النذير أو انذار الهرم على التقدير الاول فان قيل اضافة امارة التى عنى بها نفسه الى ياء المتكلم وهى أيضا نفسه تقتضى ان تكون على هذا نفسه امارة مأمورة والعقل يقتضى تغايرهما وأجيب بأن الانسان ان عزم على شئ تردد فيه فتارة يشتد عزمه على فعله وتارة على تركه فهما خاطران فالصواب منهما النفس المطمئنة وهى المأمورة بمخالفة النفس الامارة قال بعضهم والاولى ان يقال ان الامارة هى النفس والياء المضاف اليها هى البدن وهو المأمور فالنفس مستولية بسلطانها على البدن تصرفه فى شهواتها الى ان يزعها وازع العقل وذكر بعضهم ان النفس تنقسم ثلاثة أقسام لثلاثة أحوال امارة وهى التى لا يلوح لها مطمع الا تعرضت له ولا تبرز لها شهوة الا اقتنصتها لم تسلك طريق الرشاد ولا استضاءت بنور السداد ولا احكمتها الرياضة فهى تهيم فى واد من البطالة وذلك المعبر عنه بالهوى وقد ذكرها الله تعالى فى قوله ان النفس لامارة بالسوء ومطمئنة وهى التى ثبت لها من الله العصمة وسبقت لها منه تعالى السعادة وسميت مطمئنة لاطمئنانها الى ذكر الله تعالى وقيل الى الايمان وقيل الى التصديق بوعد الله وقيل غير ذلك قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك الآية ولوامة وذكرها الله تعالى

شامة والمراد بنصيحة الشيب دلالته على قرب الموت المقتضى للاستعداد وباتهامه حمل وقوعه على غير او انه لئلا يستعد اه قال السعد يعني يا من بالغ في امحاض النصح والتصدي للملام كأنك ماذقت جرعة من صهباء الغرام

اذا كنت خلوا فاعذر الصب في الهوى ❊ فما المبتلى والمستريح سواء

لقد لمت أهل الحب مثلك في الهوى ❊ فها انا ازرى مثلهم وأساء

فما اعتقادك فيمن يحترقون بنار المحبة والتهابها ألهم قلوب يعقلون بها ام لهم آذان يسمعون بها أتظن ان المحب لا يتهم العذال ولا تضرب عنهم الصفح في تضييع المقال فمالك ولاضاعة الكلام أما تدري ان البلاغة في رعاية مقتضى المقام

والصمت أجمل بالفتى ❊ من منطق في غير حينه

هب انك ماحض في النصح والملام وبعيد عن مواقع الاتهام أما تعلم ان نصيح الشيب والهرم العد في عذله عن مواضع التهم واني مع اني رأيت النسر (٢) عزابن دايه وفي وكريه معششا وردع الشباب بنزول ضيف المشيب موحشا ولي في ذكر عهد الشباب زفرة تحرق الحشا

فمخزون دمعي بعد فقدانه همى ❊ ومكنون سري عقب هجرانه فشا

مع هذا أتهم نصيح الشيب فعليك ان لا تحوم حول العتب وحمى العيب اه وفي القسطلاني يصح ان يكون العذ افعل تفضيل وهي الرواية ويصح ان يكون فعلا ماضيا ومعنى كون الشيب نصيحا انه منذر بقرب الاجل وحلول الموت الموجب لاشتغال العبد بما يقربه الى مولاه زلفى ويورثه لديه حسن العقبى وليس بعد بياض الزرع الا حصاده وقيل في قوله تعالى وجاءكم النذير انه الشيب وكان الشيب يقول للمحب اترك ما أنت عليه من الهوى واشتغل بما ينفعك في اخراك كصورة ما يبديه العاذل في نصحه وما أحسن قول قمر الدولة

لما رأيت المشيب في الشعر الا سود قد لاح قلت واحزني

هذا وحق الاله احسبه ❊ اول خيط سدى من الكفن

اه وفي أبي السعود اني اتهمت من التهمة وهو ظن ما فيه ريبة غير مطابقة للواقع ونصيح بمعنى ناصح كفضيل وفصيل بمعنى فاضل وفاصل فالاضافة حينئذ من قبيل

---

(٢) قوله رأيت النسر عزابن داية الخ فيه تلميح لقول الشاعر

ولما رأيت النسر عز ابن داية ❊ وعشش في وكريه جاش له صدري

النسر مستعار للشيب وعز غلب وابن داية الغراب والمراد منه سواد الشعر والوكران الرأس واللحية والمعنى ان الشيب المشبه بالنسر في البياض غلب سواد الشعر المشبه بالغراب وسكن في وكريه اللذين هما الرأس واللحية اه مؤلفه

شامة والمراد بنصيحة الشيب دلالته على قرب الموت المقتضي للاستعداد وباتهامه
حمل وقوعه على غير او انه لاثلا يستعد اهـ قال السعد يعني يامن بالغ في امحاض
النصح والتصدي للملام كأنك ماذقت جرعة من صهباء الغرام

اذا كنت خلوا فاعذر الصب في الهوى ❀ فما المبتلى والمستريح سواء

لقد لمت أهل الحب مثلك في الهوى ❀ فها انا ازرى مثلهم وأساء

فما اعتقادك فيمن يحترقون بنار المحبة والتهابها ألهم قلوب يعقلون بها ام لهم آذان
يسمعون بها أتظن ان المحب لا يتهم العذال ولا نضرب عنهم الصفح في تضييع
المقال فمالك ولاضاعة الكلام أما تدري ان البلاغة في رعاية مقتضى المقام

والصمت أجمل بالفتى ❀ من منطق في غير حينه

هب انك ماحض في النصح والملام وبعيد عن مواقع الاتهام اماتعلم ان نصح
الشيب والهرم ابعد في عذله عن مواضع التهم واني مع اني رأيت النسر (٢)
عزابن دايه وفي وكريه معششا وردع الشباب بنزول ضيف المشيب موحشا
ولي في ذكر عهد الشباب زفرة تحرق الحشا

فخزون دمعي بعد فقدانه همى ❀ ومكنون سري عقب هجرانه نما

مع هذا أتهم نصيح الشيب فعليك ان لاتحوم حول العتب وحمى العتب اهـ وفي
القسطلاني يصح ان يكون ابعد افعل تفضيل وهي الرواية ويصح ان يكون فعلا
ماضيا ومعنى كون الشيب نصيحا انه منذر بقرب الاجل وحلول الموت الموجب
لاشتغال العبد بما يقربه الى مولاه زلفى ويورثه لديه حسن العقبى وليس بعد بياض
الزرع الاحصاده وقيل في قوله تعالى وجاءكم النذير انه الشيب وكان الشيب يقول
للمحب اترك ما أنت عليه من الهوى واشتغل بما ينفعك في اخراك كصورة ما يبديه
العاذل في نصحه وما أحسن قول قمر الدولة

لما رأيت المشيب في الشعر الا ❀ سود قد لاح قلت واحزني
هذا وحق الاله احسبه ❀ اول خيط سدي من الكفن

اهـ وفي أبي السعود اني اتهمت من التهمة وهو ظن ما فيه ريبة غير مطابقة للواقع
ونصيح بمعنى ناصح كفضيل وفصيل بمعنى فاضل وفاصل فالاضافة حينئذ من قبيل

---

(٢) قوله رأيت النسر عزابن دايه الخ فيه تلميح لقول الشاعر

ولما رأيت النسر عزابن دايه ❀ وعشش في وكريه جاش له صدري

النسر مستعار للشيب وعز غلب وابن داية الغراب والمراد منه سواد الشعر والوكران
الرأس واللحية والمعنى ان الشيب المشبه بالنسر في البياض غلب سواد الشعر
المشبه بالغراب وسكن في وكريه اللذين هما الرأس واللحية اهـ مؤلفه

﴿ولا اعدت من الفعل الجميل قرى * ضيف ألم برأسي غير محتشم﴾

أي النفس الامّارة ما اتعظت من جهلها ولا اعدت أي هيأت من الفعل الجميل أي الحسن قرى ضيف الم بتشديد الميم أي نزل برأسي غير محتشم أي غير مستحي ولا منقبض لان من آداب الضيف ان لا يكثر الاقامة عند من اضافه حتى يخرجه فمن لا يفعل ذلك من الضيفان كان غير محتشم فعلى العاقل ان يستعد بالاعمال الصالحة لضيافة ضيف الشيب الذي اذا نزل لا يرتحل الا بالموت فانه ان اخر الاستعداد الى نزوله قد لا يتمكن من شئ لسرعة الرحيل وضيق الوقت ووجه تشبيه الشيب بالضيف ان الذي كان ملازما للانسان قبل الشيب هو الشعر الاسود فلما تبدلت صفته كان كالضيف الاجنبي ولما كان نذيرا بانقضاء العمر صار بلسان حاله كالطالب للمبادرة للاعمال الصالحة التي هي زاد الآخرة كما يطلب الضيف قراه تصريحا أو حكما وقاف قرى مكسورة اه قسطلاني وفي شرح العلامة السعد أعده هيأه ومن لابتداء الغاية متعلق باعدت أو لبيان القرى والفعل الجميل هو المستحسن شرعا أو عقلا وقراه أي اضافه قرى وهو يطلق على المصدر والحاصل به أي فهو ما يهيأ للضيف وألم نزل وهو صفة ضيف والاحتشام الاستحياء بالاحترام وغير بالجر صفة ضيف وبالنصب على انه حال من ضيف ثم قال رحمه الله ولما استعار اسم الضيف للشيب رشحها بلفظ قرى ومعناه ان نفسي ماهيأت شيأ من الاعمال الجميلة لضيافة ضيف كريم نزل برأسي اى ماتابت النفس عن ضلالها القديم ولم تقدم من الرجوع الى الله تعالى قرى الضيف الكريم وما نزلت على الاشياء البرية بجذبات الالوهية اه وفي أبي السعود الاعداد تهيئة الاسباب والفعل ههنا أعم من فعل الجوارح والقوى النفسانية والقرى بالكسر ما يضيف به والاحتشام الاستحياء وضمير أعدت عائد الى الامارة ومحتشم يجوز أن يكون مبنيا للفاعل ويجوز أن يكون مبنيا للمفعول وفي قوله قرى ضيف الم برأسي استعارة تحقيقية تصريحية لانه شبه الشيب بالضيف وذكر المشبه به (والمعنى) ان النفس لم تتخذ من الفعل الحسن الجميل ما يصلح أن يجعل وليمة وضيافة لضيف نزل على راسي واستولى على حواسي غير هتاك كما هو دأب المحتشمين بل نزل مستعجلا أهوج كما هو مجرى المستعجلين هذا اذا كان محتشم مبنيا للفاعل فان كان مبنيا للمفعول كان المعنى من غير توقير له واحترام اه * ولما بين أن نصيح الشيب لا ينبغي ان يهمل نصحه واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الامّارة وانه كان يرتقب حلوله فلما لم يتم له مناه ولم يطابق فعله بعد ظهور مانواه لغلبة النفس الامارة ورأى من سوء العقاب وتقبيح افعال من الناس مالم يكن قبل رآه ندم على ان لا يكون كتمه عند ظهوره وأخفاه فقال

بقوله ولا أقسم بالنفس اللوّامة وهي التي ان وقعت في معصية بسابق القضاء رجعت بالملامة على ذاتها وتلك حالة جيدة ولعلها ان شاء الله عاقبة جميلة قال جعفر الصادق رضي الله عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها وقيل النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجري على طبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أعرض عن الجهد فقد أطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية اهـ قسطلاني قال العلامة السعد المعنى ان نفسي الامارة بالسوء والعيب ماقبلت الوعظ من نذير الشيب فتمادت في غواية الجهل بعد الهرم وما كبحت عنان جمع الشهوة بايدي الندم واعلم ان الناظم نظمه الله سبحانه وتعالى في سلك اوليائه قد اورد أصول الصفات النفسانية في عدة ابيات ورتبها على حوبائه اقتداء بالنبي الكريم الذي قال هضما لنفسه وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء واقتفاء لاثر الحبيب الذي سلك طريق كلام المنصف في قوله ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون ولسلوك هذه الطريق شأن عجيب في البلاغة لانه يكون أكثر ابساطا وداعية لاصغاء السامعين وأقوى ذريعة لاصاختهم من حيث لايخاطبهم بما تمجه اسماعهم وتنفر عنه طباعهم فاذا لم يضربوا في اول الامر عن كلامه صفحا ولم يطووا دون مرامه كشحا يستدرجهم بالقاء الحق عليهم من حيث يألفون فالصفات المذكورة من صفات المخاطب لكن المتكلم أثبتها لنفسه لرعاية النكتة التي نبهناك عليها ولما آل الكلام الى هذا أوجب علينا تمهيد مقدمة لمعرفة ماهية النفس وطريق تزكيتها ثم سرد رحمه الله تعالى المقدمة فارجع اليها ان شئت اهـ وفي أبي السعود الامارة هي النفس التي تأمر الانسان بالشر واليه الاشارة في قوله تعالى فامامن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى والسوء بالضم والفتح هو الامر الضار أو الفاحش والاتعاظ الموعظة والجهل معلوم والنذير من الانذار وهو التخويف واضافة النذير الى الشيب من اضافة الصفة الى الموصوف والتوكيد بان ههنا لان عدم الاتعاظ بنذير الشيب والهرم مما فيه غرابة فكان محلا للانكار أو التردد فوجب أو حسن تأكيده وهذا البيت تعليل للاول فلذلك أتى فيه بالفاء (والمعنى) ان النفس الامارة التي هي بالمرء غدارة من شدة جهلها وفرط عتوها لم تتعظ بواعظ الشيب ولم تنزجر بنذير الهرم عن العيب وكأني بها متمثلا بقول الشاعر

وقائلة هلا انتهيت عن الهوى ❊ فقد لاح صبح في دجاك عجيب
فقلت دعي عني الملام ولوعتي ❊ فان السكرى عند الصباح يطيب

بردع نفسي السائمة في فلوات الشهوات عن مرعى آثامها كما يرد جماح الخيل عن الغيا في المهلكة الى طريق القصد بلجامها وفي هذا البيت اشارة الى أن رياضة النفوس المعبر عنها بالتزكية أصل جميع العلاج كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وهي لا تتيسر الا بأنض عالم بقوانين الرياضة فائض على الطالب سجال الافاضة ولا تظن أن تزكية النفس تتيسر بطريق العقل كما ظنت الفلاسفة والبراهمة وغيرهم من الجهال وشرعوا في تزكية نفوسهم بالرياضات والمجاهدات فوقعوا في الآفاق والشبهات والضلالات فان تزكية النفوس كمعالجة الابدان فكما لا يجوز للمريض استعمال الادوية الا بنظر طبيب حاذق ذي تجربة في المعالجة كذلك تزكية النفس لا تتيسر الا بنبي حاذق أو ولي ذي تجربة في هذا الشان وهذا أحد أسرار بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم الحذاق في تزكية النفوس ولهذا بعثهم الله تعالى ليزكوا بعلاج الشرائع نفس كل قنوط ويؤس فالناظم رحمه الله تعالى يتمنى من يضمن له هذا الشان ويرد جماحه عن غواية الطغيان اه وفي أبي السعود الرد الارجاع قال تعالى فرددناه الى أمه أي أرجعناه والجماح اباء الدابة من صاحبها عن ان تمكنه من الركوب والغواية سلوك طريق لا يوصل الى المطلوب وهو ضد الهداية والخيل اسم جمع وقيل جمع واللجم جمع لجام وهو الحديدة المعترضة في فم الفرس وهو من المعربات ومن استفهامية ولي متعلق بمقدر أي من يتكفل ويرد متعلق به أيضا ومن غوايتها متعلق برد ويجوز أن يتعلق بمقدر أي كائن وهو صفة جماح والضمير في غوايتها عائد الى الامارة وما في كما رد مصدرية والجملة في محل جر واضافة جماح الى الخيل اما لامية واما بمعنى من (والمعنى) من يتكفل لي بأن يرد النفس الغاوية عن طريق الضلال الآبية عن طريق الهداية والاعتدال كما ترد الخيول الجامحة باللجام وفي الاستفهام عن اشارة الى أن رد النفس عن طريق الارتياب الى طريق الصواب خارج عن طوق البشر وما هو الا من فعال من قدر القضاء والقدر وهذا نوع من الاعتذار واظهار العجز والافتقار اه وهو منه رضي الله عنه رجوع لمقام الحقيقة وان العبد في قبضة القدرة يقلبه كيف يشاء وان نظرت الى الشريعة فالعبد مجبور في قالب مختار ولذا قال سلطان العارفين السيد الدسوقي لو نظرنا للخلق بعين الحقيقة عذرناهم ولو نظرناهم بعين الشريعة مقتناهم نسأل الله الهداية والتوفيق عنه وكرمه ولذا قال بعض العارفين

الكل تقدير مولانا وتأسيسه ❊ فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل لقلبك اذا زادت وساوسه ❊ ابليس لما غوى من كان ابليسه

❊ ولما استفهم استفهام استعطاف عمن يتكفل له برد جماح نفسه ردا عنيفا

﴿لو كنت اعلم اني ما اوقره ۞ كتمت سرا بدا لي منه بالكتم﴾

أي لو كنت أعرف وأتيقن قبل نزول الشيب اني ما أوقره بعد نزوله بي أي لو كنت اعلم اني ما أعظمه واترك فعل القبيح استحياء منه كما نويت قبل نزوله كتمت أي أخفيت سرا بدا لي أي ظهر لي منه بالكتم خضبا أو بغيره مما يخضب به والكتم محركة نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقي لونه قاله في القاموس وعبر الناظم عما بدا له أولا من الشيب بالسر لانه قبل ظهوره خفي كحديث النفس الذي لم يظهر أولانه منذر بقرب الاجل الذي كان خفيا قيل لا معنى لقوله لي لولا الوزن فان المستقبح منه ما يبدو لغيره في لومه لا ما يبدو له هو وأجيب بأنه اذا ظهر الشيب فاول ما يطلع عليه صاحبه في الغالب لاهتمامه بشأن نفسه اكثر مما يهتم به غيره فلذا قال لي فليس قوله لي كالمستغنى عنه كما زعم فقد علم ان قوله لي احتراس ويحتمل أن يكون من البيان بعد الاجمال وهو من باب الاطناب نحو رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وفائدته علم الشيء اجمالا ثم تفصيلا اه قال العلامة السعد المعنى لو أعلم اني ما أراعي حق الشيب وأخالف مقتضاه كنت ألتجئ الى الاستنان بسنة الخضاب لئلا أكون مستحقا لمزيد الطعن ووفور العتاب اه وفي أبي السعود التوقير الاحترام والكتم هو الكتمان بمعنى الاخفاء قال

يداري هواه ثم يكتم سره ۞ ويخضع في كل الامور ويخشع

والسر الامر الذي من شأنه أن يكتم ويستر والكتم بفتح الكاف والتاء نبت يخضب به الرجال لحاهم والنساء رؤسهن وحواجبهن وسرا مفعول كتمت وبدا فعل ماض ومنه متعلق بكتمت لا ببدا كما توهمه بعض الشراح وبالكتم متعلق به أيضا وفي البيت صنعة الاشتقاق (والمعنى) لو كنت في الزمن الاول المتقدم اعلم اني لم أعظم هذا الضيف النازل الذي هو عن قريب راحل لسترت منه بالكتم سرا بدا لي منه في أيام الشباب والصبو ونحو الاحبة والاحباب هذا مقتضى ظاهر عبارته وحاصله اني لو كنت أعلم اني لم أرتدع عن المعاصي عند أخذ الشيب بالنواصي لسترت الشيب بالخضاب عما هو مقتضى الصبوة والشباب والمعنى على القلب فتأمل فيه فان المعنى دقيق اه ۞ ثم استفهم عمن يتكفل له برد جماح نفسه الامارة بالسوء بالمواعظ السنية والاسرار الربانية فقال

﴿من لي برد جماح من غوايتها ۞ كما يرد جماح الخيل باللجم﴾

فقوله جماح أي قوة وغوايتها بفتح الغين المعجمة أي ضلالتها وقوله باللجم أي القوية لا كعنان واعظ الشيب وهذا يسمى استفهام تضرع واستعطاف اه قال السعد يعني من يتكفل لي برد مركوب الجماح عن طريق الغواية الى سنن الفلاح ومن

بوجهه من الوجوه وقد كان قبل ذلك يبكي فلا يسكت حتى يرضع فلما فطم يئس منه فكذلك النفس انما تنفطم عن مألوفها برادع قوي أو لطف خفي المهي وسئل بعضهم عن الاسلام فقال ذبح النفس بسيف المجاهدة ومدى المخالفة اه قسطلاني وفي عبارة بعضهم اعلم ان النفس لطيفة ربانية وهي الروح قبل تعلقها بالاجساد وقد خلق الله الارواح قبل الاجساد بألفي عام فكانت حينئذ في جوار الحق وقربه فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما أمرها الحق أن تتعلق بالاجساد عرفت الغير وحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عنه تعالى فلذلك احتاجت الى مذكر قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهي قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعد تعلقها به تسمى نفسا فالاختلاف بينهم اعتباري اه وفي كتابنا مشارق الانوار نقلا عن الامام خاتمة المحققين الامير ان التحقيق ان النفس والعقل والروح شئ واحد وهي اللطيفة الربانية وتختلف بالاعتبار فمن حيث ان بها قيام البدن تسمى روحا ومن حيث ميلها الى الشهوات تسمى نفسا ومن حيث ادراك المعارف والكمالات تسمى عقلا اه قال العلامة السعد يعني ان النفوس في التعود بالشئ والانفطام عنه كالاطفال فلا تهمله فيما تشتهيه كل الاهمال فان الطفل ان أهمل شب على حب الرضاع واشتد التذاذه بألوان الاطعمة وضاع وان فصل عن الرضاع رضي بالانفصال وبلغ بالتدريج مبلغ الكمال فالنفس ان تصرفها عن المألوفات الطبيعية واللذات الكاذبات الوهمية الى ادراك الحقائق وذوق اللذات الروحانية تفوز بالسعادات وان ألقيت حبلها على غاربها وتركت سدى دامت حسراتها ولا ترجى نجاتها أهمل الشئ تركه سدى ومانعهده شب الصبي بلغ في الشباب وعلى اما بمعنى مع أي مقارنا معه أو على معناه متعلق بمحذوف هو حال أي حريصا وملازما عليه فطمت الام ولدها فصلته عن الرضاع والجملة الشرطية أعني ان تهمله تفسير وبيان للجملة السابقة والله سبحانه وتعالى اعلم اه وفي أبي السعود المراد بالنفس هنا الامارة بالسوء ويجوز أن يراد بها مطلق النفس والاهمال الترك ومنه قولهم الله يمهل ولا يهمل والشب النهوض والالتهاب قال الشاعر

شب بين الضلوع نارهواكم ❊ وفؤادي من الهوى في التهاب

والنفس يجوز أن تقرأ منصوبة بالعطف على الطعام في البيت السابق لتكون في حيز ان داخلة على التعليل وان تقرأ مرفوعة عطفا على ان والاول أولى لما عرفت وان شرطية وشب جزاؤها والجملة الشرطية تفسير وبيان للجملة السابقة وعلى حب متعلق بشب وهو متضمن معنى النشوز ومن ثمة لم يحتج الى ماذهب اليه بعض الشراح من ان على بمعنى مع أو على معناه متعلق بمحذوف هو حال أي حريصا عليه (والمعنى)

استشعر شخصا قال له لاحاجة الى ردها الا انك اذا أعطيتها ما تتمناه من المعاصى انكسرت شهوتها فرد عليه ذلك بقوله

﴿فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها ❁ ان الطعام يقوّى شهوة النهم﴾

أى لا ترج ولا تتوقع بتمكينها ما تتمناه من المعاصى دفع شهوتها لانها اذا ألفت المعاصى قويت شهوتها وقد استدل على ذلك بقوله ان الطعام يقوّى شهوة النهم أى انّ الطعام يزيد فى شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذى هو شديد الشهوة الى الطعام فتمكينه منه يزيد فى شهوته اليه بخلاف ما اذا رفع من بين يديه فانه لا يجد ما يشتغل به فييأس منه فكذلك النفس اذا حيل بينها وبين المعاصى تيأس منها وتعود الى الطاعة قيل دليله غير ظاهر فان النهم انما تقوى شهوته الى الطعام اذا لم يشبع منه وأما اذا شبع فقد أخذ حاجته منه وأجيب بما حاصله ان العرب تقول تطع تطعم أى ذق تأكل والمعدة أبدا تنفتح لما يلقى فيها من الطعام الا لمانع وقوّتها الجاذبة لا تزال وان امتلأت لاسيما معدة النهم قال العلامة السعد الروم الطلب والباء للاستعانة وضمير شهوتها للنفس والخطاب لكل من يصلح له كما فى قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون والفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف يفهم مما سبق أى ان كنت عرفت انّ النفس الامّارة حريصة على الشرور والقبائح فلا تطلب باستعانة المعاصى كسر شهوتها والنهم بالتحريك افراط الشهوة فى الطعام والنهم بكسر الهاء صفة مشبهة منه فشبه النفس بالنهم والمعاصى بالطعام وانما أكد لكون الطعام مظنة التردد للنفس كما فى قوله تعالى ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون يعنى يامن زين له حب هذه الشهوات من النساء والبنين لا تطلب كسر شهوة النفس بمعصية الله رب العالمين اذ من المقرر والمعلوم لكل عاقل فهم ان الطعام يقوّى شهوة النهم ثم قال وقلع موادّ الشهوة بالجوع وترك الملاذ والشهوات وملازمة الذكر بالجوع أحد أركان المجاهدة وللجوع اختصاص بالمشاهدة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام تجوّع ترانى تجرد تصل الى فالجوع ينبوع الحكمة ومفتاح باب العفة فمن أراد معالجة الشهوة فعليه بالعفة ومن أراد العفة فعليه بالجوع ولاجل الايماء اليه شبه الناظم المعاصى بالطعام وأوجب الاجتناب عنها اه ومثال هذا قوله رضى الله عنه

﴿والنفس كالطفل ان تهمله شب على ❁ حب الرضاع وان تفطمه ينفطم﴾

أى والنفس وهى الروح أو الدم او الجسد كله كالطفل أى المولود ان تهمله أى تتركه شب أى كبر على حب الرضاع لانه قد ألفه وان تفطمه عنه ينفطم ولم يصر ظالباله



فاصرف هواها ولم يقل اصرفها عن الهوى قلت للمبالغة في الصرف فانه قد يصرف الانسان عن الهوى مع بقاء الميل والرغبة امّا اذا انصرف الهوى عن النفس دل على ذهابه بحذافيره اه ❊ وظاهر كلامه ان النفس تصرف عن كل ما تهواه حتى عن الطاعة ان هويتها لكن أزال هذا الاشكال بقوله

❊ وراعها وهي في الاعمال سائمة ❊ وان هي استحلت المرعى فلا تسم ❊

أي ولاحظها وهي في الاعمال الصالحة سائمة أي راعية ولما كان للنفس حظ في افعال بعض العبادات وكان ربما يلحقها الرياء ويمدح الانسان من أجل فعلها فهو يهواها لذلك وهذا القصد قد يخفى على صاحبه انبه على ذلك بقوله وان هي استحلت المرعى أي وجدته حلوا فانه مكث وهمت بالعكوف عليه فلا تسم أي فلا تخرجها الى ذلك المرعى حتى تتفقد دسائسها لان النفوس البشرية الامن رحم الله لا تهوى الطاعة من حيث هي طاعة فاذا استحلتها ومالت اليها امكن ذلك ان يكون لغرض لها في ذلك فيعود هواها كالمكروه المأمور بصرفه عنها وتنقلب الطاعة معصية اه من القسطلاني قال السعد المراعاة بمعنى الرعاية وصيغة المفاعلة للمبالغة وهي في الاعمال جملة حالية والمراد بالاعمال الصالحات سامت الماشية رعت وأسام الماشية اخرجها الى المرعى واستحلى الشيء عده حلوا فمعنى البيت راع النفس في اشتغالها بالاعمال عما هو مفسد ومنقص للكمال من الرياء والعجب والضلال وان عدت النفس بعض التطوعات حلوا واعتادته وألفته فاجتهد في ان تقطع نفسك عنها واشتغل بما هو أشق عليها لان اعتبار العبادة انما هو بامتيازها عن العادة اه وفي أبي السعود وراعها عطف للجملة الفعلية على مثلها والضمير في راعها للنفس والواو في وهي للحال وهي مبتدأ وسائمة خبره وفي الاعمال متعلق بسائمة (والمعنى) احفظ النفس حال كونها راتعة في رياض الأعمال كارعة في حياض الاحوال ومراعاتها في هذه الاحوال ان تحفظها من المفاسد والمبطلات وتصونها عن الخطيات المرديات كالرياء والعجب وان تلاحظ في عملها شيأ من الحظوظ التي تبعد عن القربى وتقصى عن الزلفى وان استحلت بعض الطاعات والتذت ببعض العبادات من الاوراد والنوافل والمسنونات فلا تلق حبلها على غاربها في تلك العبادة ولا ترخ عنانها في تلك الطاعة بل حملها ما هو أشق منها فان أفضل العبادة احمزها والنفس اذا اعتادت على أمر سهل عليها التلبس به ولم يكن لها فيه مجاهدة وخرجت بذلك عن مقام المجاهدة وفاتها الدخول في زمرة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويمكن ان يحمل استحلاء المرعى على حصول العجب بسبب الطاعة ولذلك جاز النهي عن اسامتها في المرعى والمرعى في كل تقدير لا يمكن حمله على الفروض والواجبات فانه

لا ترم بالمعاصي كسر شهوة النفس فانها تشبه الطفل في انك ان تركته وأهملته ولم تردعه عن حب الرضاع نشأ حريصا على حبه فكلما نشأ وترعرع زاد نشاطه وميله اليه وان تفطمه وتمنعه عن الرضاع ينفطم ويمتنع عنه فكذا هي ان تركتها على الميل الطبيعي وتوقها الجبلي ألحت في طلب الشهوات والرغبة الى اللذات وانغمرت في السيئات وان هذبتها بالرياضات ونقمتها بركوب طرق الطاعات تحلت بحلى الطائعين وتزينت بلباس المتقين وأشرقت بلوامع أشعة أنوار العلوم اليقينية والمعارف الربانية اه ❋ ولما شبه النفس بالطفل وكان الطفل لا يؤمر ولا ينهى لانه لا يفهم ذلك وان فهمه فلا يمتثل وانما الشأن في ازاحته عنه ان لا يمكن منه أمرهنا بصرف الهوى عن النفس حتى لا تجده فتتعلق به فقال

❋ (فاصرف هواها وحاذر أن توليه ❋ ان الهوى ما تولى يصم أو يصم) ❋

فقوله فاصرف هواها أي قبل تمكن سلطانه وبادره حال ضعفه على حسب الطاقة ولم يقل فاصرف النفس عن هواها لانها لا تفهم هذا المعنى أو تفهمه ولا تمتثله كالطفل وحاذر أي احذر وتحرز من ان توليه أي تؤمره من الامارة التي هي الولاية ويروى تواليه من الموالاة وقوله يصم بضم الياء من أصميت الصيد اذا رميته فقتلته أو يصم بفتح الياء أي يعيبه من وصمه يصمه وصما اذا عابه والوصم العيب والعار وانما عبر بحاذر دون احذر تنبيها على ان النفس تراقب غفلة صاحبها عنها لتقع في هواها فهي تحاذره كما يحاذرها وفي قوله فاصرف هواها استعارة بالكناية فانه شبه النفس بطالب الامارة وحذفه وأثبت من لوازمه الامر بصرفه عن التولية وانه جائر ظالم لانه ان تولى قتل أو عاب فهي ترشيحية لانها قرنت بما يلايم المستعار منه اه قسطلاني قال السعد الفاء اما فصيحة أي اذا عرفت حال النفس الخ أو للعطف صرفه منعه والهوى اما بمعنى المفعول أو بمعنى المصدر أي ميلها وهوى النفس غلب في العرف على ما هو خارج عن المصلحة ولا يكون له عاقبة جيدة وحاذر بمعنى احذر وصيغة المفاعلة للمبالغة ولاه العمل قلده حذف مفعوله لقصد التعميم مع الاختصار وتولى الامر تقلده وصار واليا عليه أصمى الصيد قتله في مكانه الذي ضربه فيه ووصمه أي جعله ذا عيب والمعنى انه يقول أيها المحترق بنار الهوى والمبتلى بمقاساة شدائد البعد والنوى اصرف النفس عن متابعة الهوى لان اتباعه سبب الضلال والبعد عن حضرة الاله كما قال الله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وكما بعض الصحابة عن الرسول روى ما عبد اله ابغض على الله تعالى من اتباع الهوى فلا تجعل النفس خليع العذار فيما تهواه ولا تكن ممن اتخذ الهه هواه وجعله ضالا لا يرجى هداه والله سبحانه وتعالى الهادي الى سبيل الرشاد اه وفي أبي السعود فان قلت لم قال

ومفاسد كامنة والمراد بها الآفات الكامنة الناشئة من كل من الجوع والشبع اما من الشبع فمثل القوة والغفلة والكسل وغلبة الشهوة واطفاء نور اليقين وغير ذلك واما من الجوع فمثل الحدة وسوء الخلق والنحول والذبول وحدوث الكلال والملال وثوران الخيالات الفاسدة وغير ذلك والفاء للتعليل للأمر بخشية الدسائس خمص بطنه اذا التصق على ظهره والمخمصة شدة الجوع وتنوينها للتفخيم فان الشر هو الجوع الشديد لا اليسير والتخمة عدم انهضام الطعام في المعدة وتعقبه فيها وايذاؤه لصاحبه وقد يفضي الى المرض والى الموت اه وفي القسطلاني واخش الدسائس أي اخش ما تخفيه النفس من المكر حال تلبسها بقليل العبادة وكثيرها وكنى عن قليلها بقوله من جوع وعن كثيرها بقوله ومن شبع كأنه من باب تسمية الشئ بما تؤول اليه لان قلة العبادة تؤل الى الجوع في الآخرة بالنسبة الى شبعها وكثيرها يؤدي الى شبعها ومنه قوله تعالى انى أرانى أعصر خمرا فسمى العنب خمرا فرب مخمصة أي مجاعة شر من التخم جمع تخمة قيل هي فساد الطعام في المعدة والصواب فساد المعدة بالطعام وفسرت أيضا بانها ضد المخمصة ولا يصح فان الشبع ضدها وان لم يتخم وأصل التخمة وخمة فابدلت الواو تاء يعني ان النفس قد تزين لصاحبها قليل العبادة بأن تقول له الاكثار من العبادة يضر بالبدن فيؤدي الى العجز بالكلية والكثير منها مما يؤدي الى الرياء فلازم القليل وداوم عليه ويكون قصدها بذلك الراحة وقد تزين له كثير العبادة بتكثير الثواب ويكون قصدها بذلك الشهرة عند الناس فتمجد وتعظم عندهم حتى لو أمرهم بأمر يتبادرون الى امتثاله وهذا هو الغاية القصوى من مطالب النفس المهلكة وهي مفسدة عظيمة فانه حينئذ يقصد بعبادته غير وجه الله تعالى لكن هذه المفسدة وان كانت عظيمة فانها مع الاستكثار من العبادة قد يسلم له كثير منها وان كان يقصد ببعضها الرياء كالفرائض التي لا رياء فيها وما يفعله منها خاليا وكان بعض المشايخ رحمه الله تعالى يقول اجتهدوا في صلاح ظواهركم فانكم ان فعلتم يوشك أن تصلح بواطنكم ويحكى ان رجلا تعبد سنين ليشتهر بذلك وتودع عنده الامانات لينتفع بها فلم يودع عنده شئ فلما طال عليه الامر وبخ نفسه وقال لو أن هذه العبادة لطلب ما عند الله لكان الفوز الاعظم فعقد التوبة جزما فلما أصبح أتى بأمانة فقال لصاحبها ما كان بيننا وبينها الا ظلام الليل اذهب بسلام وحاصل ما أشار اليه الناظم ان قلة الطعام المكنى عنها بالجوع والمخمصة شر من كثرتها الكائن في بعضها الرياء وهي المكنى عنها بالشبع والتخم اه وفي أبي السعود الخشية الخوف قال تعالى سيذكر من يخشى وقال الشاعر

فلا تغترر في الناس بالمدح والثنا ❁ ولا تخش غير الله والله أكبر

لا يمكن جواز الزجر عنه ويدخل في هذا الاستحلاء كثير من المرديات اللاتي تغفل عنها كثير من الصلحاء ويجب عليهم الاحتراز عنها فان استحلاء ذلك سم قاتل يدسه عدو الله في غذاء روح الناسك فيهلك ولا يدري انه هالك نعوذ بالمالك من مزالق هذه المهالك اه * ثم استشهد على هذا المعنى بقوله

* كم حسنت لذة للمرء قاتلة * من حيث لم يدر أن السم في الدسم *

أي كثيرا ما زينت النفس لذة للمرء قاتلة له من حيث لم يعلم ان السم بفتح السين وضمها دس له في الدسم فاكله ولم يتعقل باطنه مما دس فيه وخص الدسم لانه يعلو الاشياء فيستر ما تحته كصورة العبادة الساترة لما بطن من النية الخبيثة أو لان الدسم لسهولة امتزاج السم به يخفى الا على المنتقد اللبيب كخفاء النيات في العبادات اه قسطلاني قال السعد يعني كثيرا من المرات زينت النفس للمرء لذة من اللذات قاتلة للمرء كالسم والمرء لا يدري ان السم في الدسم لاسيما اذا كان المرء من أهل المحبة والوداد فهلاكه في لذة الطعم وطيب الرقاد وهذا البيت استئناف من مضمون المصراع الثاني من البيت السابق حسنت لذة أي جعلتها حسنا واللذة ادراك الملائم وتطلق على المتلذذ به أيضا والسم بالفتح والضم والدسم بفتح السين اما المصدر أو المعنى الحاصل به وبكسرها شيء ذو دسم والكل هنا صحيح اه وفي أبي السعود التحسين التزيين وهو هنا بمعنى الاستحسان ومنه قولهم من استحسن لنفسه ما استقبح لغيره فليصنع ما شاء واللذة ادراك الملائم ومن حيث اما ان يتعلق بقاتلة أو بحسنت (والمعنى) لا تترك النفس عند استحلائها مرعاها ان تستوفي في المرتع مشتهاها فانها كثيرا ما استحسنت لذة ظاهرها انها من اللذات وباطنها انها من الامور المرديات وذلك لجهلها بالاشياء حيث لم تعلم ان السم القاتل تلقاء الدسم وكلما تلتذ وتستحلي ففيه الالم والسقم قال الشاعر

حلاوة دنياك مسمومة * فما تطعم الشهد الا بسم

ثم قال رضي الله عنه

* واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم *

أي خف المكائد التي تخفيها النفس في الجوع والشبع فالدسائس من الجوع كالحدة وسوء الخلق والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة والكلام في الجوع والشبع المفرطين لان المذموم منهما ليس الا المفرط واما المعتدل الذي بين الافراط والتفريط فممدوح كما يشير لذلك قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا اه قال السعد الدسائس جمع دسيسة وهي الخبيثة يقال له دسائس في هذا الامر أي مكايد خفية



واستكبارا فلذا قال والزم حمية الندم على مافات وأدم الحسرة وسفك العبرات وقد قال عليه الصلاة والسلام مرغبا لامته فى البكاء والأسف على مافات لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع وفى الحديث أيضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا قال القطب الشعرانى فى كتابه تنبيه المغترين ومن أخلاقهم يعنى السلف رضى الله تعالى عنهم رقة قلوبهم وكثرة بكائهم على تفريطهم فى حقوق الله تعالى لعل الله أن يرحمهم وكان على هذا المقام الامام أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وعمر بن الخطاب وأبو الدرداء رضى الله عنهما وكان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه خطان أسودان فى وجهه من مجرى الدموع وكذلك عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وكذلك كان عمر بن عبد العزيز ويزيد الرقاشى والفضيل بن عياض وبشر الحافى ومعروف الكرخى رضى الله عنهم وكان يزيد الرقاشى رحمه الله اذا دخل بيته يبكى واذا قدم اليه الطعام يبكى واذا جلس اليه اخوانه بكى وأبكاهم ويقول هل خلقت النار الا لمثلى وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه طول ليله يبكى ويجول فى داره ويدرج الى الصباح وكثيرا ما يقع مغشيا عليه وكان يصلى فى سطح غرفته ويبكى فى سجوده حتى تجرى دموعه وتتقاطر من الميزاب على النائمين تحته حتى كانوا يظنون انها سحابة مارة فأمطرت عليهم وقد كانت رابعة العدوية رضى الله عنها تبكى وترش دمعها حولها حتى كان يظن الداخل اليها أن ذلك من ماء الوضوء وكان ابن السماك رحمه الله تعالى اذا حمى مجلسه وتباكى الناس يذكرهم ببكاء داود عليه الصلاة والسلام وبكاء سفيان الثورى وداود الطائى والفضيل بن عياض وعمر بن عبد العزيز واضرابهم فيستصغر الناس عند ذلك بكاءهم وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول لان أبكى من خشية الله حتى تخرج من عينى قطرة واحدة أحب الى أن أتصدق بجبل من ذهب وأنا غليظ القلب وكان على رضى الله عنه يقول علامة الصالحين صفرة الالوان وعمش العيون وذبول الشفاه أى من كثرة سهرهم وبكائهم وجوعهم وكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول ليس البكاء بكاء العين انما البكاء بكاء القلب فان الرجل قد تبكى عيناه وقلبه قاس اه وبالجملة فشأن المؤمن أن يكون دائما حزينا كئيبا على ما فرط منه من التقصير ولذا قال عليه الصلاة والسلام قلب المؤمن حزين أى شأنه أن يكون كذلك وقد نقلنا فى كتابنا مشارق الانوار عن القطب الشعرانى وغيره ان أبا حنيفة النعمان مكث نحو الاربعين عاما لا يضع جنبه على الارض وكان فى آخر تهجده يبكى ويقول

فواحزنا أن لا حياة هنيئة ✽ ولا عمل يرضى به الله صالح



والدسائس جمع دسيسة أى المكايد الخفية والفاء فى فرب تعليل للامر بالخشية وشر افعل تفضيل وانما كانت المخمصة شرا من التخم لان أذية الشبع غايتها التقاعد والتكاسل عن الطاعات وهذا نوع من العصيان وأذية الجوع قد تؤدى الى الكفر والتعرض الى الامور الالهية بما لا يعنى خصوصا لمن لم تكن نفسه مطمئنة ولم تألف الرياضات ولم تعتد المجاهدات فانه ربما وقع بذلك فى الكفر وفى الحديث المصطفوى كاد الفقر أن يكون كفرا وان كان له محامل لا يسعها هذا المختصر وللجوع محامل وآثار جلت عن الحصر وناهيك فى ذلك بقوله جل ذكره الصوم لى وأنا أجزى به وان عدم الاكل صفة مختصة به تعالى فهو يطعم ولا يطعم والحق ان كلا منهما حسن اذا وقع على الحد الوسط متجافيا عن طرفى الافراط والتفريط على انه قد يختلف قوة وضعفا بحسب الامزجة فان من غلب على مزاجه البرودة واليبوسة وكان سوداوى المزاج أوصفراويه أضر به الجوع المفرط جدا وعدله الشبع المعتدل واعتدال المزاج أمر مهم يجب على المكلف مراعاته فانه منشأ الاعتدال الاخلاق والافعال والى مثل هذا المعنى الاشارة فى قوله علت كلمته ان من عبادى من يصلحه الجوع فان أشبعته أفسدته وان من عبادى من يصلحه الشبع فان جوعته أفسدته الحديث فالمعيار فيهما مالا يخرج به المزاج عن الاعتدال والله متولى الاحوال اه *ولما أمر بتخليص الاعمال من المفاسد أمر بالتوبة والندم والبكاء على ما عساه يقع منها فاسدا او على ما صدر من المعاصى فقال

*واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت * من المحارم والزم حمية الندم*

أى اطلب اراقة الدمع بالبكاء من عين قد امتلأت من المآثم من أجل النظر الى المحارم التى حرم الله النظر اليها والزم حمية الندم من حميت المريض الطعام اذا منعته منه كأنه قال الزم منع الندم اياك من الوقوع فى المعاصى وبدأ بالتنصل من تبعات العين لان البكاء علامة الندم على جميع ما سلف أولان السبب الاعظم فى الوقوع فى المعصية هو النظر لان الناظر ينظر فيستحسن فيقع فيما لا يحل وقانا الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن بمنه وفضله والبكاء على الخطيئة من أفضل القرب وأسنى الرتب قال عيسى عليه السلام طوبى لمن بكى على خطيئته وانما قال الناظم استفرغ ولم يقل أفرغ لافادة ان ذلك لا يكون الا بالطلب ومعلوم ما فيه من المشقة لاسيما فى طلب ما يخالف هوى النفس وأل فى الدمع للحقيقة أى لا تبقه فيها ما أمكن وذلك قليل فى جنب ما فرطت اه قسطلانى وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنين المذنبين عند الله أفضل من زجل المسبحين ولذا قال العارف ابن عطاء الله فى حكمه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا

واستكبارا فلذا قال والزم حمية الندم على مافات وأدم الحسرة وسفك العبرات وقد قال عليه الصلاة والسلام مرغبا الامته فى البكاء والأسف على مافات لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع وفى الحديث أيضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا قال القطب الشعرانى فى كتابه تنبيه المغترين ومن أخلاقهم يعنى السلف رضى الله تعالى عنهم رقة قلوبهم وكثرة بكائهم على تفريطهم فى حقوق الله تعالى لعل الله أن يرحمهم وكان على هذا المقام الامام أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وعمر بن الخطاب وأبو الدرداء رضى الله عنهما وكان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه خطان أسودان فى وجهه من مجرى الدموع وكذلك عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما وكذلك كان عمر بن عبد العزيز ويزيد الرقاشى والفضيل بن عياض وبشر الحافى ومعروف الكرخى رضى الله عنهم وكان يزيد الرقاشى رحمه الله اذا دخل بيته يبكى واذا قدم اليه الطعام يبكى واذا جلس اليه اخوانه بكى وأبكاهم ويقول هل خلقت النار الا لمثلى وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه طول ليله يبكى ويجول فى داره ويدرج الى الصباح وكثيرا ما يقع مغشيا عليه وكان يصلى فى سطح غرفته ويبكى فى سجوده حتى تجرى دموعه وتتقاطر من الميزاب على النائمين تحته حتى كانوا يظنون انها سحابة مارة فأمطرت عليهم وقد كانت رابعة العدوية رضى الله عنها تبكى وترش دمعها حولها حتى كان يظن الداخل اليها أن ذلك من ماء الوضوء وكان ابن السماك رحمه الله تعالى اذا حمى مجلسه وتباكى الناس يذكرهم ببكاء داود عليه الصلاة والسلام وبكاء سفيان الثورى وداود الطائى والفضيل بن عياض وعمر بن عبد العزيز واضرابهم فيستصغر الناس عند ذلك بكاءهم وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول لان أبكى من خشية الله حتى تخرج من عينى قطرة واحدة أحب الى أن أتصدق بجبل من ذهب وأنا غليظ القلب وكان على رضى الله عنه يقول علامة الصالحين صفرة الالوان وعمش العيون وذبول الشفاه أى من كثرة سهرهم وبكائهم وجوعهم وكان الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه يقول ليس البكاء بكاء العين انما البكاء بكاء القلب فان الرجل قد تبكى عيناه وقلبه قاس اهـ وبالجملة فشأن المؤمن أن يكون دائما حزينا كئيبا على ما فرط منه من التقصير ولذا قال عليه الصلاة والسلام قلب المؤمن حزين أى شأنه أن يكون كذلك وقد نقلنا فى كتابنا مشارق الانوار عن القطب الشعرانى وغيره ان أبا حنيفة النعمان مكث نحو الاربعين عاما لا يضع جنبه على الارض وكان فى آخر تهجده يبكى ويقول

فوا حزنا أن لا حياة هنيئة ❁ ولا عمل يرضى به الله صالح



وانما أطلت الكلام فى ذلك تذكيرا لمثلى نسأل الله سبحانه أن يمدنا بأمداد الصالحين ويحشرنا فى زمرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين * ثم قال رضى الله عنه

*(وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم)*

أى لا تطعهما فيما يدعوانك اليه من التمادى على الغى أو غير ذلك فان مخالفة النفس رأس العبادة وترك شهواتها أول مراتب السعادة ولذا قيل النعمة العظمى الخروج من النفس لانها أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقد سئل المشايخ عن الاسلام فقالوا ذبح النفوس بسيوف المخالفة وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوى وأما الشيطان فعداوته لا تخفى وكيف يقبل اللبيب نصيحته أم كيف يأمن العاقل خديعته انظر فعله مع أبيك وقد أقسم له انه لمن الناصحين فكيف بك وقد أقسم ليغوينك أعاذنا الله منهما ثم نبه الناظم على انه لا يكتفى بمخالفتهما بل لا بد من عصيانهما فقال واعصهما لانه قد يخالف ما أمراه به الى غيره مما يرضيان به وقيل يحتمل أن يريد خالفهما فى المكروه والمحرم معا واعصهما فى المحرم فيكون من عطف الخاص على العام أو يكون من عطف التغاير أى خالفهما فى فى المكروه واعصهما فى المحرم ثم قال وان هما محضاك أى أخلصا لك النصح فيما أبدياه لك فاتهم الناصح من كل منهما ومثل ذلك كان تقول النفس متعنى بهذه الشهوة لامتلئ منها ثم أتوجه الى الطاعة فارغة أو تقول لمن نوى الجد فى العبادات ان الله غنى عنك وعن عبادتك فحافظ على أصل الايمان ويكفيك أو تقول للمنهمك فى العصيان انك قد احترمت أمورا عظاما لا تقبل لك معها توبة فاربح دنياك وأتى بان فى قوله وان هما لانه أمر مشكوك فيه بل لا يفرض الا كما تفرض المحالات فان النصح لا يتصور من جهتهما اهـ من القسطلانى وفى أبى السعود المعنى خالف العدوين ولا تطع الخصمين المرديين اللذين هما النفس الامارة بالسوء والفحشاء والشيطان المردى الذى هو أعدى الاعداء وان فرضنا انهما أخلصا لك النصح من الشوب وبرأ نصيحتهما من كل ريب فلا تركن الى نصيحتهما ولا ترعوين الى ما يبديان من صداقتهما واتهمهما فان اتهامهما هو الحزم وعدم الارتكان اليهما هو العزم فانهما عدوان ضاريان وعلى المضرة والشر مجبولان فان قلت أيهما أشد عداوة وأعظم كيدا قلت النفس فان عداوة الشيطان وكيده لطلب المتابعة وكيد النفس لقضاء وطرها من الشهوات وأربها من اللذات على أى وجه كان فالشيطان اذا استعذت منه بالرحمن نكص على عقبيه وأدبر هاربا والنفس ان لم ترضها بأنواع الرياضات وتقمعها بضروب

من المجهدات لم تأمن مكرها ولذلك قيل أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وأيضا ان الشيطان انما يتمكن منك بسببها فان هي وافقتك على طاعة مولاك لم يجد الشيطان الى اغوائك سبيلا ولا الى اضلالك دليلا حيث انها وسيلة توصله توصيلا وقد انقادت الى ربها وتبتلت اليه تبتيلا فاستعن بربك واتخذه وكيلا واعبده حق عبادته وبجله تبجيلا اهـ ثم قال رضي الله عنه

﴿ولا تطع منهما خصما ولا حكما ❊ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم﴾

أي ولا تطع منهما خصما في ابتداء الامر كما اذا أورد أحدهما الاقدام على المعصية وهذه صورة كون أحدهما خصما فانه حينئذ يزين القدوم عليها والمامور يدفع ذلك بما يعلم من سوء العاقبة فهما خصمان ولا بعد الاشتغال بالمعاصي وهو مراده بقوله ولا حكما لانه اذا استولى سلطان أحدهما فالمكلف يريد التنصل والنفس او الشيطان يزين له البقاء والتسويف وطول الامل ويضرب له أجلا بعد أجل وهذا فعل الحكام فيما يقطعون به الحقوق والامراء فيما يعدون باعطائه فأنت تعرف كيد أي مكر الخصم والحكم أي فأنت تعرف كيد النفس والشيطان اللذين يكون كل منهما خصما مرة وحكما أخرى وهذا البيت قريب من معنى البيت قبله اهـ قسطلاني وفي أبي السعود والتنوين في خصما وحكما للتفخيم وفائدته المبالغة في الزجر عن الاطاعة والمعنى لا تطع من جهتهما خصما ولا حكما كائنا من كان والفاء في فانت تعليلية وأنت مبتدأ وتعرف خبره وفصل الضمير وتقديمه لتقوى الحكم والاضافة في كيد الخصم لامية واللام في الخصم والحكم للعهد الخارجي كقوله تعالى فعصى فرعون الرسول والبيت تأكيد للبيت الاول فكان الاولى الفصل وانما وصل لايهام الزيادة على البيت الاول (المعنى) لا تطع خصما ولا حكما كائنا من جهة النفس والشيطان فانك قد عرفت مكر النفس وكيد الشيطان فلا يخفى عليك حال من هو من قبلهما ومن جهتهما فلا تأمن مكرهما فانه لا يخفى عليك احتيالهما ولا يخفى عليك شرك اغتيالهما واذكر ما عهد الله اليك في قوله ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وقوله وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فان قلت كيف يتصور الخصم والحكم بالنسبة الى النفس والشيطان قلت النفس خصم والشيطان حكم فان النفس اذا مالت الى معصية ادعت على صاحبها ان يؤدي حقها منه وان يوصلها الى ما تاقت أي مالت اليه ونصبت الشيطان حكما يحكم لها على صاحبها بوجوب اداء حقها وايصالها الى ما تتمناه وابلاغها الى تهواه فيأخذ في نصب شركه ويجلب عليه بخيله



وإنما أطلت الكلام في ذلك تذكيرا لمثلي نسأل الله سبحانه أن يمدنا بأمداد الصالحين ويحشرنا في زمرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين * ثم قال رضي الله عنه

*وخالف النفس والشيطان واعصهما * وإن هما محضاك النصح فاتهم*

أي لا تطعهما فيما يدعوانك إليه من التمادي على الغي أو غير ذلك فإن مخالفة النفس رأس العبادة وترك شهواتها أول مراتب السعادة ولذا قيل النعمة العظمى الخروج من النفس لأنها أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وقد سئل المشايخ عن الإسلام فقالوا ذبح النفوس بسيوف المخالفة وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى وأما الشيطان فعداوته لا تخفى وكيف يقبل اللبيب نصيحته أم كيف يأمن العاقل خديعته انظر فعله مع أبيك وقد أقسم له أنه لمن الناصحين فكيف بك وقد أقسم ليغوينك أعاذنا الله منهما ثم نبه الناظم على أنه لا يكتفى بمخالفتهما بل لا بد من عصيانهما فقال واعصهما لأنه قد يخالف ما أمراه به إلى غيره مما يرضيان به وقيل يحتمل أن يريد خالفهما في المكروه والمحرم معا واعصهما في المحرم فيكون من عطف الخاص على العام أو يكون من عطف التغاير أي خالفهما في المكروه واعصهما في المحرم ثم قال وإن هما محضاك أي أخلصا لك النصح فيما أبدياه لك فاتهم الناصح من كل منهما ومثل ذلك كان تقول النفس متعني بهذه الشهوة لأمتلئ منها ثم أتوجه إلى الطاعة فارغة أو تقول لمن نوى الجد في العبادات إن الله غني عنك وعن عبادتك فحافظ على أصل الإيمان ويكفيك أو تقول للمنهمك في العصيان إنك قد اجترمت أمورا عظاما لا تقبل لك معها توبة فاربح دنياك وأتى بإن في قوله وإن هما لأنه أمر مشكوك فيه بل لا يفرض إلا كما تفرض المحالات فإن النصح لا يتصور من جهتهما اهـ من القسطلاني وفي أبي السعود المعنى خالف العدوين ولا تطع الخصمين المردين اللذين هما النفس الأمارة بالسوء والفحشاء والشيطان المردي الذي هو أعدى الأعداء وإن فرضنا أنهما أخلصا لك النصح من الشوب وبرآ نصيحتهما من كل ريب فلا تركن إلى نصيحتهما ولا ترعوين إلى ما يبديان من صداقتهما واتهمهما فإن اتهامهما هو الحزم وعدم الارتكان إليهما هو العزم فإنهما عدوان ضاريان وعلى المضرة والشر مجبلان فإن قلت أيهما أشد عداوة وأعظم كيدا قلت النفس فإن عداوة الشيطان وكيده لطلب المتابعة وكيد النفس لقضاء وطرها من الشهوات وأربها من اللذات على أي وجه كان فالشيطان إذا استعذت منه بالرحمن نكص على عقبيه وأدبر هاربا والنفس إن لم تروضها بأنواع الرياضات وتقمعها بضروب

من المجهدات لم تأمن مكرها ولذلك قيل أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وأيضا ان الشيطان انما يتمكن منك بسببها فان هي وافقتك على طاعة مولاك لم يجد الشيطان الى اغوائك سبيلا ولا الى اضلالك دليلا حيث انها وسيلة توصله توصيلا وقد انقادت الى ربها وتبتلت اليه تبتيلا فاستعن بربك واتخذه وكيلا واعبده حق عبادته وبجله تبجيلا اهـ ثم قال رضي الله عنه

﴿ولا تطع منهما خصما ولا حكما ❊ فأنت تعرف كيد الخصم والحكم﴾

أي ولا تطع منهما خصما في ابتداء الامر كما اذا أورد لك أحدهما الاقدام على المعصية وهذه صورة كون أحدهما خصما فانه حينئذ يزين القدوم عليها والمأمور بدفع ذلك بما يعلم من سوء العاقبة فهما خصمان ولا بعد الاشتغال بالمعاصي وهو مراده بقوله ولا حكما لانه اذا استولى سلطان أحدهما فالمكلف يريد التنصل والنفس او الشيطان يزين له البقاء والتسويف وطول الامل ويضرب له أجلا بعد أجل وهذا فعل الحكام فيما يقطعون به الحقوق والامراء فيما يعدون باعطائه فأنت تعرف كيد أي مكر الخصم والحكم أي فأنت تعرف كيد النفس والشيطان اللذين يكون كل منهما خصما مرة وحكما أخرى وهذا البيت قريب من معنى البيت قبله اهـ قسطلاني وفي أبي السعود والتنوين في خصما وحكما للتفخيم وفائدته المبالغة في الزجر عن الاطاعة والمعنى لا تطع من جهتهما خصما ولا حكما كائنا من كان والفاء في فأنت تعليلية وأنت مبتدأ وتعرف خبره وفصل الضمير وتقديمه لتقوى الحكم والاضافة في كيد الخصم لامية واللام في الخصم والحكم للعهد الخارجي كقوله تعالى فعصى فرعون الرسول والبيت تأكيد للبيت الاول فكان الاولى الفصل وانما وصل لايهام الزيادة على البيت الاول (المعنى) لا تطع خصما ولا حكما كائنا من جهة النفس والشيطان فانك قد عرفت مكر النفس وكيد الشيطان فلا يخفى عليك حال من هو من قبلهما ومن جهتهما فلا تأمن مكرهما فانه لا يخفى عليك اجتنابهما ولا يخفى عليك شرك اغتيالهما واذكر ما عهد الله اليك في قوله ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وقوله وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فان قلت كيف يتصور الخصم والحكم بالنسبة الى النفس والشيطان قلت النفس خصم والشيطان حكم فان النفس اذا مالت الى معصية ادعت على صاحبها ان يؤدي حقها منه وان يوصلها الى ما تاقت أي مالت اليه ونصبت الشيطان حكما يحكم لها على صاحبها بوجوب اداء حقها وايصالها الى ما تتمناه وابلاغها الى تهواه فيأخذ في نصب شركه ويجلب عليه بخيله

ورجله ويبذل جهده وطاقته في خدعه وضله اه * ولما حذر من غوائل النفس وأمر بصرف الهوى عنها ومخالفتها ومخالفة الشيطان خاف على نفسه الرياء فأخذ يغض عنها ويستقصرها طالبا مغفرة الله تعالى فقال

﴿استغفر الله من قول بلا عمل * لقد نسبت به نسلا لذي عقم﴾

أي أطلب ستره وتغطيته من أجل قول صدر مني بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا عمل أي وليس لي عمل أولم اتلبس بعمل موافق لما أمرت به وناهيك به قلة حياء وأكبر زلل وفي ذكر فضل الاستغفار طول يخرج عن المقصود وما أحسن قول القائل

ولو أن فرعون لما طغى * وقال على الله افكا وزورا

اناب الى الله مستغفرا * لما وجد الله الا غفورا

والمراد من قوله استغفر الله الانشاء وهو يطلب مفعولين الثاني مجرور وهو هنا من قول ويجوز حذف جاره نحو استغفر الله ذنبا أي من ذنب لقد نسبت أي اضفت به نسلا أي ولدا الذي عقم بضم القاف اتباعا لضمة العين أي لا يقبل الولد أي ان مثلي فيما تصديت له من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتخلفي عن العمل كمثل الذي ينسب النسل الذي هو الولد للعقيم فكذلك ما نسبت لنفسي من رتبة الوعظ فانها لا تنسب الا لمن يأتمر وينتهي اه قسطلاني وفي أبي السعود الاستغفار طلب المغفرة وهي في اللغة الستر فيجوز أن يكون معنى الاستغفار طلب الستر على الذنب ويجوز أن يكون معناه طلب المغفرة بمعنى عدم المجازاة عليه بما يستحقه من العقوبة فهو بمعنى الصفح ثم قال والمعنى انه لما رأى نفسه في حالة وعظه للغير غير متعظ وعلم انه قد دخل بذلك في زمرة الملومين بقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون تشبث في الاستخلاص من بوائق ما وقع فيه بذيل الاستغفار واستمسك في النجاة من مزالقه بالاعتراف بالتقصير والعثار فقال استغفر الله من قول باللسان لم تؤيد بعمل الاركان فوالله لقد نسبت بذلك الى نفسي الامر الجسيم كمن نسب ولدا الى العقيم وهذا افتراء عظيم وقد أشار في كلامه الى عظم ذنب العالم الذي لم يجر على مقتضى علمه والآمر بالمعروف غير مؤتمر به والناهي عن المنكر غير منته عنه فانهما مخالفان قوله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وانه ذنب يجب الاستغفار منه وعدم العود اليه والى علو مرتبة الاستغفار فانه يأكل الذنوب كما تأكل الحطب النار قال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا اه قال العلامة السعد الغفر في الاصل الستر والاستغفار طلب الستر وغفر

ذنب المذنب ما جازاه بما يستحقه به أو الغفر المحو اه قلت والذى أفاده بعض العارفين من أئمة التحقيق ان ذلك يختلف باختلاف العبيد فمنهم من يتفضل الرحمن عليه ويتم احسانه اليه فيعجل محو ذنوبه قبل آخرته ومنهم من تستر ذنوبه عن الملائكة وتؤخر الى آخرته ثم بعد ان تعدد عليه يعطف بالصفح عنه كما هو معلوم فى حديث البخارى وغيره وقوله بلا عمل صفة لقول أى من قول ملتبس بترك العمل ولقد جلة استئنافية وجواب القسم محذوف والباء فى به للسببية والضمير يرجع الى القول والنسل الولد ثم قال العلامة السعد وعقمت المرأة عقما وعقما وذى عقم هى العقيم والمراد التى لا تلد والمعنى اذا استغفر الله من قول أمر ونهى بلا عمل فانه أمر يستحق صاحبه الزجر والتوبيخ كما قال عز وجل أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم لان فى الامر بالفضائل نوع ادعاء الاتصاف بتلك الامور ولو كان ذلك الامر بدون الاتصاف بها يكون كنسبة الولد الى عقيم بالبهت والزور ومثل هذا الكلام لا يفضي الى اتيان المرام اذ الموعظة ما لم يتحل بمقتضاها المذكر لن تجد سمعا يعيها ولا قلبا تلك الموعظة فيه تؤثر كما قيل ان القول الذى يخرج عن اللسان لم يبلغ الآذان والذى يخرج عن الجنان وقع على الجنان اه وقد سبق لك فى المقدمة فى فضل الاستغفار وما ورد فيه من الآثار ما فيه الكفاية والاعتبار والله أعلم * ولما كان ما مثل به غير ظاهر لكل أحد فسره بقوله

* أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به * وما استقمت فما قولى لك استقم *

الخير بفتح الراء بنزع الخافض تقديره بالخير لكن ما ائتمرت به أنا وما استقمت انا أى ما اعتدلت فما الفائدة فى قولى لك استقم استفهام للتحقير أو للتوبيخ أو للتعجب أو للانكار وأصل استقمت استقومت فنقلت حركة العين التى هى الواو لانها حرف علة الى الساكن الصحيح قبلها وقلبت الواو الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها ثم سكن آخر الفعل للاسناد لضمير الرفع المتحرك فحذفت الالف لالتقاء الساكنين اه قسطلانى وفى أبى السعود الامر هو الطلب على سبيل الاستعلاء ولكن للاستدراك وهو دفع توهم ناشئ من كلام سابق والائتمار قبول الامر والاستقامة الثبات على الامر المستقيم ومنه قوله تعالى فاستقم كما أمرت وقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقول النبى صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا أى لن تقدروا على الاستقامة كما ينبغى فيكون المراد الامر بالاستقامة على قدر الاستطاعة لقوله عليه الصلاة والسلام اذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وفصل هذه الجملة أعنى أمرتك الخير عن الجملة المتقدمة أعنى لقد نسبت لما بينهما من كمال الاتصال لكون الثانية بيانا وتفسيرا للاولى والخير مفعول ثان لامرتك والكاف هو الاول وقيل ان هذا من قبيل الحذف

والايصال والواو فى وما استقمت لعطف الجملة المنفية على مثلها فان قلت المعطوف عليه جملة خبرية والمعطوف انشائية فكيف يصح فى الكلام البليغ قلت قوله أمرتك الخير وان كان خبرا من حيث اللفظ لكنه انشاء من حيث المعنى لان المقصود منه التحسر والتأسف على ما صدر منه فهو من قبيل قوله تعالى رب انى وضعتها أنثى والمعنى يقول اعتبارا وبيانا للعلة الاستغفار أمرتك بالخير الذى انا مأمور به ولم أأتمر بما أمرت ولم أقم على الصلاح كما أمرت مع ان الآمر لى احدر بالاطاعة منى ومع ذلك فانى لم استقم على ما أمرنى به وهل يجوز لى مع مخالفة أمر مثله ان اصير آمرا استغفر الله من ذلك اه ثم قال رضى الله عنه

﴿ولا تزودت قبل الموت نافلة * ولم أصل سوى فرض ولم أصم﴾

أى ولا اتخذت من الزاد قبل سفر الموت المفوت للطاعات نافلة من الاعمال الصالحة التى هى التطوعات بعد اداء الفرائض لان التزود بالفرائض لذلك السفر قد لا يكفى لاحتمال ان يكون فيها نقص فيكمل بالنوافل ولم أصل سوى فرض وكذا لم أصم سوى الفرض أيضا وحذف ذلك لدلالة ما قبله عليه اه قسطلانى وفى أبى السعود التزود هو اتخاذ الزاد واعداده للسفر ولا عطف على ما استقمت وهى مذكرة للنفى وقبل ظرف متعلق بتزودت ولم أصل مفعوله محذوف وسوى فرض استثناء مفرغ والتنوين فى نافلة للتعظيم وفى فرض للتحقير أى لم أتزود نافلة عظيمة يعتد بها ولم أصل ولم أصم سوى فرض حقير لا يعتد به لكونه غير مشتمل على خشوع وتوجه تام ويجوز ان يحمل تنوين نافلة على التحقير أيضا أى لم اتزود نافلة حقيرة فضلا عن العظيمة وفى البيت استعارة مكنية لانه عبر عن الارتحال من دار الدنيا الى دار الآخرة بالسفر وذكر ما هو من لوازم المشبه به وهو التزود والمعنى يقول انى لم اثبت على ما أمرت به من الاستقامة ولم اتحل بملابس أهل الكرامة ولم أتزود فى الاقامة قبل الرحيل الى دار القيامة من النوافل التى هى زاد المتقين والسنن التى هى متاع الصالحين ولم أصل من الصلوات الا ما كتب ولم أصم الا ما وجب وهذا البيت ظاهره خبر والمراد منه التأسف والتحسر على ما فرط فيه مما يحتاج اليه من زاد التقوى التى هى زاد سفر الآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم مالى وللدنيا انما مثلى مثل راكب مار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقام تحت ظلها ساعة ثم راح وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها اه ثم شرع فى مدح سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بقوله

﴿ظلمت سنة من أحيا الظلام الى * ان أشتكت قدماه الضر من ورم﴾

فقوله ظلمت أي بترك ذلك سنة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم من احيا الظلام بالصلاة الى ان اشتكت قدماه من طول قيامه الضر من ورم وسبب تورم قدميه الشريفتين صلى الله عليه وسلم انصباب المواد الكائنة في أعالي الجسم اليهما لسهولة الانصباب حينئذ وعدم استقرارها في الاعضاء كالماء المرسل من أعلى الى أسفل والاستلقاء أو الجلوس أو الحركة تمنع من كثير من ذلك فصارت قدماه بعد ذلك كحالة الشاكي مانزل به من ضرر ذلك الورم وأشار بذلك الى ما أخبرنا به الشيخ الصالح شهاب الدين أبو العباس الجمالي قراءة عليه قال أخبرنا الشيخ أبو اسحق بن عبد الواحد المقري اذنا قال أخبرنا أبو الحسن البندنيجي سماعا أخبرنا أبو منصور بن الهيثي سماعا وأبو محمد المارديني اذنا قال الاول أخبرنا ابن الاخضر أخبرنا أبو الفتح الكرخي وباجازة الثاني عاليا منه أخبرنا أبو عامر الازدي وأبو بكر التاجر قالا أخبرنا أبو محمد المروزي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى بن سورة الحافظ أخبرنا قتيبة وبشر بن معاذ قالا حدثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا اكون عبدا شكورا وقوله ظلمت من الاستئناف البياني كأن قائلا يقول هل أنصفت في اقتصارك على الفرض من صلاة وصيام أو ظلمت فقال ظلمت وفيه حسن التخلص *(تنبيه)* السنة في اللغة الطريقة في الخير والشر وفي الشرع قول الرسول أو فعله أو تقريره وهل السنة التي قالها صلى الله عليه وسلم أو أقر عليها أو فعلها حصلت بطريق الوحي أو بطريق الالهام والالقاء في روعه خلاف حكاه البيهقي في المدخل اهـ وفي أبي السعود الظلم التعدي وتجاوز الحد والظلام والظلمة بمعنى وهو هنا مجاز عن الليل من ذكر اللازم وارادة الملزوم واحياء الليل كناية عن العبادة فيه فان الرجل يحيي بها قلبه والشكوى والاشتكاء اظهار الشكاية وهي بمعنى الشكوى والضر شدة المحنة ومنه قوله تعالى حكاية عن أيوب عليه السلام رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين واسناد الشكوى الى القدمين مجاز والورم ازدياد اللحم في الجسم على غير اقتضاء طبيعي والبيت تقرير للبيت الاول وخروج للمقصود من القصيدة فان قلت لم اضاف السنة الى الموصول ولم يصرح باسم النبي صلى الله عليه وسلم وجاء بهذه الصفة من بين صفاته صلى الله عليه وسلم قلت لما في هذا الاسلوب من شدة الملاءمة لمقتضى المقام من هذا الكلام الذي ساقه ولزيادة التقريع والتوبيخ لنفسه فكأنه يقول لها اذا كان من قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر هذا شأنه فأنى لك في هذا التقصير والادعاء بأنك من أمته وعدم الاقتداء به فان قلت كيف يصح منه الشكاية صلى الله عليه

وسلم لاسيما في أمر العبادة قلت المراد بيان شدة الالم والوجع العائدين الى قدميه الشريفتين من كثرة القيام في الظلام وصوّره بصورة الاشتكاء مبالغة في تلك الشدة ولذلك أسند الاشتكاء الى القدمين تحاشيا عن اسناده اليه صلى الله عليه وسلم والمعنى يقول ظلمت وتعديت على سنة الذي قام في ليله مصليا وأحياه لربه مناجيا ولايسأم القيام في الظلام حتى اشتكت قدماه الضروالشدة والمشقة والمحنة من الورم الطارئ عليهما من شدة القيام والناس نيام وفي البيت تنبيه على كثرة عبادته وغلبة طاعته وأشار الى الحديث الذي رواه المغيرة بن شعبة أنه قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له لم تصنع ذلك وقد غفرلك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال ألا أحب أن أكون عبدا شكورا اه والى هذا المعنى أشار سيدنا حسان رضي الله عنه كما في البخاري الشريف نقلا عنه بقوله

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا ثقلت بالمشركين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ماقال واقع

وقد سبق لك في فضل قيام الليل جملة من الآثار فلا تغفل * ثم أخذ الناظم رحمه الله تعالى يذكر ملازمته صلى الله عليه وسلم النهار بالصيام فقال

* وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم *

أي عصب صلى الله عليه وسلم وربط من سغب أي جوع أحشاءه وهي ما انضمت عليه ضلوعه الشريفة وقوله مترف أي ناعم الادم أي الجلد يعني انه صلى الله عليه وسلم ثنى من جلد بطنه تحت الحجارة كشحا وهو مابين خاصرته وأقصر ضلع من جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض ألم الجوع وانما كان هذا الفعل مسكنا الان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهي اذا امتلأت من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات الجسم وجواهره فتعلقت بها فيتألم الانسان بتلك الحرارة ويتلف بها كثير من جواهر لبدن ورطوباته واذا انضمت الاحشاء والجلد على المعدة خمدت نارها بعض الخمود فقل الالم وفائدة شد الحجر أمران أحدهما تثقيل الجلد ليكثر انضمامه على الاحشاء وهو المقصود بالشد الثاني مافيه من البرودة لتسكن حرارة المعدة وتشتغل ببرودته فان قيل ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن الوصال وقيل له انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فمن هذا حاله كيف يتألم بالجوع حتى يحتاج الى عصب بطنه بحجر فالجواب انما نهاهم عن الوصال لئلا تضعف قواهم فلا يقدروا على الجهاد ولا على القيام بغيره من العبادات ولم ينههم

لاجل تألمهم بالجوع فان التألم سبب الاجر وأفضل العبادات آجرها واذا كان كذلك فهو صلى الله عليه وسلم ضمن الله له قوته وانما تألمه بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من رآه لا يظن ان به جوع لان جسمه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى أشد نضارة من أجسام المترفهين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم رحمه الله تعالى بقوله مترف الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب خاف ممن يتوهم ان جسمه الشريف حينئذ يظهر فيه أثر الجوع فاحترس ودفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم وقول الجوهري انه يقال فلان أترفته النعمة اذا أطغته ان صح ان هذا معنى الاتراف لغة فالاولى بالناظم ان لو قال ناعم مكان مترف فان قيل كيف علم جابر رضي الله عنه ما به صلى الله عليه وسلم من الجوع وأخبر بذلك امرأته وأثر الجوع لا يظهر فيه فالجواب انما عرفه بعد كشف بطنه منه للخدمر كما ثبت في الصحيح اه قسطلاني وفي الشفاء وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي رحمة له مما أرى به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شئ هو أحب الي من اللحوق باخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه اه وفي شرحنا المدد الفياض على الشفاء (قوله ورغد عيشها) الرغد بفتحتين و بسكن الثاني على ما في القاموس (قوله فما أرى به من الجوع) أي من أثر جوعه المختص به (قوله وأقول نفسي الخ) أي والحال اني أقول حينئذ نفسي الفداء بالمد (قوله يقوتك) بضم القاف أي لو توسعت من البلغة وتوصلت الى المتعة بقدر ما يعينك على الطاعة لكان أولى من هذه الحالة (قوله مالي وللدنيا) استفهام انكاري أي لا حاجة لي الى الدنيا (قوله فقدموا على ربهم) أي راضين بقضائه وصابرين على بلائه (قوله استحي) بياءين وفي نسخة بياء واحدة أي فاري نفسي مستحيمة (قوله أن يقصر بي) بتشديد الصاد المفتوحة (قوله دونهم) أي دون مرتبتهم (قوله واخلائي) أي أحبائي في الملة اه وفي أبي السعود الشد الاحكام والربط والسغب الجوع والاحشاء جمع حشا قال في الصحاح الحشا ما انضمت عليه الضلوع وقيل الحشا القلب وحشا

البطن امعاؤه والطى اللف يقال طويت الثوب لففته والكشح الخاصرة والمترف الناعم الغض من الترف وهو النعومة المفرطة والادم والاديم الجلد وقيل انه باطن الجلد كما ان البشرة ظاهره وشد عطف على احيا فهو فى حيز صلة الموصول ومن فى من سغب للسببية وأحشاءه مفعول شد والتنوينان فى سغب وكشحا للتعظيم واضافة مترف للادم لفظية فان مترف اسم مفعول من الاتراف والمعنى انه قد ظلم سنة من شدّ من الجوع والسغب ما ضمته أضلاعه الشريفة من الاحشاء ولف الكشح الذى ادمه مترف وبشرته ناعمة وان لم تكن متنعمة تحت الحجارة القاسية الصماء وظلمه للسنة حيث لم يكن متلبسا بما كان شأنه فعله صلى الله عليه وسلم من رفض الهجوع وملازمة السهر وحب الجوع واذا كان صلى الله عليه وسلم مع زكاء عنصره وطيب نفسه وطهارة قلبه لم يقبل على شبعه فى عمره مرة واحدة فما بال من كثف عنصره وأظلم جوهره وكدر قلبه لم يشبع فى عمره مرة واحدة وروى عن بعض الكبراء ان أول بدعة حدثت فى الاسلام الشبع المفرط ولا شئ أهلك منه للنفس فانه رأس كل فتنة وانما عطف هذه الجملة أى قوله وشد على أحيا نظرا الى قوله فى البيت السابق ولم أصم عقيب قوله ولم أصل وفى البيت الاشارة لما جاء فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يشد على بطنه الحجر من شدة الجوع عن جابر رضى الله عنه قال مكث النبى صلى الله عليه وسلم وهم يحفرون الخندق ثلاثا لم يذق طعاما فقالوا يا رسول الله ان ههنا كدية من الجبل قد عجزت معاولنا عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول ثم قال باسم الله فضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر فحانت منى التفاتة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى جالسا فقلت ما أصابك يا رسول الله فقال الجوع فبكيت فقال لا تبك فان شدة الجوع لا تصيب الجائع فى القيامة اذا احتسب فى دار الدنيا اه وفى شرح المحلى وشد من سغب أى جوع أحشاءه أى أضلاعه وطوى تحت الحجارة كشحا وهو الخصر مترف الادم أى ناعم الجلد فى غاية وشده الحجر على بطنه من الجوع وقع له فى حفر الخندق رواه البخارى عن جابر ومن الحكمة فى ذلك أن يخفف برد الحجر حرارة الباطن وروى مسلم عن أنس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب نفسه بعصابة فسألت عن ذلك فقالوا من الجوع اه قلت وكفى شرفا لهذا الوصف قوله صلى الله عليه وسلم اذا جاع الرجل ملأ الله قلبه نورا ولذلك كان هو الركن الاكبر من الاركان الاربعة التى اتخذتها أهل الطريق موصلة الى الله تعالى رضى الله عنهم وأمدنا من مددهم ❊

ولماذكر من جوعه صلى الله عليه وسلم ماذكر خاف أن يتوهم سقيم القلب عند سماع ذلك انه من فاقة وعيلة فيستبعد ذلك لانه على خلاف قوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى فأردف ذلك بما يدفع هذا التوهم بقوله

﴿ وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيما شمم ﴾

أى وخادعته صلى الله عليه وسلم الجبال الشم أى المرتفعات الرؤس عن نفسها ان تكون من ذهب وتسير معه حيث سار باذن الله تعالى وان تطاوعها نفسه على ذلك وهذا معنى قوله عن نفسه واسناد المراودة اليها يحتمل أن يكون حقيقة بأن يخلق الله تعالى فيها النطق وادراك ذلك ويحتمل أن يكون من مجاز التشبيه فأراها أى بصرها حقيقة بأن خلق الله فيها الادراك أو مجازا أى جعلها تبصر منه شمما أيما شمم لانها لما تاهت بارتفاعها الصورى الذهنى ووثقت بأن يشم رائحتها ويضمها اليه أراها صلى الله عليه وسلم فى أنفه الشمم الدال على الاعراض عنها وعدم الالتفات اليها كما روينا فى كتاب الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وروى انه لما جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك قال له ياجبريل صف لى الدنيا فقال يامحمد حلالها حساب وحرامها عقاب فاختار الفقر والدار الآخرة والاظهر فى قوله من ذهب أن يتعلق بمحذوف أى أن تكون من ذهب كما قررناه ولابد من هذا التقدير للاحاديث الواردة فى ذلك لانها لم تكن من ذهب وانما عرض عليه أن تكون كذلك والذى تقتضيه الاحاديث الواردة فى ذلك أن الجبال التى راودته هى جبال مكة وليس اعراضه صلى الله عليه وسلم عن جبال الذهب عن كثرة مال بل كان مع شدة الحاجة والضرورة كما فهم من الحديث اه قسطلانى وفى الشفاء قالت عائشة رضى الله عنها ولقد مات صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد الاشطر شعير فى رف لى وقال لى انى عرض على أن تجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وفى حديث آخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال ياجبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لاعقل له فقال له جبريل ثبتك الله يامحمد بالقول الثابت وعن عائشة رضى الله عنها قالت انا كنا آل محمد لنمكث شهرا مانستوقد نارا ان هو الا التمر والماء اه. وفى أبى السعود وراودته عطف على شد والضمير المنصوب راجع الى

من ومن في من ذهب بيان للجبال والفاء في فأراها فصيحة أي فلما راودته أراها وأي" منصوب على انه صفة لموصوف محذوف ومازائدة أي أراها شمما كاملا في الشممية لايكتنه كنهه والمعنى انى ظلمت سنة من راودته الجبال الشوامخ وخادعته الاطواد الرواسخ حيث تزينت له في حذا العين وأعرض عنها اعراض المستنكفين وصد عنها صد الآنفين زهدا منه في الدنيا وعلما منه بأن ماعند الله خير وأبقى روى انه صلى الله عليه وسلم قال قيل لي اختر أن تكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاخترت العبودية على الملكية فمن أكب على جمعها وحرص على ضبطها واغتر بزخارفها وانخدع بزهرتها فقد فاته ورشده من أعرض عنها بوجهه وطوى عنها بكشحه اه ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊(وأكدت زهده فيها ضرورته ❊ ان الضرورة لاتعدو على العصم)❊

فقوله ضرورته أي الى بعضها او ضرورته بالرفع فاعل أكدت وقوله ان الضرورة لاتعدو على العصم أي على ذوي العصم لانهم يتنزهون معها عن أشرف الاشياء وأجلها فضلا عن أخسها وهم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيكون مراده الجنس ويحتمل ان يكون المراد الشخص المعهود فيكون مراده محمدا صلى الله عليه وسلم لانه ذو عصمة والعصمة قوة من الله تعالى في عبده تمنعه عن ارتكاب شئ من المعاصي والمكروهات (واعلم) ان القوم تكلموا في الزهد بأقوال كثيرة وكل نطق عن وقته وأشار الى حده قال الجنيد رحمه الله تعالى الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من الشرك وسئل الشبلي رحمه الله عن الزهد فقال لازهد في الحقيقة لانه اما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف يزهد فيه وهو معه وقيل من صدق في زهده أتته الدنيا وهي راغمة ولذا قيل لو سقطت قلنسوة من السماء لما وقعت الا على رأس من لايريدها وأجمع ماقيل في الزهد قول بعض العارفين الزهد ترك ما اشغلك عن الله وقول الشبلي هو ان لاترى سوى الله اه قسطلاني وفي الشفاء قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لايجدون عشاء وعن عبد الرحمن بن محمد هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وعن أنس قال ماأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولاخبز له مرقق ولارأى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كما في صحيح البخاري انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة

بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه اهـ وفي البخاري عن سعيد المقبري رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية بفتح الميم أي مشوية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله تعالى عنه قال لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان بكسر الخاء حتى مات وما أكل خبزا مرققا حتى مات وفي رواية له ولا رأى شاة سميطا قط وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه والدقل بفتح الدال المهملة والقاف تمر ردىء رواه مسلم وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله تعالى فقيل له هل كان لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه اهـ والنقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء الخبز الحوارى أي الناعم وقوله ثريناه بثاء مثلثة ثم راء مشددة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون أي بللناه وعجناه اهـ وفي أبي السعود التأكيد لغة في التوكيد وهي بمعنى الاحكام والزهد في اللغة الترك وقلة الرغبة وفي الاصطلاح على مراتب أعلاها رفض ما سوى الله تعالى والضرورة الحاجة والمراد بها هنا اشتداد الفقر والفاقة والعدم جمع عصمة وهو لطف يفعله الله تعالى بعبده يوفقه به لفعل الخيرات وزهده مفعول أكدت قدم على الفاعل الذي هو ضرورته للاهتمام وفيها جار ومجرور متعلق بزهد لانه مصدر وضمير فيها راجع للجبال وجملة لا تعدو على العصم استئناف كأن قائلا قال كيف تمكن من الاعراض عن الدنيا مع شدة احتياجه فقيل ان الضرورة لا تعدو على العدم والمعنى انه كان مع شدة احتياجه وافتقاره وشد أحشائه من الجوع تحت الحجارة واضطراره الى ما اضطر اليه البشر لا يلتفت الى الجبال الشم من الذهب وكان ذلك مؤكد الزهده صلى الله عليه وسلم فان الاعراض عن الشيء مع شدة الاحتياج اليه دليل جلي وبرهان قطعي على الزهد في ذلك الشيء ثم بين عدم الالتفات مع شدة الاحتياج مع أن الضرورات قد تبيح المحظورات بأن الضرورة والاحتياج لا يغلبان العصمة ولا يستوليان عليها لا يستدلانها على كل محظور فان الله تعالى يخرج الذين آمنوا من الظلمات الى النور فلا يؤثر فيهم خدع الشيطان الغرور ولا تتمكن النفس والهوى أن تجذبهم الى

وأربع فلما أصبح قال ما فرشتموا لي الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه اه وفي البخاري عن سعيد المقبري رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه انه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية بفتح الميم أي مشوية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله تعالى عنه قال لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان بكسر الخاء حتى مات وما أكل خبزا مرققا حتى مات وفي رواية له ولا رأى شاة سميطا قط وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه والدقل بفتح الدال المهملة والقاف تمر ردي رواه مسلم وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله تعالى فقيل له هل كان لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه اه والنقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء الخبز الحوّاري أي الناعم وقوله ثريناه بثاء مثلثة ثم راء مشددة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون أي بللناه وعجناه اه وفي أبي السعود التأكيد لغة في التوكيد وهي بمعنى الاحكام والزهد في اللغة الترك وقلة الرغبة وفي الاصطلاح على مراتب أعلاها رفض ما سوى الله تعالى والضرورة الحاجة والمراد بها هنا اشتداد الفقر والفاقة والعصم جمع عصمة وهو لطف يفعله الله تعالى بعبده يوفقه به لفعل الخيرات وزهده مفعول أكدت قدم على الفاعل الذي هو ضرورته للاهتمام وفيها جار ومجرور متعلق بزهد لانه مصدر وضمير فيها راجع للجبال وجملة لا تعدو على العصم استئناف كأن قائلا قال كيف تمكن من الاعراض عن الدنيا مع شدة احتياجه فقيل ان الضرورة لا تعدو على العصم والمعنى انه كان مع شدة احتياجه وافتقاره وشد أحشائه من الجوع تحت الحجارة واضطراره الى ما اضطر اليه البشر لا يلتفت الى الجبال الشم من الذهب وكان ذلك مؤكد الزهده صلى الله عليه وسلم فان الاعراض عن الشيء مع شدة الاحتياج اليه دليل جلي وبرهان قطعي على الزهد في ذلك الشيء ثم بين عدم الالتفات مع شدة الاحتياج مع ان الضرورات قد تبيح المحظورات بان الضرورة والاحتياج لا تغلبان العصمة ولا يستوليان عليها لاستيلائها على كل محظور فان الله تعالى يخرج الذين آمنوا من الظلمات الى النور فلا يؤثر فيهم خدع الشيطان الغرور ولا تتمكن النفس والهوى أن تجذبهم الى

ق على هذه الدار الدنية التي نحن فيها وتوصف بما توصف به الاسماء قال الحريري

يا طالب الدنيا الدنية انها ❊ شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت في يومها ❊ أبكت غدا تبا لها من دار

ل انها مشتقة من الدناءة لدناءتها وخستها وقيل انما يميل الى الدنيا من هو دنيء
دا فان الجنسية علة الضم ولله أحسن من قال

عتبت على الدنيا لتأخير عالم ❊ وتقديم ذي جهل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم ❊ وأهل النهى ابناء ضرتي الاخرى
أأترك أولادي يموتون جوعة ❊ وأرضع أولاد الضرة في الاخرى

ل الدنيا ما يقطع على العبد طريق الوصول الى مولاه وكيف للاستفهام
نكاري أي لا تدعو وقد يقال انه استبعادي ونيرو رتة فاعل تدعو ومن موصولة
مير لولاه عائد الى الموصول ولم تخرج جواب لولاه والمعنى انه لا يدعو الى الميل الى
نيا والاغترار بزخارفها احتياج من لولا وجود ذاته الشريف وخلقته الشريفة
رج الدنيا عما فيها من الارضين والسموات والعرش والكرسي واللوح
قلم والافلاك والاملاك والعقول والنفوس والارواح والحيوان والنبات
عادن والجن والانس من مكمن العدم الى بروز الوجود فان ما هو متطفل
الشيء تابع له مترتب عليه يمتنع ان تلجأ والحاجة اليه ولا سيما ان كان ذلك الاصل
بلا على الاستغناء منضما على الرفعة والاستعلاء وكان ذلك الامر حقيرا قليلا
سبة الى علو همته وبالاضافة الى رفعة مقداره اه وفي المحلي الاستفهام بمعنى
في أي لا تدعو وقوله لولاه الخ مأخوذ من حديث لما اقترف آدم الخطيئة وكان قد
ى على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فسأل ربه بحق محمد أن يغفر
فقال الله تعالى اذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه الحاكم
بيهقي اه وكفى شرفا قول الباري جل شأنه مخاطبا لحبيبه الاعظم صلى الله
ه وعلى آله وصحبه وسلم ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا وموسى كليما ونجيا فلقد
تخذتك حبيبا وعزتي وجلالي ما خلقت الدنيا وأهلها والجنة وأهلها الا لاعرفهم
امتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا حشرنا الله في زمرة أخص أحبابه
نمة سنته ❊ وهذا الذي لولاه لم تخرج الدنيا من العدم هو

❊ محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم ❊

هو محمد سيد أهل السماء والارض وأهل الدنيا والاخرة وسيد الثقلين الانس
جن قيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض وسيد الفريقين وقوله محمد فيه وجوه
عراب أحسنها أن يكون بدلا من الضمير الفاعل في احيا الظلام أو من ضمير لولاه

مهاوى العطب والثبور لاسيما من هو مؤيد بالآخرة خير لك من الاولى متأيد بلسوف يعطيك ربك فترضى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما قبض النبى صلى الله عليه وسلم كانت درعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير ففكها على رضى الله تعالى عنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم اه قلت ويجب عليك أيها المسلم أن تعتقد وتجزم بان رهن درعه الشريف على ثلاثين صاعا من شعير عند أبى الشحم اليهودى كما فى صحيح البخارى ليس لعدم وجود شئ عنده صلى الله عليه وسلم أو عند أصحابه الاغنياء وأحمائه بل القصد بذلك بيان التشريع وجواز المعاملة معهم وجواز الرهن ولذلك لما أرسل اليه قبل الرهن يطلب ذلك منه قال حتى يأتينى برهن فقال عند ذلك صلى الله عليه وسلم أما والله انى لامين فى السماء أمين فى الارض وأرسل درعه الشريف رزقنا الله العمل بسنته وحشرنا فى زمرته واصفياء امته وخدام شريعته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ❁ ثم استدل الناظم رحمه الله تعالى على الحكم الذى نفاه بقوله

❁ وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من ❁ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ❁

أي وكيف يتصور أن تدعو الى متاع الدنيا وزينتها ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم الى الوجود بعد ان لم تكن هذا مراده الان فى لفظه تجوزا فان قوله لم تخرج يوهم أنها فى العدم شئ وحقيقة وانما انتفى عنها الخروج الى الوجود ومذهب أهل الحق انه لا حقيقة للمعدوم حال العدم وانه ليس بشئ واذا ثبت أن وجوده صلى الله عليه وسلم علة وجود الدنيا فالدنيا باجمعها فى وجودها مفتقرة اليه لافتقار وجود المعلول الى وجود علته فلو كانت ضرورته تدعو الى الدنيا لكان وجوده معلولا لوجودها وافتقر هو فى وجوده الى وجودها وهو خلف لان فيه عكس الحقائق من صيرورة العلة معلولا وبالعكس لان العلة لا تفتقر فى وجودها الى وجود المعلول فان قيل بل تفتقر العلة الى معلولها اذ لا تتصور بدونه قيل محل ذلك فى العلة العقلية أما الوضعية فلا ثم استلزام معلولها الا من حيث انها لا توجد الا بوجوده بل من حيث اقتضاؤها ايجاده وبالجملة فالدليل خطابى اقناعى لا برهانى يقينى واذا كانت ضرورة نبينا عليه الصلاة والسلام لا تدعو الى الدنيا فينبغى لمن يكون على ملته وداخلا فى زمرة امته ان يكون كذلك قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فحبته تعالى مشروطة باتباع نبيه عليه الصلاة والسلام وكيف لا يزهد فى الدنيا وهى لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء اه قسطلانى وفى أبى السعود الدنيا فعلى من الدنو وهى صفة بحسب الاصل نقلت الى معنى الاسم

ن على هذه الدار الدنية التي نحن فيها وتوصف بما توصف به الاسماء قال الحريري

يا طالب الدنيا الدنية انها ❊ شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت في يومها ❊ أبكت غدا تبا لها من دار

ن انها مشتقة من الدناءة لدناءتها وخستها وقيل انما يميل الى الدنيا من هو دنيء
فان الجنسية علة الضم ولله أحسن من قال

عتبت على الدنيا لتأخير عالم ❊ وتقديم ذي جهل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم ❊ وأهل النهى ابناء ضرتي الاخرى
أأترك أولادي يموتون جوعة ❊ وأرضع أولاد الضرة الاخرى

الدنيا ما يقطع على العبد طريق الوصول الى مولاه وكيف للاستفهام
كاري أي لا تدعو وقد يقال انه استبعادي ونبر ورة فاعل تدعو ومن موصولة
ير لولاه عائد الموصول ولم تخرج جواب لولاه والمعنى انه لا يدعو الى الميل الى
يا والاغترار بزخارفها احتياج من لولا وجوده الشريف وخلقه المنيف
رج الدنيا عما فيها من الارضين والسموات والعرش والكرسي واللوح
قلم والأفلاك والاملاك والعقول والنفوس والارواح والحيوان والنبات
عادن والجن والانس من مكمن العدم الى بروز الوجود فان ما هو متطفل
الشئ تابع له مترتب عليه يمتنع ان تجذبه الحاجة اليه ولا سيما ان كان ذلك الاصل
يلا على الاستغناء منضما على الرفعة والاستعلاء وكان ذلك الامر حقيرا قليلا
سبة الى علو همته وبالاضافة الى رفعة مقداره اهـ وفي المحلى الاستفهام بمعنى
ي أي لا تدعو وقوله لولاه الخ مأخوذ من حديث لما اقترف آدم الخطيئة وكان قد
ى على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فسأل ربه بحق محمد أن يغفر
قال الله تعالى اذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه الحاكم
بيهقي اهـ وكفى شرفا قول البارى جل شأنه مخاطبا لحبيبه الاعظم صلى الله
ه وعلى آله وصحبه وسلم ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا وموسى كليما ونجيا فلقد
ذتك حبيبا وعزتي وجلالي ما خلقت الدنيا وأهلها والجنة وأهلها الالاعرفهم
امتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا حشرنا الله في زمرة أخص أحبابه
منه سنته ❊ وهذا الذي لولاه لم تخرج الدنيا من العدم هو

❊ محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم ❊

هو محمد سيد أهل السماء والارض وأهل الدنيا والآخرة وسيد الثقلين الانس
جن قيل سميا بذلك لانهما ثقلا الارض وسيد الفريقين وقوله محمد فيه وجوه
عراب أحسنها أن يكون بدلا من الضمير الفاعل في أحيا الظلام أو من ضمير لولاه



على انه منفصل اذ بهذا يحصل الايضاح بعد الابهام أو خبر مبتدا محذوف كما قررناه أي هو محمد او مبتدا أو الخبر الآمر الناهي اه وفي الشفاء وسمي النبي صلى الله عليه وسلم محمدا او أحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد وقد أشار الى نحو من هذا حسان رضي الله عنه بقوله

وشق له من اسمه ليجله ❊ فذو العرش محمود وهذا محمد اه

ومعنى شق أخرج له من اسمه اسما ولذا قال فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه وللأعمال الصالحات اه وفي أبي السعود ومحمد علم الحضرة المصطفوية والسيادة النبوية وهي صفة مبنية للمبالغة قيل مشتق من الحمد لانه صلى الله عليه وسلم كان كثير الحمد لله تعالى وقيل مشتق من المحامد فانه صلى الله عليه وسلم كان كثير المحامد وكان الناس يحمدونه على محامده ويؤيده ماورد في وجه تسميته محمدا ان عبد المطلب رأى في منامه سلسلة بيضاء خرجت من ظهره لها أربعة أطراف في السماء والارض والمشرق والمغرب وأهل السماء والارض متعلقون بها فعبرت له بأنه يولد له مولود تكثر محامده فلما ولد صلى الله عليه وسلم سمي بذلك فكان فوق مارأى قيل ان من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم انه لم يسم باسمه أحد قبله فلما قرب مولده وبشرت الكهنة وأهل الكتاب به سمى بعض العرب أولادهم باسمه البعض تبركا والبعض رجاء لذلك المولود أن يكون اياه ومحمد يجوز فيه أوجه ثلاثة الجر على البداية والرفع على انه خبر مبتدا محذوف أو انه مبتدا وسيد الكونين خبره والنصب بالاختصاص وذكر الثقلين والفريقين بعد ذكره الكونين من تخصيص التعميم كقوله تعالى وملائكته وجبريل والمعنى ان من أحيا في العبادة الظلام وشد من سغب أحشاءه تحت الرخام وراودته الجبال والآكام هو محمد صلى الله عليه وسلم أو أعني محمدا أو ظلمت سنة محمد الذي هو أمير الدارين أعني الدنيا والآخرة ومقدم الثقلين أعني الجن والانس ومالك الفريقين أعني العرب والعجم وذلك لان السيادة والرفعة انما تكون بحسب الحسب وبحسب النسب عن جابر رضي الله عنه ان الله اختارني على جميع العالمين من النبيين والمرسلين وفي رواية ان الله فضلني على الانبياء وفضل أمتي على الامم وفي رواية أنا سيد الناس يوم القيامة اه وأحاديث السيادة له صلى الله عليه وسلم على جميع المخلوقات مبسوطة في الشفاء وغيره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا

أنصتوا وأنا شفيعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن أبي هريرة وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وانا أول من ينشق عنه القبر وأول أنا شافع وأول شافع وأول مشفع وعن ابن عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها ومن معي من فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين وعن أنس أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا وعن أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة اه من الشفاء ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊ (نبينا الآمر الناهي فلا أحد ❊ أبر في قول لا منه ولا نعم) ❊

فقوله الآمر أي بالمعروف الناهي عن المنكر بارسال الله اياه الينا وانما عبر بالآمر الناهي لأنهما لازومان للرسالة وكلما وجد الملزوم وجد اللازم كأنه قال نبينا الرسول فلا أحد من البرية أبر في قول لا منه ولا نعم بل هو أبر ويحتمل أن يكون معناه فلا أحد أصدق منه في الخبر المنفي والمثبت وكنى عن المثبت بنعم وعن المنفي بلا وذلك اما باعتبار الخبر بالاطلاق أو باعتبار الخبر عن الثواب والعقاب ونفيهما فاذا أخبر عن ثواب أو عقاب فهو أصدق الناس في خبره ولذلك يبادر الى الفعل أو الترك اه قسطلاني وفي أبي السعود القول في نبينا من الاعراب ما قيل في اسمه الشريف السابق واضافة نبينا اضافة تعظيم للمضاف اليه والآمر الناهي صفتان أو خبران والفاء في فلا فصيحة أي اذا أمر ونهى فلا أحد أصدق منه ولا بمعنى ليس أحد بالتنوين اسمها وأبر خبرها والمعنى هو نبينا أو أعني نبينا أو ظلمت سنة نبينا الذي هو الآمر الناهي والآمر الحقيقي والناهي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وأمره ونهيه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فيكون امره ونهيه صلى الله عليه وسلم أمر الله ونهيه لانه لا ينطق عن الهوى واذا كان أمره أمر الله ونهيه نهي الله وليس أصدق من الله قيلا فلا يكون أصدق منه قيلا فان قلت جميع الانبياء والرسل متساو والاقدام فما وجه صحة استغراق النفي قلت الحال على ما قررت لكن لما كان صلى الله عليه وسلم أشرف من أولي العزم الذين هم أشرف الانبياء والرسل وكانت شريعته أشرف الشرائع وأكملها

الجنة وأخرى فى زيادة درجات فى الجنة وجوّز النووي رحمه الله تعالى اختصاصها به وأخرى فى تخفيف عذاب بعض الكفار كأبى طالب وزاد بعضهم أخرى عند الصراط وعند الميزان وزاد آخر شفاعة ثامنة وهى شفاعته لمن مات بالمدينة الشريفة كما أخرجه الترمذي وصححه وفى العروة الوثقى للقزويني رحمه الله تعالى ان من شفاعاته شفاعته لجماعة من صلحاء المؤمنين ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات فتكون تسعة وفى قوله نبينا الآمر الناهى اشارة الى أن اكتساب الشرف لمن يتبع سنته انما يكون فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يحسن ذلك حتى يصاحبه الصدق والبر فمن حصل هذا الوصف بشروطه استحق أن ينال منه ما يشبه رتبته صلى الله عليه وسلم فيقال فيه كما قيل فى نبيه عليه الصلاة والسلام هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لان الآمرين الناهين هم العلماء وهم ورثة الانبياء وانما ورثوا منهم هذا النوع ولما لم يكن ميراثهم مستغرقا لم تكن شفاعتهم لكل هول كما هو شفاعة مورثهم وفى الخبر ان الناس يدخلون الجنة فيبقى العلماء رضى الله عنهم فيسألون الدخول فيقول الله تعالى لهم أنتم عندى كملائكتى اشفعوا ثم ادخلوا الجنة اه قسطلانى ومما ورد فى أنه صلى الله عليه وسلم حبيب الله وأكرم الخلق على الله ما رواه فى الشفاء حيث قال وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جلس ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفى حديث أبى هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب فى التوراة حبيب الرحمن ثم قال فى الشفاء واختلف العلماء أرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة أرفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه وقد أطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة لان درجة



وكان قوله فيما بعده ويوعد عليه أقرب الى القبول وأحق بأن يدعوى الى ما يقول نزل قوله منزلة الرتبة العليا والدرجة القصوى في الصدق وان كان في أصل الصدق مساويا لاقوال سائر الانبياء وقوله لا ونعم يحتمل وجوها اما أن يكونا كنايتين عن النفي والاثبات أوعن الايجاب والتحريم والاعطاء والمنع والاجابة والامتناع والقبول والرد والتخلي والتحلي وفي كل من المذكورات له السبق في حلبة الرهان والتقدم في ميدان البراعة على سائر الاقران فقد حاز قصبات السبق في ميدان قرب الرحيم الرحمن فلا يكون أحد أصدق منه لهجة في منح العطية ولا أبر منه قولا في منع البلية هكذا ينبغي أن يقرر قول لا كما زعم بعض الشراح ان معنى قوله أبر في قول لا أي في منع العطية فان مقام المدح يأبى ذلك وما أحسن ما قيل في مدحه صلى الله عليه وسلم

ماقال لاقط الا في تشهده ❊ لولا التشهد كانت لاؤه نعما

ويجوز أن يحمل قوله أبر في قول لا منه ولا نعم على ان المعنى نفيا واثباتا تحريما وتحليلا اجابة وامتناعا قبولا وردا تخلية وتحلية لان شريعته ناسخة لجميع الشرائع وليس لها ناسخ أصلا لكونها أتم الشرائع وأكملها وأعدل الاديان وأقومها فلا يكون قولا ولا فعلا ولا اعتقادا أحد ارسخ وأثبت وأقوى منه صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه وشريعته وطريقته وحقيقته ولا يكون أحد أبر قولا منه في شيء من الاثبات والنفي والايجاب والتحريم والرد والقبول وما أشبه ذلك اه ❊ ثم قال رضى الله عنه

❊ هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ❊ لكل هول من الاهوال مقتحم ❊

أي هو المحبوب لله أو لامته وقوله مقتحم بفتح الحاء أي مدخول فيه كرها اسم مفعول من اقتحمت الشيء اذا رميت بنفسك فيه من غير روية ومثله قحم في الامر قحوما وتقحيم النفس في الشيء ادخالها فيه من غير روية وأراد بقوله لكل هول عموم ما يؤمل منه صلى الله عليه وسلم من الشفاعات هذا هو الظاهر من كلامه وهي كثيرة أحدها العظمى وهي في الاراحة مما يصيب الخلائق من كرب الموقف الانس والجن والمؤمن والكافر وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم والثانية شفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب قال النووي رحمه الله وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم وتردد ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى في ذلك ووافقه السبكي قال ولم يرد فيه شيء وأخرى في اخراج أهل الكبائر من أمته من النار وادخالهم الجنة ويشاركه فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وأخرى في قوم حوسبوا واستوجبوا النار أن لا يدخلوا النار ويدخلون



الحبيب لنبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم وأصل المحبة الميل الى مايوافق المحب ولكن هذا فى حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهى درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال فى الحديث فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ولاينبغى ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ولهذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح منى ❊ وبذا سمى الخليل خليلا

فاذا ما نطقت كنت حديثى ❊ واذا ما سكت كنت الدخيلا

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه الصلاة والسلام عادلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية حكى أهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولى عنه بقوله فان الله لايحب الكافرين وقد نقل الامام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول جلة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدى الى مابعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل الى حبيبه به من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع من قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لايخزى الله النبى فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب قيل له يا أيها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطى بلا سؤال والخليل قال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقام من تفضيل المقامات والاحوال فكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا اه وفى كتابنا النفحات النبوية فى الفضائل العاشورية نقلا عن القطب

الشهير العارف الكبير ابن عطاء الله السكندري في كتابه التنوير عبارة ما ألذها
على قلوب المؤمنين وارشاد الى مقام التسليم ونصها روى ان ابراهيم عليه السلام
لما قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين فلما زج به في المنجنيق واستغاثت
الملائكة قالت يا ربنا هذا خليلك قد نزل به ما أنت به أعلم فقال الحق سبحانه اذهب
اليه يا جبريل فان استغاث بك فاغثه والا فاتركني وخليلي فلما جاءه جبريل عليه
السلام في أفق الهواء قال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فلي قول سله قال
حسبي من سؤالي علمه بحالي فلم يستنصر بغير الله ولا جنحت همته لما سوى الله
بل استسلم لحكم الله مكتفيا بتدبير الله عن تدبيره لنفسه وبرعاية الحق له عن
رعايته لها وبعلم الحق سبحانه عن سؤاله علما منه ان الحق به لطيف في جميع
أحواله فأثنى عليه تعالى بقوله وابراهيم الذي وفى ونجاه من النار فقال قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما على ابراهيم قال أهل العلم لو لم يقل الحق سبحانه وسلاما لاهلكه بردها
فخمدت تلك النار وقال بعض أهل العلم باخبار الانبياء لم يبق في ذلك الوقت نار
بمشارق الارض ولا بمغاربها الا خمدت ظانة انها المعنية بالخطاب فقيل انه لم تحرق
النار منه الا قيده وانظر الى قول ابراهيم عليه السلام لجبريل اما اليك فلا ولم يقل
ليس لي حاجة لان مقام الرسالة والخلة يقتضي القيام بصريح العبودية ومن لازم
مقام العبودية اظهار الحاجة الى الله والقيام بين يديه بوصف الفاقة فناسب أن
يقول اما اليك أي أنا محتاج الى ربي وأما اليك فلا فجمع في كلامه هذا اظهار الفاقة
الى الله ورفع الهمة عما سوى الله وبهذا ظهر سر قوله سبحانه اني أعلم ما لا تعلمون
فكان عدم استغاثة ابراهيم عليه السلام بجبريل في هذا الموطن احتجاجا من الله على
الملائكة كأنه يقول كيف رأيتم عبدي هذا يا من قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها
وهذا أيضا هو سر قوله عليه الصلاة والسلام يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون
أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون قال العارف نقلا عن الشاذلي كأن الحق
سبحانه يقول لهم يا من قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها كيف تركتم عبادي فكان
مراد الحق سبحانه بارسال جبريل عليه السلام الى ابراهيم اظهار رتبة الخليل وتبيين
شرف قدره وفخامة أمره قال وكيف يمكن ابراهيم ان يستغيث بشيء دونه
وهو لا يرى الا اياه ولا يشهد أحدا سواه وما سمي الخليل الا لتخلل سره بمحبة ربه
وعظمته وأحديته فلم يبق فيه متسع لغيره وفي هذا هداية للمستبصرين وهو أن
من خرج عن تدبيره لنفسه فالله سبحانه هو المتولي له بحسن تدبيره ألا ترى ان
ابراهيم لما لم يدبر لنفسه ولا اهتم بها بل ألقاها الى الله وأسلمها اليه وتوكل في شأنه



مع أخذه في أسباب ما يوجب الرضا من الطاعات وهذا مراده نفعنا الله به ووفقنا لما فيه رضاه بجاه سيد أنبيائه عليه الصلاة والسلام اهـ ❁ ثم قال رضي الله عنه

❁ دعا الى الله فالمستمسكون به ❁ مستمسكون بحبل غير منفصم ❁

أي دعا كل من بعث اليه من الانس والجن الى الله أي الى توحيده وطاعته والاقرار له عليه الصلاة والسلام بالرسالة فالمستمسكون وهم المعتصمون به أي بما دعا اليه مستمسكون بحبل أي بعهد غير منفصم بالفاء اسم فاعل من فصمت الشئ فانفصم فصما اذا كسرته قال الله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ولم يقل فالمجيبون له لان مجرد الاجابة بالقول ونحوه لا يكفي بل لابد من الاعتصام بما جاء به ولاشك ان حسن الخلق غالبا تابع لحسن الخلق والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أحسن الناس خلقا وخلقا اهـ قسطلاني وفي أبي السعود الدعاء اذا استعمل بالى كان بمعنى الطلب واستمسك بمعنى تمسك والتمسك مبالغة في المسك وجاء بمعنى التثبت يقال تمسكت بالشئ بالهاء أي تثبت بها ومنه قول الشاعر

تمسك بدين المصطفى تنج من لظى ❁ وتحظى بحور العين في جنة المأوى

والحبل السبب وهو ما يتوصل به الى شئ ويتمسك به والانفصام مطاوع الفصم يقال فصمته فانفصم كما يقال كسرته فانكسر والفصم بالفاء الموحدة الكسر من غير فصل والقصم الكسر مع الفصل والضمير المستكن في دعا عائد الى الحبيب المشفع وحذف المفعول للتعميم والفاء في فالمستمسكون فصيحة وبه متعلق بمستمسكون وغير منفصم صفة للحبل وفي البيت صنعة الاقتباس نظرا الى قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى فان الاستمساك بالنبي صلى الله عليه وسلم استمساك بالله والمعنى انه صلى الله عليه وسلم دعا الانفس البشرية المغمورة في اللذات الجسمانية المرسومة في الشهوات البهيمية الى نهج الحق وسبيل الرشاد وطريق الصواب وجادة السداد ليقربهم الى مرضاة الله ويبعدهم عن سخطه ويخلص الارواح الانسانية والنفوس البشرية من شرك الشرك والالحاد ويأخذ بضبعهم في مزالق الغي والفساد ويزكيهم من درن علائق الدنيا الدنية وعوائق الشهوات البدنية فمن تعلق بأذيال عنايته واستضاء بأنوار هدايته دخل تحت لواء دولته وتمسك بحبل ليس له انفصام فضلا عن أن يكون له انقصام ومن رغب عن ملته فقد تمسك بأطراف الضباب وركن الى لمعان السراب ودخل في زمرة الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا فان قلت على ماذا تحمل الحبل الغير المنفصم قلت يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم اذ هو الوسيلة

عليه كان عاقبة الاستسلام وجود السلامة والاكرام وبقاء الثناء الحسن على مر الليالي والايام وقد أمرنا الله تعالى أن لانخرج عن ملته وأن نرعى حق تسميته بقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين فحق على كل من كان ابراهيميا أن يكون من تدبير نفسه بريا ومن منازعة الله خليا ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه وملته لازمها التفويض والاستسلام فى واردات الاحكام والمراد أن لايكون للشرع الله مراد قال العارف ولنا فى هذا المعنى أى على لسان هواتف الحق

مرادي منك نسيان المراد ❀ اذا رمت السبيل الى الرشاد
وان تدع الوجود فلا تراه ❀ وتصبح ماسكا حبل اعتمادى
الى كم غفلة عنى وانى ❀ على حفظ الرعاية والوداد
الى كم أنت تنظر ما سدعتى ❀ وتصبح هائما فى كل واد
وتترك أن تميل الى جنابى ❀ لعمرك قد عدلت عن الرشاد
وودى فيك لوتدرى قديم ❀ ويوم ألست تشهد بانفرادى
وهل رب سواى فترتجيه ❀ غدا ينجيك من كرب شداد
فوصف العجز عم الكون طرا ❀ ففتقر بمفتقر ينادى
فبى قد قامت الاكوان طرا ❀ وأظهرت المظاهر من مرادى
أفى دارى وفى ملكى وملكى ❀ بوجه للسوى وجه اعتماد
فدقق أعين الايمان وانظر ❀ ترى الاكوان تؤذن بانفعاد
فمن عدم الى عدم مصير ❀ وأنت الى الفنا لاشك غاد
وهاحلى عليك فلا تزلها ❀ وصن وجه الرجاء عن العباد
ببابى أوقف الآمال طرا ❀ ولا تأتى لحضرتنا بزاد
أأستر وصفك الادنى بوصفى ❀ فتجزى ذاك جهلا بالعناد
وهل شاركتنى فى الملك حتى ❀ غدوت منازعى والرشد باد
فان رمت الوصول الى جنابى ❀ فهذى النفس فاحذرها وعاد
وخض بحر القناعة كى ترانا ❀ وأعدد دنا الى يوم المعاد
وكن مستمطرا منا التلقى ❀ جميل الصنع من مولى جواد
ولا تستهد يامن سوانا ❀ فما أحد سوانا اليوم هاد

اه وقول العارف على لسان هواتف الحق ببابى اوقف الآمال الخ ارشاد منه لاكمل حالات المؤمنين وانه ينبغى للمؤمن ولو بلغ النهاية القصوى فى أنواع الطاعات أن لايتكل على ذلك العمل ولايوقف رجاءه فى كافة أحواله دنيوية وأخروية الا على باب فضل سيده واحسانه ولايكون له راحة الا ملاحظة سعة الفضل والكرم

العظمى والسبب الموصل الى السعادة السرمدية والدولة الابدية فان من استحسن سنته وتخلق باخلاقه فقد فاز فوزا عظيما واستحق من ربه جنة ونعيما وملكا كبيرا ويمكن حمله على القرآن العظيم والآيات والذكر الحكيم فانه صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى حبلان متصلان لن تفترقا حتى يردا على الحوض قال الشاطبى رحمه الله تعالى

﴿ وبعد فحبل الله فينا كتابه ﴾ وعن على كرم الله وجهه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله سبحانه وتعالى فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ويحسن حمله على الشرع فانه هو المحجة البيضاء والحبل المتين والصراط المستقيم رزقنا الله التوفيق لخدمة سنة نبيه وحشرنا تحت لوائه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ﴾

قال رضى الله عنه

﴿ فاق النبيين فى خلق وفى خلق ﴿ ولم يدانوه فى علم ولا كرم ﴾

أى علا على النبيين عليهم الصلاة والسلام فى كل خلق حسن بفتح الخاء وسكون اللام أى الخلقة صورة وشكلا ولونا وغير ذلك وفى كل خلق بضم الخاء واللام أى سجية وهى ما طبع عليه من المصالح الحميدة فان قيل لا نسلم انه يفهم من قوله خلق وخلق ارادة العموم حتى يقدر بكل فيهما لانهما نكرتان فى سياق الاثبات والنكرة كذلك لا تعم وحينئذ لا يكون مدحا تاما لان المعنى فاقهم فى بعض الخلق وبعض الخلق كما يحتمل بعد ذلك أن يساووه فى البعض الآخر يحتمل أن يفوقوه فيه فقد تحصل المعادلة ان كان ما فاقوه به مثل ما فاقهم به وقد يكون ما فاقوه به أو بعضه أكبر فينعكس ما قصد من المدح فالجواب ان المراد خلقتهم وخلقهم اذ لا يراد خلق وخلق ما كان وانما المراد بهما منه ومنهم وحينئذ فهما اسما جنس أضيفا نية لدلالة العقل على تقدير الاضافة أو يكون المراد بهما الحقيقة وهى واحدة لا يقال الانسانية واحدة لا تفاوت فيها لانا نقول المراد العارض لها اما باعتبار التركيب الصورى وهو الخلق أو باعتبار الاوصاف المعنوية وهو الخلق لان أصل هذه الاوصاف فيه من غير خلق الله تعالى من غير اكتساب لما فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال للرجل ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يارسول الله أنا

أخلاق بهما أم الله جبلني عليهما فقال بل جبلك الله عليهما الحديث نعم يكتسب الانسان قوتهما بالمخالطة والاستعمال وماذكره الناظم رحمه الله تعالى أشار به الى ماروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالابيض الامهق ولا بالآدم وليس بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله تعالى على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء (قوله البائن) أى الظاهر الطول (وقوله الامهق) بفتح الهمزة وسكون الميم وفتح الهاء أى شديد البياض بحيث يشبه البرص بل بياضه صلى الله عليه وسلم كان مشربا بحمرة (وقوله الآدم) بالمد أى شديد الادمة وهى شدة حمرة الجسم حتى يقرب من السواد (وقوله الجعد) بفتح الجيم وسكون العين أى الملتوى الشعر (وقوله القطط) بفتح القاف وكسر الطاء الاولى وفتحها أى شديد الجعودة فشعره صلى الله عليه وسلم كان يميل الى الجعودة وهى التواء الشعر وقوله ولا بالسبط بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكونها أى شديد السبوطة وهى استرسال الشعر وعدم التوائه وعن أنس رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ومامسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يدانوه صلى الله عليه وسلم أى لم يقاربوه فى علم ولا كرم فان قيل العلم والكرم داخلان فى الخلق فما باله خصهما بان النبيين لم يقاربوه فيهما فالجواب انه انما خص الوصفين لانهما كالمنبع لسائر الاوصاف الحميدة فاذا كان لايقارب فيهما ففى غيرهما أولى وأصل الاخلاق الحميدة كلها العقل ومنه ينبعث العلم وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقل مالا يقاربه غيره فيما أعطى منه قال وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه فيما حكاه عنه فى الشفاء قرأت فى أحد وسبعين كتابا انه صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأحسنهم رأيا وفى رواية وجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة بين رمال الدنيا اهـ قسطلانى وفى الشفاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السموات والانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قالوا فما فضله على أهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السموات ومن يقل منهم انى اله الآية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا

فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية وقال لمحمد وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الآية وفي رواية وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت يارب ما أسأل اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمن ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل سبعون ألفا ليس عليهم حساب اه وفي شرحنا عليه نقلا عن الامام التلمساني وروى سبعمائة ألف مع كل واحد سبعمائة ألف اه وفي أبي السعود الضمير المستكن في فاق عائد الى الحبيب واللام في النبيين للاستغراق وفي خلق وفي خلق متعلقان بفاق وجعل الواو في ولم يدانوه للحال ألصق بالمقام من جعلها للعطف والمعنى ان البدر المنير البهي والنور المشعشع الجلي قد فاق جميع النبيين وعلا على جميع المرسلين في حسن الصورة العنصرية وكمال الصفات الالهية ولم يمكن منهم أحد ان يجاريه في ممدان الكمال ولا يقاربه في نادي الجمال والاحدر بمن هو حبيب الله وخليل الاله وخاتم النبيين وناسخ دين جميع المرسلين أن يكون ممتازا عن جميعهم في الصورة والمعنى فائقا عليهم في الخلق البهي والخلق السني ولما كانت روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم أشرف الارواح وأكملها اقتضت الحكمة الالهية والعداله الربانية ان يكون البدن الذي تتعلق به هذه الروح اعدل الابدان وصورته احسن الصور وعاداته أطيب العادات فكمال النطفة الانسانية انتهى في صلب عبد الله وترائب آمنة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نورا بين يدى الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه فأهبطني الله الى الارض في صلب آدم وحملني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ولم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوى لم يلتقيا على سفاح قط اه ❊ ثم قال رضى الله عنه

❊ وكلهم من رسول الله ملتمس ❊ غرفا من البحر أو رشفا من الديم ❊

أي وجميعهم من سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتمس أي طالب غرفا من



البحر أي بحر علمه أو رشفا من الديم أي ديم كرمه فيكون قوله من البحر والديم بدل
اشتمال من رسول الله وحذف الضمير الرابط بين بدل الاشتمال والمبدل منه وأتى بال
في البحر والديم نائبة عن ذلك الضمير كما هو رأي الكوفيين في هذا نحو فان الجنة هي
المأوى أي مأواه وعلى رأي البصريين يكون التقدير من البحر له أو من الديم له أو نحو
ذلك والديم جمع ديمة وهي المطر الذي ليس فيه رعد وبرق يدوم يوما وليلة والرشف
الاخذ بأطراف الشفة وقال الجوهري رحمه الله تعالى الرشف المص وفي ذلك
التشبيه لانه شبه علمه بالبحر وكرمه بالديم ومأخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام منها
بالغرفة والرشف ووجه تشبيه العلم بالبحر اما الاتساعه واما لبعد غوره واما لان
الغائص فيه يستخرج منه الدرر ووجه تشبيه الكرم بالديم لما يحصل من النفع بها
وانما خص الرشف بالديم والغرف بالبحر لانها تجري على سطح الارض فلا يجتمع منها
ماهو كالبحر حتى يغترف فان قلت انه صلى الله عليه وسلم متأخر الزمان عن النبيين
فكيف يطلبون منه فالجواب انما طلبهم من بحر علمه وديم كرمه كما تقدم وهذا
لا يستلزم اتحاد زمان وجودهم ولا علمهم ببعثه صلى الله عليه وسلم بعدهم ولئن سلمنا
انه لا بد لهم حال الطلب من تصور بحر علمه وديم كرمه فذلك حاصل لهم بما علموا به من
نعته وصفاته قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم
جاءكم رسول الآية وقال تعالى الذين يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
وافرد البحر لرجوعه الى صفة العلم وهي واحدة وجمع الديم لرجوعها الى كرم الطبائع
وهي أخلاق متعددة اه قسطلاني وعبارة أبي السعود كل يجوز أن يكون
افرادا أي كل واحد منهم أو مجموعا أي مجموع الانبياء من حيث المجموع
والاغتراف أخذ الماء باليد والرشف المص والديم جمع ديمة وهي المطر المتصل بالليل
والنهار وكلهم مبتدأ ملتمس خبره ومن رسول الله متعلق بملتمس قدم عليه
للاختصاص ادعاء بأنهم لم يلتمسوا من غيره أو للاهتمام فان المعنى في هذا المقام كونه
ملتمسا منه لا كونهم ملتمسين وغرفا ورشفا يجوز أن يكون مفعولا به لملتمس ويجوز أن
يكونا حالين من الضمير في ملتمس والمفعول محذوف للتعميم أي ملتمسون كل شيء من
الكمالات الصورية والمعنوية غارفين راشفين وان يكونا منصوبين على المصدر أي
التماسا كالرشف والغرف ومن البحر متعلق بغرفا ومن الديم برشفا والمعنى ان جميع
النبيين وكل المرسلين غارفون من بحر علمه الزاخر راشفون من ندى سحاب فضله
الماطر شيئا نزرا بالنسبة الى كمالاته وأمرا قليلا بالنسبة الى مقاماته وان كان
ذلك بالنسبة اليهم أمرا غبيرا وخيرا كثيرا فان غرف الغارف ورشف الراشف
بالنسبة الى البحر والديم شيء قليل وان كان ما يرشف ويغرف في حد ذاته أو بالنظر



الى الغارف والراشف كثيرا عظيما هذا ان جعلنا البحر والديم عبارة عنه صلى الله عليه وسلم ويكون التعبير عن أخذ بعض بالغرف من البحر وعن أخذ بعض بالرشف من الديم اما باعتبار حال الآخذين قربا وبعدا من كاله فان مراتب الانبياء متفاوتة وكذلك مراتب المرسلين فكان القريب منه غارفا والآخر راشفا وقد يحمل على العكس لما في الرشف من التتابع والاتصال وما في الغرف من الانقطاع والانفصال وباعتبار حال المأخوذ بان يكون الغرف ما يؤخذ منه من العلوم الظاهرة والرشف ما يؤخذ منه من العلوم الباطنة فان الغرف من الظاهر والرشف من الباطن وان جعلنا البحر عبارة عن بحر الذات والديم عما يقطر من سحب الصفات أو قلنا البحر النبوة والديم الولاية فيكون المعنى ان كلا منهم يلتمس الغرف من بحر الذات والرشف من ديم الصفات أو من بحر النبوة وديم الولاية بتوسطه وجعله وسيلة يتوسل بها في ذلك الغرف والرشف فان قلت ما معنى الغرف من بحر الذات والرشف من ديم الصفات قلت الغرف من بحر الذات هو أن يأخذ منه بحسب استعداده ومقدار قابليته ما يمكنه من معرفة ذاته المقدسة التي هي كالبحر في الكثرة والسعة من الحظ بالاتصاف بصفاته التي هي كالديم في الصفاء والطهارة وأما اذا حمل البحر على النبوة والديم على الولاية فكونه صلى الله عليه وسلم وسيلة فيهما أمره ظاهر لكونه صلى الله عليه وسلم هو نقطة دائرة النبوة ومركز الولاية بل هو علة الوجود ولولاه لم تسل سحب الكرم والجود اهـ وقد تقدم في بدء الخلق بالنور المحمدي في أول الكتاب من حديث جابر ما يشفي ويكفي أسأل الله الكريم متوسلا اليه بجاهه وجه نبيه العظيم أن يتفضل علينا بذرة من أفضاله وبسطة من افضاله بجاه سيد أنبيائه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊ وواقفون لديه عند حدهم ❊ من نقطة العلم أو من شكلة الحكم ❊

فقوله عند حدهم أي غايتهم وقوله من نقطة العلم أو من شكلة الحكم أي الله تعالى فان الانبياء وسائر العلماء علمهم كنقطة من علم الله تعالى وحكمهم كشكلة من حكمته تعالى وناسب بالشكلة النقطة ولزيادة التفخيم بها على النقطة خصها بالحكمة وللتفصيل أي وواقفون لديه صلى الله عليه وسلم وقوف ذي الغاية عند مبدا غيره وقد تقدم التماسهم منه فيكون ما أوتوه مبدأ له صلى الله عليه وسلم وما ذكره في نقطة العلم مأخوذ من قول الخضر لموسى عليهما السلام لما غمس العصفور منقاره في البحر ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله الا مقدار ما يغمس أو غمس هذا منقاره في الماء رواه البخاري وقال تعالى مخاطبا المؤمنين وغيرهم من الانبياء

والمرسلين وما أوتيتم من العلم الا قليلا اهـ محلى وفى القسطلانى وكلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين واقفون أى ثابتون لديه عند حدهم الذى حده لهم ولا يتعدونه أى منتهى مرتبتهم علما وكرما من نقطة العلم أو من شكلة الحكم أى من نقطة من بحر علمه وشكلة من ديم حكمه وخص النقطة بالعلم لان بها تتميز ذات الحروف المشتبهة الصور والعلم خاصته التمييز كما حده أهل الاصول بأنه صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض وأضاف الشكلة للحكم لان فائدة الحكمة وضع الشئ فى المكان الذى يستحقه على أكمل وجه لئلا يختل النظام وهذه فائدة الشكلة لان بها يضاف الحكم الى صاحبه ويزول اللبس وفى ذلك التورية الخطية ووجه التورية الخطية أن تقول انظر ما نسبة النقطة الواحدة التى هى من أسباب العلم الى نفس العلم والى سائر أسبابه وكذا الشكلة التى هى صفة حسن الى سائر المحاسن وصفاتها ولدى وعند متساويان على الاصح وقيل عند للحاضر والغائب ولدى للحاضر اهـ وفى أبى السعود الوقوف من الحيوان هو الانتصاب على الرجلين مع السكون يقابل كلا من المشى والاضطجاع ولدى ظرف مكان وهو أخص من عند لانه لا تطلق الا على ما مظروفه حاضر والحد المنع ويطلق على المقام والرتبة وهو المعنى هنا والنقطة فعلة من نقطت الكتاب اذا وضعت النقط على حروفه وقد تطلق على ما يتركب منه الخط وهو جوهر لا يقبل القسمة طولا ولا عرضا ولا عمقا والشكلة بالفتح فعلة من شكلت الكتاب اذا قيدته بالاعراب والحكم جمع حكمة فعلة من الحكم وفى الاصطلاح استكمال النفس الانسانية بقوتى العلم والعمل والواو فى وواقفون للعطف معطوف على ملتمس فهو خبر ثان لكلهم لان المعطوف على الخبر خبر والافراد فى الاول نظرا الى اللفظ والجمع فى الثانى نظرا الى المعنى والاحسن أن تجعل للحال على ان واقفون خبر لمبتدا محذوف والجملة حال من الضمير فى ملتمس والضمير فى لديه راجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وفى حدهم الى النبيين وأو بمعنى الواو ومن نقطة العلم صفة كاشفة لحدهم أى حدهم الكائن من نقطة العلم أو حال أى ثابتا من نقطة العلم والاضافة فى نقطة العلم وشكلة الحكم بمعنى اللام وتخصيص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لكون الدقة والاغماض فى الحكمة أكثر من العلم والكشف والاعراب فى الشكلة أكثر من النقطة اذ النقطة انما ترفع الابهام عن المعانى المتعلقة بالكلم والمعنى ان كل واحد من النبيين أو مجموع النبيين ملتمسون من رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفا من البحر أو رشفا من الديم حال كونهم واقفين لدى سدته العلية وحضرته السنية وقوف الخدم لدى السلطان والحشم عند خليفة الرحمن فى مقامهم الذى استحقوه بحسب القوابل

والاستعدادات ومراتبهم التى نالوها بالمجاهدات والرياضات من مركز العلوم الربانية ومنزل الحكم الالهية لا يستطيعون من تجاوزه نقيرا ولا من التعدى عنه قطميرا وهو صلى الله عليه وسلم يعرج فى عالم الملكوت ويصعد فى مصاعد اللاهوت الى مقام تكل عنه أجنحة الطائرين وتقف دونه أقدام السائرين وانظر الى حسن المعنى حيث جعلنا الواو للحال حتى صار الوقوف قيد الالتماسهم وهل يحسن فى مقام المدح الأمثل هذا المعنى وان جعلت الواو على العطف كان المعنى ان جميعهم ملتمس وواقف واعلم ان اللام مع العلم والحكم يجوزان تكون للعهد الذهنى ويحمل العلم والحكم على علم الله تعالى وحكمه فيراد بالنقطة مامنح الله به عباده من علمه الذى لا يتناهى وبالشكلة مامنّ الله به عليهم من غامض حكمته والتعبير عن ذينك المقدارين بالنقطة والشكلة انما هو تقريبى لا تحقيقى فان المتناهى ليس له الى غير المتناهى نسبة أصلا ويجوزان يكونا عوضين عن المضاف اليه والتقدير من نقطة علمه وشكلة حكمه والضمير عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم فيراد بالنقطة والشكلة العبارة التى يعبر بها عن حقيقة علمه وحكمته ويكون فيه اشارة الى أن حدهم ومرتبتهم انما هو بالنسبة الى ظاهر علمه وحكمته لا الى حقيقتهما فان حقيقتهما ماليس لاحد نسبة اليها أصلا اه قلت ومن ذلك ماذكره بعض العارفين ان بعض الاولياء كشف له عن يسير من نور النبوة فكاد أن يحترق ويذوب واذكر حال جبريل حيث تعدى مقامه ليلة المعراج بأمره صلى الله عليه وسلم فكاد أن يحترق وصغر حتى صار له ماصار حيث لم يؤذن له من الحضرة القدسية وأما سيد الكائنات فأذون له صلى الله عليه وسلم حتى رأى مارأى وقواه الله تعالى وأمده بالامدادات الى تلك الحضرات وما منا الا له مقام معلوم ❁ ثم قال رضى الله عنه

❁ فهو الذى تم معناه وصورته ❁ ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم ❁

أى فهو الذى كمل معناه وصورته أى خلقه وخلقه ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم وآدم بين الروح والجسد أو الماء والطين وان جعلت ثم لترتيب الأخبار بالمدح فالتقدير ثم اصطفاه بعد ان أكمل صورته ومعناه وهذا بعيد لان اختياره كان وآدم بين الماء والطين كما تقدم وانما قال بارئ النسم فخص هذا الوصف من بين سائر أوصافه تعالى تنبيها على ان معنى محبة الله تعالى له خلقه اياه على تلك الصورة وتوفيقه لتلك الاخلاق الحميدة التى جماعها الاعراض عما سوى الله تعالى اه قسطلانى وفى أبى السعود المعنى مصدر عنى يعنى بمعنى قصد ويجوزان يكون اسم مكان على انه محل القصد باللفظ والصورة مايحدث بعد التركيب من الهيئة والمعنى

في الانسان يطلق على أفعاله وأخلاقه وصورته على قالبه وقد تطلق الصورة بمعنى الصفة يقال صورة المسئلة كذا أي صفتها كذا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته في بعض وجوه التأويلات وفي البيت قد يراد بالمعنى الهوية المحمدية الجامعة لجميع الكمالات الانسانية وبالصورة مشخصات تلك الهوية المختصة بها التي لا تليق الا أن تكون صورة لها ولا يبعد أن تحمل الصورة على جسمانيته والمعنى على روحانيته أو المعنى على علمه ومعرفته والصورة على عمله أو المعنى على طريقته وحقيقته والصورة على شريعته أو المعنى على ولايته والصورة على نبوته أو المعنى على جهته مع الخلق والصورة على جهته مع الخالق أو المعنى على غيبته والصورة على شهوده أو المعنى على بقائه والصورة على فنائه أو بالعكس وانه صلى الله عليه وسلم كامل في كل منهما والاصطفاء الاجتباء والبارئ بمعنى الخالق من البري بمعنى النحت قال الشاعر

برانى الهوى حتى أضرّ بى الهوى ❁ فلم يبق لى لحما ولم يبق لى دما

والنسم جمع نسمة وهي في الاصل النفس ومنه قولهم أعتق النسمة والمعنى انه صلى الله عليه وسلم لما كانت ذاته بحسب الفطرة والاستعداد الذاتي والقبول الجبلي مستحقة لفيض لا يصلح الا لتلك الذات ولكمال لا يليق الا بها ثم انه ترقى في مقام التكليف بحسب الرياضات والاجتهادات في العبادات والطاعات بحسب الفرائض والنوافل والواجبات في مقام قصرت عنه همم الرجال وتقاعدت ان تحوم اليه عزائم أهل الكمال وكانت الحكمة الالهية مقتضية ان يلبس هذا المعنى التام الأكمل خلعة صورة من الجمال تناسبه في الكمال لا جرم كانت صورته أتم الصور ومعناه أكمل المعاني فتعين لمحبوبية خالق الصور وواهب العقول لما فيه من الجمالية باعتبار الفروع والاصول فهو ظل الله تعالى في السموات والارضين وخليفته في الخلافة العظمى على الملائكة والنبيين والمرسلين وهو علة كون البشر والاملاك المخاطب بلولاك لولاك لما خلقت الافلاك فهو الذي تمّ في مسطبة الحسن بدر جماله وكمل في ديوان المعالي ديوان كماله وبعد أن اعتدل منه القوام وملح وعذب منه الكلام وفصح اصطفاه رب العالمين حبيبا من بين الانبياء والاولياء والمرسلين وعن الشيخ ابراهيم بن شيبان بن حنظلة رضي الله عنه قال سئل أبو العباس الخضر عليه السلام عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى فقال خلق الله تعالى نور محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل السموات والارض وقبل العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل حجاب العظمة وقبل حجاب الهيبة وحجاب القدرة وحجاب العزة وحجاب الكبرياء وحجاب الجبروت وحجاب

المنة وحجاب المنزلة وحجاب الكرامة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب النبوة بأربعمائة ألف عام فكان يلاحظه في كل يوم وليلة سبعين ألف لحظة يكسوه في كل لحظة نورا جديدا وكرامة جديدة حتى تم معناه وصورته اهـ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون * ثم قال رضي الله عنه

* منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم *

أي ولا شك انه صلى الله عليه وسلم منزه أي مبعد عن وجود شريك في محاسنه الشريفة فجوهر الحسن فيه غير منقسم أي حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره وهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما والفرض خلافه فعلى هذا يكون قوله فيه خبرا عن قوله جوهر الحسن فان قلت ان شريك نكرة في سياق الثبوت فلا تعم كل شريك فيكون المعنى منزه عن بعض الشركاء في المحاسن فالجواب انها في سياق النفي لان معنى منزه عن شريك أي لا يوجد له شريك كما قدرته بقولي عن وجود شريك فاعلمه اهـ قسطلاني وفي أبي السعود التنزيه والتقديس بمعنى واحد وهما بمعنى التطهير وهو في الاجسام بمعنى ازالة النجاسة العينية والحكمية وفي المعاني ازالة الاوصاف الذميمة والسمات القبيحة المضادة لصفات الكمال والشريك بمعنى المشارك والمشاركة والشركة والاشتراك بمعنى اجتماع الاستحقاقين فصاعدا في شئ والمحاسن جمع حسن على غير قياس والجوهر هو الجسم النفيس المعدني وهو عند المتكلمين يقال له الجزء الذي لا يتجزأ وهو ما لا يقبل القسمة أصلا لا طولا ولا عرضا ولا عمقا والحسن في الصورة عبارة عن كيفية ناشئة من تناسب أجزاء المركب تروق في المنظر أي تسر وتميل اليها الطباع السليمة وفرق بينه وبين الجمال بأن الجمال لا تطلق الا على الكيفية الحاصلة في الانسان والحسن أعم والمراد بالحسن ههنا أعم من حسن الصورة والمعنى والانقسام هو التجزي اما عقلا أو حسا أو وهما وقوله منزه خبر مبتدا محذوف أي هو منزه وعن شريك جار ومجرور متعلق بمنزه وفي محاسنه متعلق بشريك والفاء في فجوهر فصيحة أي واذا كان منزها عن شريك في محاسنه فجوهر حسنه غير منقسم واضافة الجوهر الى الحسن بيانية ويجوز أن تكون لامية وضمير فيه راجع الى الحبيب وغير منقسم خبر جوهر الحسن والمعنى انه صلى الله عليه وسلم لما انحصر تمام حسن الصورة وجمال كمال المعنى في صورته ومعناه فهو منزه ومتوحد عمن يشاركه في جوهر الحسن والجمال منفرد عن أن يماثله مثل أو يشابهه

ند في الملاحة والاعتدال واذا عدم نظيره ولم يوجد شبيهه فجوهر حسنه مصون
عن عرض الانقسام بل غير قابل للقسمة في شئ من الانام وكيف لا وهو سلطان
سرير الملاحة وبدر أفق سماء الصباحة ماماس في بستان الحسن الاغصن قامته
ولا طلع من برج الجمال الا شمس طلعته قال الشاعر

هو البدر الا أنه غير ناقص * هو الشمس الا أنه غير منكسف
هو البحر الا أنه غير هائج * هو الطود الا أنه غير منتسف

روى ان أبا طالب قال في الخطبة التي خطبها في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم
خديجة ثم ان ابن أخي هذا لا يوزن برجل الارجح عليه وان له نبأ عظيما وخطبا جليلا
اه قال في الشفاء اما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي
هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة
وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن
فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من أنه كان صلى الله عليه وسلم أزهر
اللون أدعج أنجل أشكل أهدب الاشفار أبلج أزج أقنى أفلج مدور الوجه
واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم
المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين
والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله
صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل
حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء رضي الله عنه ما رأيت من
ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو
هريرة ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في
وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال له رجل
كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر
وكان مستديرا وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحلاه
وأحسنه من قريب وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر
وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته
لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم قوله في الحديث السابق أزهر اللون أي
أبيض مشربا بحمرة وقوله أدعج أي شديد سواد العين مع صفائها وقوله أنجل أي واسع

العين وقوله أشكل أي بياض عينه مشوب بحمرة وكان هذا اجمالا فيه ومن علامته صلى الله عليه وسلم وقوله أهدب الأشفار أي طويل الهدب وهو الشعر النابت على شفر أي حرف العين وقوله أبلج أي واسع البياض الذي بين الحاجبين وقوله أزج أي دقيق الحواجب ليست عريضة مع غزارة الشعر وقوله أقنى أي مرتفع الانف مع الاستواء وعدم الارتفاع الزائد في وسطه وقوله أفلج أي مفرق الثنايا وهي مقدم الاسنان وقوله مدوّر الوجه أي مع طول يسير وقوله واسع الجبين أي عريض الجبهة أي اتساعا وسطا غير مفرط وقوله كث اللحية أي عظيمها وقوله سواء البطن والصدر أي بطنه وصدره صلى الله عليه وسلم مستويان فليس صدره مرتفعا ولا بطنه منخفضا فانّ ذلك انما يكون لعلة وقوله واسع الصدر أي واسع عظامه عريضا وذلك يدل على عظم القلب وقوّته المستلزم للشجاعة التامة وقوله عظيم المنكبين أي ضخم العظم الجامع بين الزند والكتف من الجانبين وذلك يدل على القوّة وقوله ضخم العظام أي غليظ رؤس العظام يعني المفاصل وهي المرادة بالكراديس في الرواية الاخرى أو العظام المستطيلة كعظم الذراع والساعد والساق ونحو ذلك مما يحسن فيه العظم وقوله عبل العضدين أي ممتلئ الزندين باللحم تثنية عضد وهو ما بين المرفق والكتف وقوله الذراعين أي ممتلئ الذراعين لحما وهما ما بين الكفين والمرفقين وقوله والاسافل يعني الساقين وهما ما بين القدمين والركبتين وقوله رحب أي واسع الكفين والقدمين أي مع غلظهما كما في رواية شثن الكفين والقدمين فانّ ذلك دليل الكرم والقوة وقوله سائل الاطراف أي طويل الاصابع وقوله أنور المتجرد أي مضيء البدن من تحت الثياب أو خالي البدن المتجرد عن الثياب وهو الذي شأنه ان يستتر بالثياب عن الشعر فيكون أنور من التنور وهو استعمال النورة لاجل ازالة الشعر أي انّ بدنه الشريف خال من الشعر ماعدا المسربة وأعالي الصدر والكتفين وقوله دقيق المسربة أي ان المسربة وهي الشعر المتصل من الصدر الى العانة دقيقة أي ليست عريضة وقوله ربعة القد فسره بقوله ليس بالطويل البائن أي الظاهر الطول أي المفرط فيه ولا بالقصير المتردد أي شديد القصر وقوله رجل الشعر بسكون الجيم وكسرها أي كان شعره مرجلا غير متجعد وملتو التواء شديدا كشعر السودان وقوله اذا افترّ ضاحكا أي تبسم يظهر من فمه ضوء كضوء البرق أو تظهر ثناياه واسنانه الشريفة التي تشبه حب الغمام أي البرد في الصفاء والبريق واللطف وحسن المنظر وقوله رئ كالنور أي رؤي شئ مثل النور يظهر من بين أسنانه الشريفة وقوله ليس بمطهم أي غليظ الجسم داخلا في بعضه وقوله ولا بمكلثم أي غليظ الوجه قصيره جدا وقوله متماسك البدن أي لحمه أي ليس

لحمه رخوا وذلك دليل القوة والشدة وقوله ضرب اللحم أي ليس مهزولا ولا سمينا جدا وقوله في رواية البراء ما رأيت من ذي لمة أي من شخص ذي لمة وهي الشعر الذي طال لكن لم يبلغ شحمة الاذن فان بلغها فهو جمة فان زاد عليها فهي وفرة أسأل الله الكريم متوسلا اليه بوجاهة وجه نبيه العظيم أن يمنحنا لمحة من لمحاته ونفحة من نفحاته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ❁ ثم قال رضي الله عنه

❁ دع ما ادعته النصارى في نبيهم ❁ واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم ❁

أي اترك ما ادعته النصارى أي ما قالته في نبيهم عيسى عليه الصلاة والسلام من نسبته الى الالهية على اختلاف آرائهم في ذلك بل قل هو عبد الله ورسوله واحكم بما شئت مدحا فيه غير أن لا تدعى ما ادعته النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام كأنه قال ان سمعت فيه مدحا بأي شئ كان ما عدا ما ذكر فاقض بصحته ولا تكذب قائله فعنى بما شئت أي بصحة ما شئت مما سمعت لان مما يستدعيه الحكم محكوما فيه ولابد وأن يكون غير فعل الحاكم وأتى بقوله واحتكم استظهارا على ان المحكوم عليه بصحة مدحه يرضى بتحكيمك في ذلك فيجعل حيازة الحكم لك وهو احتراس عما يوهمه احكم ان ذلك لسلطان الحاكم وقهره فزاد احتكم ليدل على أنه من الحكم الذي يرتضيه المحكوم عليه به وفائدة الاضافة في قوله نبيهم الرد عليهم فانهم يسلمون انه نبيهم ثم يدعون له الالهية والمعهود في النبي انه من البشر وليست الاضافة للاختصاص فان ذلك يوهم نفي انه ليس نبي لنا أيضا وليس كذلك بل هو نبي لنا بمعنى اننا نؤمن بنبوته لا انه صاحب شرعتنا وهو سيبعث فينا اماما ويوهم أيضا ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس نبي للنصارى وهو باطل اهـ قسطلاني وفي أبي السعود دع بمعنى اترك مأخوذ من يدع وليس له ماض اما مصدره فقد جاء في الحديث قال صلى الله عليه وسلم لينتهين أناس عن ودعهم الجمعات أو ليختمن على قلوبهم بخلاف ذر فانه كما لم يستعمل ماضيه لم يستعمل مصدره والنصارى قوم عيسى عليه السلام قيل سموا نصارى لانتسابهم الى ناصرة وهي قبيلة بالشام كان ينزلها عيسى عليه السلام وقيل اشتقاقه من النصر لنصرتهم لنبيهم ويؤيده ما ورد في القرآن حكاية عنه نحن انصار الله والحكم جاء لمعان منها الامر يقال نزل على حكمه أي على أمره ومنه الحاكم من يأمر وينهى فيمتثل أمره ونهيه ومنها خطاب الله المتعلق بأحكام المكلفين تعلق الاقتضاء والتخيير والمشيئة الارادة والمدح هو الثناء على الفعل الجميل سواء كان اختياريا أو غيره يقال مدحت اللؤلؤة على صفائها والرجل على شجاعته قال الشاعر

ما ان مدحت محمدا بمقالتي ❁ لكن مدحت مقالتي بمحمد

والاحتكام المبالغة في الحكم ودع فعل أمر وهو خطاب عام وما موصولة أو موصوفة وادعته النصارى صلته أو صفته وإنما جيء بالموصول استهجانا للتصريح بالمقصود وهو من قبيل وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وفي نبيهم متعلق بادعته والمعنى يخاطب كل من قصد مدح تلك الحضرة المصطفوية والسدة المحمدية بالرخصة له في سلوك أي أسلوب أراده من أساليب المديح ما ادعته النصارى في عيسى عليه السلام من البنوة موضع النبوة فإنه لا يجوز الإقدام عليه لاستلزامه الشرك وما عداه من صفات الكمال ونعوت الجلال وسمات الجمال فانك ذو رخصة فيه ليس عليك من حرج بل لو بذلت في ذلك جل طاقتك وجهدك وجدت في تحصيله بنفسك لم تحط إلا بالقليل من معاني كماله ونعوت جماله فان عظمة ممدوحك عظمة قد طاعت لها أعناق الجبابرة وعلو شأنه مرتبة قد خضعت لها جباه القياصرة واركب في طريق الاطراء عليه جادة الانصار لا النصارى واسلك في الثناء عليه مسلك المهتدين لا الحيارى وعنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى وقولوا عبد الله ورسوله فان قلت ما وجه ربط هذا البيت بالابيات السابقة قلت دفع ما يوشك أن يخطر ببال بعض من قصرت فطنته عن ترك شيء من كمالاته وبعض من مقاماته ان هذا القول افراط في مدحه صلى الله عليه وسلم حيث مدحه بما يدل على كثرة التفاوت بين مرتبته ومرتبة سائر الانبياء وان هذا من طريق الغلو فدفع ذلك التوهم بما تضمنه هذا البيت وتممه بقوله

﴿وانسب الى ذاته ماشئت من شرف ❊ وانسب الى قدره ماشئت من عظم﴾

والنسبة العلاقة بين الشيئين وذاته هو الهوية والحقيقة التي يكون بها ذلك الشيء شيأ والشرف المجد والمراد به النباهة وعلو الشأن قال الشاعر

شرفي وفخري في الوجود وعزتي ❊ اني بترب نعالكم أتمسك

والقدر بمعنى المقدار وقد غلب استعماله في المقدار من الشرف ومنه قول علي رضي الله عنه رحم الله امرأ عرف قدره فلم يتعد طوره وقول الشاعر

ان كان قدري ما رأيت لديكم ❊ فلقد أضعت بحبكم أوقاتي

والعظم بمعنى العظمة وهي زيادة الرتبة في الوصف الجميل وقوله وانسب عطف على واحتكم وصحح بعض الشراح رواية الفاء وما شئت موصولة والعائد محذوف ومن شرف بيان لما والتنوين للتفخيم والمعنى انك اذا عرفت بعض ماله من المزايا التي يقصر عنها باع البراعة و يضيق عن احصاء بعضها نطاق الاوراق و يكل عن حمل نزر منها متون النياق فانسب الى ذاته الشريفة وعنصره اللطيف ماشئته واخترته

من الشرف الباذخ والمجد الشامخ وانسب الى قدره العالى ومقداره المتعالى ما أردته وقصدته من المنزلة العلية والمرتبة السنية ولا تقف عند حد وغاية ولا تتوقف لدى منزلة ونهاية الاعند وصف مختص بمن منه الهداية واليه النهاية وناهيك فى قصور الباع عن مدح ربه اياه فى كتبه المنزلة بما يعجز لسان البشر عن احصائه وعن عطاء بن يسار رضى الله عنه قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض أوصافه فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا تدفع بالسيئة السيئة ولكن تعفو وتغفر ولن أقبضك حتى تقيم الملة العرجاء بأن يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وتفتح به أعين عمى وآذان صم وقلوب غلف اه وفى القسطلانى وانسب أنت بنفسك الى ذاته الشريفة ماشئت من شرف وانسب أيضا الى قدره العظيم ماشئت من عظم فالامر الاول فى قوله واحكم بصدق ماسمع من المدح والثانى بمباشرة المدح وانشائه وبهذا التفسير يندفع قول من قال وانسب الى ذاته البيت لم يفد الا تفصيل ما أجمله البيت الذى قبله اه وفى الشفاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه عليه الصلاة والسلام أتانى جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولم أر بنى اب أفضل من بنى هاشم اه وبالجملة فمقامه المنيف لا يدرك له قرار ولا يدرك كنهه غير خالقه الواحد القهار وقد سبق لك فى أول الكتاب عن المحقق بن حجر انه قيل لسلطان العاشقين العارف ابن الفارض لم لم تمدح النبى صلى الله عليه وسلم فقال

أرى كل مدح فى النبى مقصرا ❊ وان بالغ المثنى عليه وأكثرا
اذا الله أثنى بالذى هو أهله ❊ عليه فما مقدار ما تمدح الورى

❊ ثم قال رضى الله عنه

❊(فان فضل رسول الله ليس له ❊ حد فيعرب عنه ناطق بفم)❊

فقوله ليس له حد أى ليس له نهاية فيعرب بالنصب باضمار أن بعد الفاء التى هى جواب النفى الذى أفادته ليس فاذا كان لا حد له فكيف يتصور ان يعرب عنه ناطق بفم اه قسطلانى والفضل مصدر بمعنى الزيادة وجاء بمعنى الفضيلة ضد الرذيلة وهى عبارة عن الصفة الجميلة الزائدة على ما يجب من المحامد قال العارف الشعرانى وقد كان الامام الشافعى يزور تلميذه الامام أحمد بن حنبل كثيرا ويزوره الامام أحمد كذلك فقيل للشافعى فى ذلك فانشد يقول



والاحتكام المبالغة فى الحكم ودع فعل أمر وهو خطاب عام وما موصولة أو موصوفة وادعته النصارى صلته أو صفته وانما جىء بالموصول استهجانا للتصريح بالمقصود وهو من قبيل وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وفى نبيهم متعلق بادعته والمعنى يخاطب كل من قصد مدح تلك الحضرة المصطفوية والسدة المحمدية بالرخصة له فى سلوك أى أسلوب اراده من أساليب المديح ماادعته النصارى فى عيسى عليه السلام من البنوة موضع النبوة فانه لايجوز الاقدام عليه لاستلزامه الشرك وماعداه من صفات الكمال ونعوت الجلال وسمات الجمال فانك ذو رخصة فيه ليس عليك من حرج بل لو بذلت فى ذلك جل طاقتك وجهدك وجدت فى تحصيله بنفسك لم تحط الا بالقليل من معانى كماله ونعوت جماله فان عظمة ممدوحك عظمة قد طاعت لها أعناق الجبابرة وعلو شأنه مرتبة قد خضعت لها جباه القياصرة واركب فى طريق الاطراء عليه جادة الانصار لا النصارى واسلك فى الثناء عليه مسلك المهتدين لا الحيارى وعنه صلى الله عليه وسلم لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى وقولوا عبد الله ورسوله فان قلت ماوجه ربط هذا البيت بالابيات السابقة قلت دفع مايوشك أن يخطر ببال بعض من قصرت فطنته عن ترك شئ من كمالاته وبعض من مقاماته ان هذا القول افراط فى مدحه صلى الله عليه وسلم حيث مدحه بما يدل على كثرة التفاوت بين مرتبته ومرتبة سائر الانبياء وان هذا من طريق الغلو فدفع ذلك التوهم بما تضمنه هذا البيت وتممه بقوله

﴿وانسب الى ذاته ماشئت من شرف ❊ وانسب الى قدره ماشئت من عظم﴾

والنسبة العلاقة بين الشيئين وذاته هو الهوية والحقيقة التى يكون بها ذلك الشئ شيأ والشرف المجد والمراد به النباهة وعلو الشأن قال الشاعر

شرفى وفخرى فى الوجود وعزتى ❊ انى بترب نعالكم أتمسك

والقدر بمعنى المقدار وقد غلب استعماله فى المقدار من الشرف ومنه قول على رضى الله عنه رحم الله امرأ عرف قدره فلم يتعد طوره وقول الشاعر

ان كان قدرى مارأيت لديكم ❊ فلقد أضعت بحبكم أوقاتى

والعظم بمعنى العظمة وهى زيادة الرتبة فى الوصف الجميل وقوله وانسب عطف على واحتكم وصحح بعض الشراح رواية الفاء وماشئت موصولة والعائد محذوف ومن شرف بيان لما والتنوين للتفخيم والمعنى انك اذا عرفت بعض ماله من المزايا التى يقصر عنها باع البراعة ويضيق عن احصاء بعضها نطاق الاوراق ويكل عن حمل نزر منها متون النياق فانسب الى ذاته الشريفة وعنصره اللطيف ماشئته واخترته

من الشرف الباذخ والمجد الشامخ وانسب الى قدره العالى ومقداره المتعالى ما أردته وقصدته من المنزلة العلية والمرتبة السنية ولا تقف عند حد وغاية ولا تتوقف لدى منزلة ونهاية الا عند وصف مختص بمن منه الهداية واليه النهاية وناهيك فى قصور الباع عن مدح ربه اياه فى كتبه المنزلة مما يعجز لسان البشر عن احصائه وعن عطاء بن يسار رضى الله عنه قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض أوصافه فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا تدفع بالسيئة السيئة ولكن تعفو وتغفر ولن أقبضك حتى تقيم الملة العرجاء بأن يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وتفتح به أعين عمى وآذان صم وقلوب غلف اه وفى القسطلانى وانسب أنت بنفسك الى ذاته الشريفة ماشئت من شرف وانسب أيضا الى قدره العظيم ماشئت من عظم فالامر الاول فى قوله واحكم بصدق ماسمع من المدح والثانى بمباشرة المدح وانشائه وبهذا التفسير يندفع قول من قال وانسب الى ذاته البيت لم يفد الا تفصيل ما أجمله البيت الذى قبله اه وفى الشفاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه عليه الصلاة والسلام أتانى جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولم أر بنى اب أفضل من بنى هاشم اه وبالجملة فمقامه المنيف لا يدرك له قرار ولا يدرك كنهه غير خالقه الواحد القهار وقد سبق لك فى أول الكتاب عن المحقق بن حجر انه قيل لسلطان العاشقين العارف ابن الفارض لم لم تمدح النبى صلى الله عليه وسلم فقال

أرى كل مدح فى النبى مقصرا ❊ وان بالغ المثنى عليه وأكثرا
اذا الله أثنى بالذى هو أهله ❊ عليه فما مقدار ما تمدح الورى

* ثم قال رضى الله عنه

❊فان فضل رسول الله ليس له ❊ حد فيعرب عنه ناطق بفم❊

فقوله ليس له حد أى ليس له نهاية فيعرب بالنصب باضمار أن بعد الفاء التى هى جواب النفى الذى أفادته ليس فاذا كان لا حد له فكيف يتصور ان يعرب عنه ناطق بفم اه قسطلانى والفضل مصدر بمعنى الزيادة وجاء بمعنى الفضيلة ضد الرذيلة وهى عبارة عن الصفة الجميلة الزائدة على ما يجب من المحامد قال العارف الشعرانى وقد كان الامام الشافعى يزور تلميذه الامام أحمد بن حنبل كثيرا ويزوره الامام أحمد كذلك فقيل للشافعى فى ذلك فانشد يقول

قالوا يزورك أحمد وتزوره ❋ قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارني فبفضله أو زرته ❋ فلفضله فالفضل في الحالين له

فأجابه الامام أحمد رضي الله عنه بقوله

ان زرتنا فبفضل منك تمنحنا ❋ أو نحن زرنا فللفضل الذي فيكا
فلا عدمت كلا الحالين منك ولا ❋ نال الذي يتمنى فيك شانيكا

اه من كتابنا النفحات النبوية وفي أبي السعود الفاء في فان تعليلية والاضافة في فضل رسول الله لامية وانما وضع الظاهر موضع المضمر استلذاذا وتبركا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد اسم ليس وله خبره قدم عليه للظرفية والفاء في فيعرب ناصبة للفعل بتقدير أن لانها بعد النفي وضمير عنه عائد الى الحد وبه تعلق بناطق أو بيعرب وبفم من قبيل قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه والمعنى بيان الاذن في نسبة ما يشاء المادح ويهواه الواصف لذاته الزاكي وقدره العالي من الشرف الباذخ والعظم الراسخ بان فضائله المتوالية وفواضله المتتالية لم تبلغ في مجرى الكمال ومسلك العز والجلال الى غاية يقف عندها الواصف ونهاية يتوقف عليها المادح فانه صلى الله عليه وسلم مظهر لكمال من لا يحيط بكماله حصر ولا حد ولا يحصيه ضبط ولا عد قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وأنت خبير بأنه لما كان الكمال المتعدد به بين الرجال انما هو كمال المعرفة وكمال المعرفة غير متناه فكمال العارف كذلك وأما توقف الترقي في درجات الكمال على الكسب المتوقف على الآلات البدنية من القوى والنفوس والارواح البشرية فانما هو مخصوص بكمال خاص مقيد بالبدن العنصري والقالب الجثماني مع ان العارف قد اكتسب بأعماله الصالحات من العبادات والمجاهدات والرياضات وتزكية الاخلاق من دنس العادات بدنا روحانيا مماثلا للبدن العنصري فيما له من الاعضاء والقوى والأرواح والنفوس وتعلقت به نفسه الزكية فهو يطير به في معارج القدس الى ما لا نهاية له ولا ولاية روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى في ليلة المعراج أفواجا من الملائكة يطوفون حول البيت المعمور وذكرهم في طوافهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم وهم يقطعون في طوافهم الشوط أسرع من لمح البصر وغيرهم من الملائكة لا يستطيع قطع ذلك الشوط الا في زمن طويل فسأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام من هؤلاء فقيل له هؤلاء أشراف الملائكة في السماء كما ان لك أشراف البشر في الارض فقال له يا أخي يا جبريل بماذا استحقوا هذه المنزلة وبم تيسرت لهم هذه السرعة في الطير فقال له ببركة اسمك فبه نالوا ما نالوا اه ولله در الامام الجليل



﴿فصل﴾ قال الفقيه ﴿ في كتابه الشفاء ﴾ قال حيث قال القاضى عياض
حدث النبيل القاضى عياض حيث قال فى كتابه الشفاء ﴿فصل﴾ قال الفقيه
اضى رحمه الله اذا كان خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا
رف بواحدة منها ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب أو جمال أو قوة أو علم
حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له
يصف بذلك فى القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك
ظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال
ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة
خلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحى والشفاعة
وسيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر
أسود والصلاة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد
بشارة والنذارة والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم والامانة والهداية والرحمة
المين واعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما
تقدم وما تأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
التأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثانى والقرآن العظيم
زكية الامة والدعاء الى الله تعالى وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما
أراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات
لعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين الاصابع وتكثير القليل
نشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب
ظليل الغمام وتسبيح الحصى وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه
محفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما أعد الله تعالى له فى الدار
آخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة
تى تقف دونها العقول ويحار دون أدانيها الوهم اه نسأل الله الكريم ان يمن علينا
زة من اقباله وبسطة من افضاله ويبلغنا الآمال بجاه النبى والصحب والآل
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكره
ذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ۞ ولما كان قدره صلى الله عليه وسلم لا حد له
لم من ذلك ان جميع ما ظهر على يديه من الآيات لم يكن شئ منها مناسبا بالتقدير
عظيم كما أشار اليه رضى الله عنه بقوله

﴿الرسم﴾ أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم ۞ لو ناسبت قدره آياته عظما ﴿
ى لو ماثلت قدره آياته التى هى أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم جمع آية وأصلها عند
سيبويه أوية تحركت الواو وقبلها فتحة فقلبت ألفا وقيل آية عظما أحيا اسمه

الشريف حين أي وقت يدعى دارس الرمم جمع رمة بالكسر وهى العظام البالية
يعني انه لوناسب شئ من آياته التي هي كتسبيح الحصى في كفه وانشقاق القمر له وتسليم
الاحجار والغزالة عليه قدره لكان من جملتها انه اذا دعى دارس الرمم مع ذكر اسمه
الشريف أحياه الله تعالى بسبب بركة ذكر ذلك الاسم الشريف كأن يقول مثلا
ياميت عش باسم محمد صلى الله عليه وسلم ويجوزأن يكون دارس منصوبا باحيا
ويكون في يدعى ضمير مرفوع نائب عن الفاعل والتقدير أحيا بركة ذكر اسمه
الشريف دارس الرمم حين يدعى هواي دارس الرمم مصاحبا لذكر الاسم المبارك
ويحتمل أن يكون ضمن يدعى معنى يذكر أي أحيا اسمه دارس الرمم حين يذكر هواي
اسمه ودارس على هذا مفعول احيا فان قيل ان كلامه يعطي ان شيأ من آياته صلى الله
عليه وسلم لم يناسب قدره لان لوحرف امتناع لامتناع أي امتنعت الخاصية المذكورة
لامتناع مناسبة شئ من آياته قدره وهذا باطل لان من آياته القرآن وهو كلام الله
وكلامه صفته وشرف الصفة بشرف الموصوف فكيف يصح ان يقال صفة الله
لم تناسب قدر النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب انه ليس المراد بالقرآن كلام الله
الذي هو صفة ذاتية وهذا المعنى قائم بذاته سبحانه وتعالى ولا يفارق الذات فاطلاق
القرآن عليه الذي هو بمعنى المقروء مجاز وهذا لا يكون معجزة لان المعجزة فعل الله
الخارق للعادة وهذه صفة للذات بل يراد بالقرآن الحروف والاصوات التي تنفتح بها
أوداج القارئ وهذا هو المعجزة واطلاق القرآن عليه بمعنى القراءة ومدلوله المعنى
القديم وهو الدال عليه وهذا هو مراد الناظم لانه يراد بالآية المعجزة وحينئذ يمتنع ان
تكون الحروف والاصوات مناسبة لقدره صلى الله عليه وسلم اه قسطلاني وفي
ابي السعود لو للشرط وهي لامتناع المشروط كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا اذ المراد انتفاء الفساد لانتفاء الآلهة الذي هو الشرط ولذلك
سميت امتناعية وقد تجيء لاثبات الثاني على تقدير اثبات الاول وعدمه كقوله
صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يعني ان عدم العصيان
ثابت سواء تحقق الخوف أو لم يتحقق لان المعنى انتفى العصيان في حال عدم الخوف
لانه مجبول على الطاعة وعدم العصيان فما بالك به وهو من أعظم الخائفين من الله
تعالى فانه من اجلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وآياته فاعل ناسبت وقدره
مفعوله قدم للاهتمام وعظما تمييز واحيا جواب الشرط واسمه فاعل احيا ودارس
مفعول احيا والمعنى نفي كون آياته مناسبة لعظم قدره اذ لو كانت آياته الباهرات
ومعجزاته القاهرات على مقدار قدره العالي وشأنه المتعالي لأعطى مع ذكر
الأعظم الموتى صفة الحياة ولصارت العظام البالية الرميمة حين يتوسل باسمه



الكريم الى محيي العظام وهي رميم حية منتعشة لكن من حيث ان آياته غير واقعة على مقدار قدره لم يحي الله ببركة اسمه حين تتوسل به اليه رميم العظام والمراد بالآيات مجموعها لا جميعها فلا يرد القرآن وقد يقال لا نسلم ان اسمه لم يحي الميت فلا يلزم أن لا تكون آياته مناسبة لعظم قدره بل من شأن اسمه أن يحي الله العظام البالية عند التوسل به وانما التخلف من جهة الذاكر لا من جهة المذكور ولو كان التوسل باسمه ذا صلاحية للتوسل في احياء الميت لاحياه الله سبحانه وتعالى ببركة اسمه بل كان احياء جميع القلوب الميتة بسبب مسماه كذلك احياء جميع الموتى الذين أحياهم الله تعالى في دار الدنيا على أيدي كل الانبياء والاولياء معجزة وكرامة انما هو ببركة اسمه المبارك وهل تظن أن تستجاب دعوة داع من دون أن يصدر الدعاء باللهم صل على محمد وعلى آل محمد روى محمد بن محمد البخاري المشهور بخواجه بارسا في فصل الخطاب ان رجلا من بني اسرائيل عاش أربعمائة سنة لم يأت مدة عمره بحسنة تكتب له ولم يترك سيئة من السيئات لم تكتب عليه فلما قضى نحبه كره بنو اسرائيل أن يدفنوه في مقابرهم وقذفوه في مزبلة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان اذهب وارفع عبدي من المزبلة وغسله بيدك وحنطه وكفنه وصل عليه وأمر جميع بني اسرائيل أن يصلوا عليه فمن صلى عليه مغفور له غفر له فلما فعل موسى عليه السلام ذلك تعجب بنو اسرائيل وسألوا موسى أن يسأل ربه عن سببه فأوحى الله اليه ان عبدي هذا تصفح يوما التوراة فوصل الى صفحة فيها اسم حبيبي محمد فقبله ووضعه على عينيه وتوسل به ان أغفر ذنوبه وأحرم جسده على النار وأدخله الجنة فآليت على نفسي اجابة دعوته وأمرت الكرام الكاتبين أن يبدلوا سيآته حسنات اهـ ❁ وانما كانت الآيات الظاهرة على يديه لم تناسب قدره الشريف لانه لو أتت آياته على مناسبة قدره لأعيانا فهم ذلك لقصور قدرنا عن قدره كما أشار اليه لقوله

❁لم يمتحنا بما تعيا العقول به ❁ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم❁

أي لم يختبرنا في التكليف والتفهيم بما تعيا العقول به أي تكل بسببه فلا تفهمه حرصا علينا أي لاجل حرصه على هدايتنا فلم نرتب أي فلم نشك فيما يلقى الينا ولم نهم فيه أي لم نتحير في ذلك قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة مع التكليف فان قلت كيف قال لم يمتحنا بما تعيا العقول به وفي القرآن المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله فالجواب ان هذه المسئلة مسئلة خلاف والمحققون على ان الوقف على قوله تعالى في العلم لان الخطاب بما لا يفهم بعيد فيعلم تأويله أيضا الراسخون في العلم واذا علموه علموه غيرهم أو يقال لم يمتحنا بكذا باعتبار ما يرجع الى ما كلفنا به لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج والمتشابه ليس

من ذلك اذ لا يتعلق به تكليف وتمام تحقيقه في علم التفسير اهـ قسطلاني وفي أبي السعود الامتحان الاختبار قيل في المثل عند الامتحان يكرم المرء أو يهان والعي" الكلال وقد تطلق على عدم الاهتداء الى طريق الفعل والحرص شغف النفس على نيل شئ وهو في تحصيل الكمال محمود والارتياب التشكك والشك تساوي طرفي النفي والاثبات واذا رجح أحد الطرفين فالراجح الظن والهيمان الحيرة والضلال والمعنى ان عدم ارتيابنا في الاعتقادات الخفية والاحكام الشرعية ونبأتنا على ماجاءنا به صلى الله عليه وسلم من الاعتقادات الدينية ومايتعلق بالنبوة والامور الاخروية ورسوخ القدم في الاحكام الشرعية متفرع على ماجاءنا به من الملة الحنيفية السهلة الغراء والطريقة القويمة الجليلة الشهباء حيث لم يكلفنا بالتكاليف الشاقة مثل ما كلفت به الامم السابقة من قبلنا حرصا على هدايتنا وشفقة على سلامتنا وهذا هو المعنى الظاهر من البيت الذي سبق الى افهام من قبلي من الانام ولا يبعد أن يحمل على ان الناظم قصد من البيت تعليل عدم احياء اسمه صلى الله عليه وسلم العظام الرميمة مع ان من سماته احياء القلوب الميتة وتحقيق ذلك انه لو أحيا اسمه الموتى لتاهت العقول فيه وتحيرت الافهام في معانيه ولربما أدى ذلك الى الغلو والوقوع في الضلال كما وقعت النصارى في التثليث بسبب عيسى عليه السلام وأمه أي انما لم يحي اسمه الموتى لئلا يمتحننا بما تكل عن دركه عقولنا وتعجز عن الاحاطة به أفهامنا لئلا نقع في الشك والارتياب وحرصا علينا في ارتكاب طريق الصواب وذلك من كرم واهب العطايا ورأفة الرسول بالبرايا ويؤيد هذا البيت الذي بعده حيث يقول

﴿أعيا الورى فهم معناه فليس يرى * في القرب والبعد منه غير منفحم﴾

أي أعجز الخلق فهم معناه أي فهم تفصيل أحواله السنية وصفاته العلية وقوله غير منفحم اسم فاعل من انفحم اذا سكت ولم يجب أي فليس يرى من الخلق المنكرين في ادراك تلك الاحوال القاصدين طلب الاحاطة بها سواء عند القرب منه أو البعد غيره منقطع عن ادراك ذلك المرام ومصدود عن بلوغ ذلك المقام واسناد الاعياء الى الفهم من المجاز العقلي أي أعياهم الله تعالى عن ادراكه وفي الجمع بين الاعياء والانفحام وبين الفهم والمعنى وبين القرب والبعد مراعاة النظير وفي القرب والبعد الطباق واللام في للقرب بمعنى عند او مع وفي أبي السعود الاعياء الاعجاز والعي العجز وعي لازم وأعيا يجيء لازما ومتعديا يقال اعييت وأعييا في الامر والورى المخلوقات والفهم الادراك والمعنى مايفهم من اللفظ والمراد به هنا الحقيقة المحمدية والانفحام العي" والعجز عن المعارضة والمراد بالمنفحم العاجز عن الاتيان بمثل ما أتى به

والقاصر عن بيان كمالاته وهذا هو المناسب للمقام والورى مفعول أعيا وفهم فاعله قدم للاهتمام ونكتته العلم فى أول الوهلة ان العاجز عن الفهم جميع الناس حتى ينتفى توهم ان أحدا من الناس يمكن له الاحاطة بفضائله وكمالاته فينقطع كل أحد من الناس الطمع فى البلوغ فى ذلك الامر فلا يتعرض لما لا يمكنه فيكون كالراقم على الماء واللام فى الورى للاستغراق وقد يراد من الورى العقلاء فانهم المقصودون بالخطاب فتكون اللام للعهد الذهنى كقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة وقولك اصاحبك ادخل السوق لسوق معهود بينك وبينه والفاء فى فليس فصيحة والمعنى ان معرفة نفاسة جوهر هذا الرسول الكريم والنبى العظيم الذى هو مظهر لكمال المولى الرب الرحيم مقام عجز عن ادراكه والوصول اليه افهام الانام وقصر عن نيله أقدام ألباب ذوى الاسلام فلست ترى أحدا سواء كان قريب المنزلة أو بعيدها وسواء كان قريب العهد من زمانه صلى الله عليه وسلم أو بعيده قد رام درك ماهيته وفهم حقيقته وحصر كمالاته واحصاء مقاماته الا وقد نكص على عقبيه وعجز عن تحريك ما بين لحييه قاصرا عن أن يدرك شيأ من خصائصه أو قليلا من فضائله لان مرتبة النبوة فوق الولاية ومرتبة الولاية لا تدرك لقوله تعالى أوليائى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى فكيف تعرف مرتبة النبوة لاسيما مرتبة نبوة سيد الانبياء والمرسلين وخاتم النبوة فى الكتاب المبين والى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه بقوله لا يعرفك الا الله وأنا ولا يعرفنى الا الله وأنت ولا يعرف الله الا أنا وأنت فان قلت كيف يجوز حصر كل منهم فى الآخر مع ان البشر مكلفون بمعرفة كل منهم قلت المراد المعرفة التامة التى لا يمكن حصولها لغيره والمكلف به المعرفة بوجه من الوجوه فان قلت ما بينة تدل عن ان النبوة أفضل من الولاية وقد ورد فى الحديث أن الولاية أفضل من النبوة قلت المراد بالولاية المفضولة الولاية المطلقة وبالولاية الفاضلة الولاية المقيدة بالنبوة اهـ * ثم شبه عدم الاحاطة بكنه معناه مع القرب والبعد بالشمس فقال

﴿ كالشمس تظهر للعينين من بعد ❊ صغيرة وتكل الطرف من أمم ﴾

أى هو كالشمس تظهر للعينين من بعد بضم العين اتباعا لضم الباء وأصلها السكون صغيرة قدر الترس وتكل الطرف من أمم أى من قرب وسميت الشمس شمسا لبعدها وسرعتها او محلها الفلك الرابع وذكر أهل الهيئة ان جرمها كقدر الارض مائة ونيفا وستين مرة وعن الثعلبى قدر الدنيا مائة وعشرين مرة وعن ابن عباس وعكرمة كقدر الدنيا فمفهوم معناه صلى الله عليه وسلم كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وان كانت فى نفس الامر أعظم من الارض بكثير وهى من أمم أى قرب تكل الطرف

أى تعييه وهـذا يحتمل وجهين اما أن يكون اعياؤها الطرف عن الاحاطة بجملتها لعظم جرمها واما أن يكون اعياؤها الطرف عن الاحاطة بها مع القرب من أجل قوة شعاع نورها فانه يرد البصر خاسئا كليلا ووجه التشبيه ان البعيد منه صلى الله عليه وسلم انما يحصل له من أحواله النزر القليل بالوصف فهو يقف عند ذلك القدر فقد أدركه على خلاف ماهو به كمدرك الشمس مع البعد وأما القريب منه المشاهد لانواره وآياته التى تبهر عينيه الباصرة والبصيرة عن الاحاطة بجملة معناه لعظم قدره فلا يمكنه الوقوف على حقيقته صلى الله عليه وسلم كما ان الناظر الى الشمس لا يمكنه امعان النظر الى جرمها لحجب بصره بشعاعها واعلم ان من خصه الله تعالى بالمعارف الالهية وتخلق بالصفات الربانية كان بالنظر الى ذاته وخلقته قريبا من البشر وبالنظر الى اخلاقه وأفعاله بعيدا عن ادراك النظر لانه بالنظر الى أفعاله والارتقاء الى أحواله خرج عن ظهورهم الموصوف وانما يحصل له ذلك بقطع العلائق التى تشغله عن ربه تعالى فاذا بلغ هذه المنزلة تحير الورى الراكنون الى غير الله تعالى من المخلوقين فى أمره فيقولون لما استولى على قلوبهم من الغفلة بأى شئ اختص هذا عنا مع انه بشر مثلنا ومن جنسنا فان نظروا الى بشريته وهى حالة بعده باعتبار ماهو عليه رأوه صغيرا وان تفكروا فى خصائصه وهى حالة قربه رجع طرفهم خاسئا حسيرا وهذه صفات الواحد فى الانبياء والواحد فى الاولياء فلا الناظر الى البشرية رام الطريقة ولا المتفكر فى الخصائص ادرك الحقيقة وحينئذ يشبه ذلك الواحد بالشمس فى الادراكين المذكورين وفى استفاضة أنواره على من دونه ممن يشاركه فى مطلق المنزلة وهم كالكواكب المستمد نورها من نور الشمس اه قسطلانى وفى أبى السعود البعد بضمتين لغة فى البعد بسكون العين والاكلال الايقاع فى الكلال والكل والكلول والكلولة بمعنى العى يقال كل لسانه وحسامه وطرفه اذا عي عن الكلام وعن القطع وعن النظر والامم جاء بمعنى التوسط بين القرب والبعد وبمعنى المقابلة يقال دارى أمم داره أى مقابلتها وقوله كالشمس خبر مبتدا محذوف أى هو كالشمس وتظهر جملة حالية أو صفة تأكيدية كامس الدابر أو استئناف وبيان لوجه الشبه والطرف مفعول تكل ومن أمم متعلق به ومن ابتدائية والمعنى تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس حين يرمقها البشر من بعد فيرونها صغيرة ثم لو دنوا اليها من قرب لكلت أبصارهم من النظر اليها لعظم جرمها وتشعشع ضيائها كذلك حضرة الرسول صلى الله وسلم اذا تصورته افهام البشر من حيث البشرية انه فرد من افرادها زعمت الواهمة انها قد يمكنها الاحاطة بصفاته الكمالية ونعوته الجلالية واذا ظهر لها انه خاتم النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب

كان نبيا وآدم بين الماء والطين
العالمين وانه لولاه ما كانت الدنيا ولا كان الدين وانه كان نبيا وآدم بين الماء والطين
وتعقلت ما ظهر على يده من المعجزات الباهرات والآيات الالهيات ظهر لها ان
ادراك كنه حقيقته والاحاطة بفضله وفضيلته خارج عن طوق البشر وانما هو
من شأن خالق القوى والقدر فقوله تظهر للعينين بيان لوجه الشبه وهو أن كلا
منهما قد يدرك من جهة وقد يكون ذلك الادراك من تلك الجهة في بادئ الرأى شبهة
لتوهم ادراك حقيقة كل منهما على وجه الصحة والصواب فاذا تأمل الناظر وأمعن
النظر ظهر له امتناع ذلك ورجع اليه طرفه خاسئا وهو حسير هذا هو الظاهر الملائم
للقيد الذي قيد به المشبه به وان كان الذوق السليم والطبع المستقيم بمجال شاسع
ومهيع واسع في الخوض في أنواع من جهة المشبه منها ان الشمس هي النير
الاعظم والكوكب الانجم وهو سلطان الكواكب السيارة وجعلها في
الفلك المتوسط من افلاكها لهذا المدعى قرينة وامارة وهو صلى الله عليه وسلم
أنور الانبياء قلبا وأطهرهم روحا وأطيبهم سرا وهو واسطة عقد النبيين والدرة
اليتيمة وتاج المرسلين وأعلى النبيين منزلة وقدرا وأرفعهم مرتبة سرا وجهرا
ومنها ان نور الشمس يبهر نور الكواكب فاذا ظهرت أشعتها وبدت بوارق تلألئها
اختفت أنوار الكواكب وانهزم عسكر الظلام فكذلك نور نبوته وضياء هدايته
عليه الصلاة والسلام لما برز من تحت حجاب القدرة وتعلقت بظهوره الارادة
والمشيئة اختفت جميع الاديان تحت ستور النسخ والتغيير ورجمت شياطين
الجهل بشهب العلم من أفق سماء الهداية بتقدير العليم الخبير ومنها ان الشمس
مربية لما تحت القمر من الحيوان والنبات والمعدن كذلك وجوده الشريف وجوده
المنيف مربي الارواح الزكية والنفوس الطيبة والملأ الاعلى والعالم الروحاني
وكما ان الشمس اذا أشرقت على المعادن تجعل الحجر الخسيس جوهرا نفيسا
كذلك نور ضياء هدايته اذا أشرق على قلوب السالكين وارفع الناسكين
حلاديهم بجلاء المعارف وحلى أعناق معارفهم بمحاسن اللطائف وكما ان الشمس
اذا طلعت على ثمار الاشجار افادتها حلاوة في الطعم وبهاء في اللون واعتدالا في الطبع
كذلك شمس شريعته وقمر طريقته وبدر حقيقته اذا بزغت من فلك ذاته وأفعاله وسنته
حلت بها العبادة في مذاق المتشرعين وطابت بها أخلاق السالكين وأشرقت
بها أنوار الحقيقة في قلوب العارفين ومنها ان الشمس تفيض على العالم العنصري
كيفية الحرارة وتحفظ المركب الجاري من نكباء صرصر البرودة كذلك حرارة شوقه
وذوقه وسخونة محبته ومحبوبيته تفيض الحرارة الروحانية على أرواح المحبين وتسقي
المحبوبين أقداح أفراح جذبات المشتاقين فتتفجر في قلوب العارفين عيون المعارف

وتنشرح صدورهم عكنونات أسرار اللطائف وللمقال في مثل هذا المقام مجال وكذا لاعراض عن كثير منه حذرا من الاطالة والاملال ولا يبعد أن يحمل التشبيه في هذا البيت على التشبيه المعكوس فانه صلى الله عليه وسلم في جميع الوجوه المذكورة أتم وأكمل من الشمس كما لايخفى ﷺ ثم قال رضي الله عنه

﴿وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ﷺ قوم نيام تسلوا عنه بالحلم﴾

الحلم بضم اللام أي لا يدرك حقيقته كل قوم صفتهم ماذكر لايقال يتخصص على تقدير تسليم عمومه بقوله نيام لانا نقول هو وصف لازم لا مخصص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والمعنى ان من في الدنيا لايدرك الحقائق المتمحضة للآخرة لان نفس أحوال الدنيا حجاب بينه وبينها كما يحجب النوم النائم عن ادراك أحوال اليقظة وكذا هو حال جميع الورى لا يشاهدون حال تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق معاينة وتفصيلا كما أدركوه بالخبر جملة الا يوم القيامة حيث يبعثه الله المقام المحمود الذي يغبطه فيه الاولون والآخرون وحيث يؤتى الوسيلة وهي الدرجة التي لاينالها عبد من عبيد الله تعالى غيره فالمراد بكونهم نياما أنهم أحياء في دار الدنيا وشبهوا بالنائم لما قررناه اه قسطلاني وفي أبي السعود حقيقة الشيء ما به ذلك الشيء من حق اذا ثبت والتسلي تفعل من السلو وهو طلب التخلص من أثر وثاق المحبة وقد يطلق على تطييب الخاطر والتعويض عما يعجب عنه قال الشاعر

تسليت عن سعدى بطيف خيالها ﷺ ومن لم يجد ماء تيمم بالترب

والحلم النوم ويجمع على أحلام وقد يطلق على ما يرى في النوم والفعل منه حلم جاء متعديا بنفسه وبحرف الجر يقال حلمت بكذا وحلمته ومصدره الحلم بضم الحاء واللام وسكونها وكيف يدرك استفهام انكاري وقوم فاعل يدرك وكيف منصوب المحل على الظرفية بيدرك أي في أي حال يدرك وفي الدنيا متعلق به وحقيقته مفعول به ونيام جمع نائم كقيام جمع قائم وهو صفة لقوم وتسلوا صفة ثانية أو حال بتقدير قد او استئناف والضمير في عنه راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يدرك حقيقة كماله صورة ومعنى قوم غافلون وهم في غفلة ساهون قد اشتغلوا بدنياهم الدنية ورضوا الانفسهم مقام البهيمية فهم محجوبون عن ادراك اشعة أنوار كمالاته مستورون تحت الحجب الجسمانية عن ان يشاهدوا بوارق سنا مقاماته فيفهموا معاني مفهومات مقالاته قد رضوا بالمقامات الدنية واللذات النفسانية ورفضوا المقامات العلية والفيوضات الرحمانية فمثلهم كمثل من ترك المجاهدة في التمتع بمشاهدة جمال المحبوب وركن الى الرقاد وتوطئة الوساد عسى ان يرى طيفه في المنام

فيتلذذ باضغاث الاحلام وذلك منتهى سقوط الهمة فان قلت ماذا اقصد الناظم بحقيقته التى انكر واستبعد ادراك النيام اياها وماذا اقصد بالنيام وما عنى بالحلم والتسلى بها قلت أنت خبير بأن حمل الحقيقة على الماهية البشرية التى هى الحيوانية والنطق المشتركة بين جميع افرادها غير ملائم للمقام فالمراد بحقيقته التى لا يمكن ادراكها للنائم هو الهوية المختصة به صلى الله عليه وسلم التى هى مبدأ لجميع آثاره الكمالية المختصة به التى لم يمكن لاحد من البشر مشاركته فى مجموعها ولا فى شئ من افرادها على وجه المماثلة وان أمكن لاحد المشاركة فى نوع تلك الفضيلة والمراد بالنوم الغفلة الناشئة من التعلقات الدنيوية واللذات الجسمانية التى بسببها يحتجب الانسان عن ادراك حقائق الاشياء ويمتنع عليه التحلى بحلية الاولياء والانبياء ومايرى فى المنام هو الصور الخيالية الحاكية للماهيات الحقيقية فمن حجب عن ادراك حقائق الموجودات ولم يدرك منها شيئا الا بآلة الحس من المشاعر الباطنة والظاهرة فهو انما يرى الصور المثالية الحاكية للماهيات الحقيقية فهو كالنائم الذى يرى فى منامه الاحلام ولذلك قال على كرم الله وجهه الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واما من تجرد عن التعلقات البدنية وانقطع عن اللذات الجسمانية والشهوات النفسانية وفاضت عليه أنوار العلوم العينية وظهرت فى ينابيع قلبه المعارف الحقيقية فهو يعلم الاشياء بعلم اليقين ويفهمها بحق اليقين ويراها بعين اليقين فتظهر عليه حقائق الاشياء كما هى ويعلم انه لا اله الا هو وهذه هى الرتبة التى عنون عنها سيد الاولياء وخاتم الاصفياء بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فمن لم يجل مرآة بصيرته عن رين التعلقات الدنيوية ولم يحل عقال عاقلته بتجريدها عن العوائق البهيمية لم يدرك الكمال المخصوص بالهوية المحمدية وليس له حظ منه الا كحظ من قنع من محبوبه بالمام الطيف فى المنام ومن تسلى عن مجاورته ومنادمته بارسال السلام اه ثم قال رضى الله عنه

﴿فمبلغ العلم فيه انه بشر ۞ وانه خير خلق الله كلهم﴾

أى فمنتهى علم الورى فيه انه بشر خصه الله تعالى بالرسالة الى خلقه وانه بفتح الهمزة خير خلق الله كلهم أى خير مخلوقاته مصدر بمعنى المفعول ويفهم من قوله كلهم انه أراد المخلوقات العقلاء لانه ضميرهم ويدخل فيه الملائكة والانس والجن كما هو مذهب أكثر السنيين اه قسطلانى وفى أبى السعود مبلغ كل شئ محل بلوغه أى منتهاه والعلم قد يطلق ويراد به المعنى المصدرى أعنى الادراك والشعور وقد يراد به المعلوم والبشر والانسان مترادفان قال تعالى قل انما أنا بشر مثلكم أى انسان مماثلكم فى الانسانية والخلق هنا بمعنى المخلوق والفاء فى فمبلغ للعطف وانما حسن



دخوله ههنا الان ما بعدها كالنتيجة لما قبلها اوفيه اما مجرور المحل على الوصفية أي مبلغ العلم الكائن فيه أوحال أى كائنا فيه فيكون من قبيل قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا وجملة انه بشر خبر المبتدأ أعنى مبلغ العلم والمعنى لما لم يتيسر لمن لم يتجرد عن الغواشي البشرية والمواد الجسمانية الاطلاع على كمال الحضرة النبوية والحقيقة المصطفوية وكانت الامة التي وصفها الله تعالى في كتابه بكنتم خير أمة أخرجت للناس بسبب كونها أمة خير الانبياء وسيدهم مكلفين بمعرفته لانهم مكلفون بمحبته ومتابعته وهما لا يمكنان بدون المعرفة ولا يجوز التكليف بما لا يمكن بين الناظم ما هو الممكن من معرفته التي يجب على كل أحد أن يعرفه من تلك الجهة فذكر أولا القدر المشترك بينه وبين أفراد بنى آدم وهو كونه بشرا وكفى هذا النوع فضلا وفخرا انه صلى الله عليه وسلم فرد منه مع انه قد حاز أى هذا النوع من الفضل والكمال خصائص بها امتاز عن سائر المخلوقات وجميع المكونات حتى تفرد بحمل الامانة التي عجزت عن حملها السموات والارض واستعد لقبول الخلافة التي قصر عن قبولها كل ذي قدر وذلك لما فيه من الجامعية من حيث انه مظهر لجميع التجليات الاسمائية والصفاتية والافعالية وهو سر الله المكنون وما من مظهر من المظاهر الجمالية والجلالية الا وهو فيه مخزون ومصون اهـ وفي النفحات قال في المواهب ان الله لما خلق آدم الهمه ان قال يارب لم كنيتني أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد في سرادق العرش فقال يارب ماهذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الارض محمد ولولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا ولله در القائل أي حيث ضمن نظمه هذا الحديث حاكيا عن آدم فقال

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا ❁ وأثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا ❁ يزيد على الانوار في الضوء والهدى
فقال الهي ما الضياء الذي أرى ❁ جنود السما تعشو اليه ترددا
فقال نبي خير من وطئ الثرى ❁ وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا ❁ وألبسته قبل النبيين سوددا
وأعددته يوم القيامة شافعا ❁ مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في انقاذ كل موحد ❁ ويدخله جنات عدن مخلدا
وان له اسماء سميته بها ❁ ولكنني أحببت منها محمدا
فقال الهي امنن على بتوبة ❁ تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي ❁ خصصت بها دون الخليقة أحمدا
أقلني عثاري يا الهي فان لي ❁ عدوا لعينا جار في القصد واعتدى

فتاب عليه ربه وحماه من ❁ جناية ما أخطاه لا متعمدا

قال شارحه الامام الزرقاني وضمير كان لدى الفردوس لآدم حين كان في الجنة قبل نزوله الى الارض حال سروره وتمام انسه ولذا قال وأثواب شمل الانس الخ وقوله راح اواغتدى بالغين والدال من الغدو مقابل الرواح فتحصل لك من هذا كله انه سيد المخلوقات أجمع من انس وجن وملك بشهادة ما تقدم ذكره وانعقد الاجماع عليه من الامة المحمدية ولا عبرة بما وقع من بعض أهل الاعتزال من تفضيل جبريل فان ذلك لا يقدح في الاجماع قال قطب العارفين الامام الشعراني عن صفوة الاولياء المحبين والمحبوبين سيدى محمد وفى قال وقع بيني وبين شخص من الجامع الازهر مجادلة في قول صاحب البردة رحمه الله

فمبلغ العلم فيه انه بشر ❁ وانه خير خلق الله كلهم

فقال لي ليس له دليل على ذلك فقلت قد انعقد الاجماع على ذلك فلم يرجع فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر جالسا عند منبر الجامع الازهر فقال لي مرحبا بحبيبنا ثم قال لاصحابه أتدرون ما حدث اليوم قالوا لا يا رسول الله فقال ان فلانا التعيس يعتقد أن الملائكة أفضل مني فقالوا بأجمعهم لا يا رسول الله ما على وجه الارض أفضل منك فقال لهم فما بال التعيس الذى لا يعيش وان عاش عاش ذليلا خمولا مضيقا عليه خامل الذكر في الدنيا والآخرة يعتقد ان الاجماع لم يقع على تفضيلي أما علم ان مخالفة المعتزلة لاهل السنة لا تقدح في الاجماع ثم قال الاستاذ عبارة ما أكملها وما أجملها عن العارف الوفائي أيضا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي عن نفسه الشريفة لست بميت وانما موتي عبارة عن تسترى عمن لا يفقه عن الله وأما من يفقه عن الله فها أنا أراه ويراني اه لفظه من الطبقات الكبرى جعلنا الله بجاهه على ربه من أهل وداده الذائقين لذيذ شرابه بجاه آله وصحبه وأحبابه ❁ ثم قال رضى الله عنه

❁ وكل آى أتى الرسل الكرام بها ❁ فانما اتصلت من نوره بهم ❁

أى وكل معجزات أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت تلك المعجزات من نوره صلى الله عليه وسلم بهم فان نوره صلى الله عليه وسلم كان مخلوقا قبل آدم عليه الصلاة والسلام وانتقل اليه ثم الى الاصلاب الى ان تحمل الامهات فينتقل اليهن ولم يقل فانما هي من نوره لان قوله اتصلت من نوره بهم يعطى ان نوره لم يزل قائما به ولم ينقص منه شئ بخلاف فانما هي من نوره فانه يوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شئ فاحترز عنه بقوله اتصلت من نوره بهم اه قسطلاني وفي أبي السعود الآى جمع آية وهي العلامة وانما أطلقت الآية على الجملة التامة من القرآن لكونها علامة على صدق الآتي بها



وعلى عجز المعارض عند التحدى بها والرسل جمع رسول وكل مبتدا وانما مع ما فى حيزه خبره وانما صح دخول الفاء فى الخبر لان المبتدا متضمن لمعنى الشرط لكونه نكرة موصوفة والباء فى بها يجوز أن تكون للتعدية وان تكون للمصاحبة كقولك دخلت عليه بثياب السفر فيكون الجار والمجرور فى محل النصب على الحال والضمير فى بها عائد الى الآى وانما للحصر لانها بمعنى ما والا كقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله ومن لابتداء الغاية والجار متعلق باتصلت والضمير المستكن باتصلت عائد الى الآى والباء فى بهم صلة للاتصال فانه لا يتعدى الا بها ويجوز أن تكون بمعنى الى كقوله تعالى وقد أحسن بى اذ اخرجنى من السجن فيكون المعنى ان ابتداء اتصال تلك الآى منه وانتهاءه اليهم وظن بعض انه لابد من حملها على معنى الى لوجود وقوعها مقابل من الابتدائية وليس الامر كذلك فانها قد تجئ لمجرد الابتداء من غير ملاحظة معنى الانتهاء كقول المستعيذ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والمعنى ان جميع ما أفاضه الله سبحانه وتعالى على جميع الانبياء والمرسلين الذين هم وسائط بين الجناب الاقدس والعالم المادى المؤنس من أنوار المعارف الحقيقية والاضواء الالهية من المعجزات الباهرات والدلائل البينات والاحكام والحكم والآيات انما هو بتوسط هذا الحبيب الذى لولاه لما كانت المكونات ولم يخلق الله الموجودات فكل فيض يفيض من المبدا الفياض انما هو ناشئ من دواته وحاصل بسبب حبه ومحبته فهو واسطة عقد الوجود وهو الحد الاوسط الواقع فى طرف مقدمتى نتيجة الكرم والجود فكل موجود بجود وجوده موجود لولاه ما نجم ظهور ولا اخضر عود اه وفى كتابنا النفحات النبوية نقلا عن المواهب اللدنية مما يناسب هذا المقام ولنذكره تبركا بذكر محاسن المحبوب الآخذ باليد فى وقت الشدائد والخطوب ما نصه وفى رواية ان الله لما خلق نور نبينا صلى الله عليه وسلم أمره أن ينظر الى نور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى أشهد عليكم فقالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية قال سيد أهل التحقيق الشيخ تقى الدين السبكى وفى هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبى صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العظيم ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون النبوة والرسالة عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم وتبين بهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا



وآدم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة لان جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم اماما ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به وبذلك أخذ الله تعالى الميثاق عليهم اه وفي رواية له أيضا في حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الجنة وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا وما أحسن قول سيدي علي وفي سلطان العارفين وقطب الواصلين تولها وتهنئة لنفسه ببلوغ الوصال بحضرة سيد الانام عليه الصلاة والسلام

سكن الفؤاد فعش هنيأ يا جسد ❁ هذا النعيم هو المقيم الى الابد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن ❁ جار الحبيب فعيشه العيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه ❁ لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تخش من فقر وعندك بيت من ❁ كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن ❁ هو في المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غيث العوالم كلها ❁ أعلى علي فهو أجد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد ❁ لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم ❁ هم أعين هو نورها لما ورد

الى أن قال

فابشر بمن سكن الجوانح منك يا ❁ أنا قد ملئت من المنى عينا ويد

قال شارحها سيدي محمد الزرقاني وقول العارف * روح الوجود حياة من هو واحد * أي هو صلى الله عليه وسلم سبب الحياة من وجدهم من الخلق أي علمهم من الخلق موجودين اه ❁ ثم استدل رضي الله عنه على ما تقدم بقوله

❁ فانه شمس فضل هم كواكبها ❁ يظهرن أنوارها للناس في الظلم ❁

أي لانه صلى الله عليه وسلم شمس فضل هم عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام كواكبها يظهرن أي تلك الكواكب أنوارها أي أنوار تلك الشمس التي هي كناية عنه صلى الله عليه وسلم للناس في الظلم أي حالة غلبة عمى الجهل وظلمة الكفر ووجه هذا التشبيه ان الكواكب على ما تقرر في علم الهيئة اجرام غير مضيئة بذاتها ولكنها صقيلة تقبل الضوء وجرم الشمس أكبر من الارض فهي اذا كانت تحتها حالة غيبة جرمها يفيض نورها عن جوانب الارض فيطلب الصعود لكونه نورانيا يطلب

مركز العالم فيصادف أجسام الكواكب الصقيلة المقابلة له فيرتسم فيها فتضىء فى الظلمة وتظهر أنوار الشمس فيها للناس من غير ان ينقص من نور الشمس شئ فجميع أنوار الكواكب انما هو من نور الشمس فلذلك شبه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور الشمس وما ظهر على يدى الرسل سواه من الانوار فانما هو من نوره الفائض من غير ان ينقص من نوره شئ وهذا التشبيه لعل الناظم رحمه الله تعالى أخذه من قول النابغة

ألم تر أن الله أعطاك صورة ❁ ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب ❁ اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فان قيل انه صلى الله عليه وسلم متأخر الوجود عنهم ونور كل منهم متقدم عليه فكيف تكون أنوارهم من نوره فالجواب ان نوره متقدم وان تأخر وجود ذاته وكان الشمس اذا بدت لم يبق أثر للكواكب وانما يظهر أثرها حال غيبتها وهو حال الظلام فكذلك آياته صلى الله عليه وسلم وشريعته لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع ويزعم أهل الهيئة أن أصغر كوكب تراه بمقدار الارض ثمان مرات وأكبرها بمقدارها عشرين مرة وهذا مما يحتاج الى التوقيف اذ أدلتهم فى هذا الباب الحزر والتخمين والله تعالى أعلم اه قسطلانى وفى أبي السعود الشمس كوكب نهاري يوجد فى النهار واستعمال لفظ الشمس فيه صلى الله عليه وسلم استعارة أى على مذهب السعد ووجه الشبه ما أملته عليك والفضل لله بمعنى الافضال كقوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولغيره بمعنى الكمال الذى لا يتعدى الى الغير والفاضلة والفضيلة ما يتعدى الى الغير والفضل يجمع على الفضائل والفاضلة تجمع على الفواضل قال الشاعر

ان الفضائل والفواضل بدؤها ❁ من بدئكم واليكم ستعود

والكواكب تشمل الشمس وغيرها والسيارة سبعة والبواقى ثوابت والشمس مضيئة بالذات والقمر نوره مستفاد من ضوء الشمس والبواقى درارى والفاء للتعليل والاضافة فى شمس فضل بمعنى من ان كان الفضل بمعنى الكمال والتنوين فى فضل للتعظيم وهم كواكبها مبتدا وخبر والجملة صفة للشمس أو استئناف ويظهرن أنوارها اما صفة للشمس أو استئناف ويظهرن يجوز أن يكون بفتح الياء من الظهور فيكون الاسناد مجازيا أى يظهر الله أنوارها ويجوز أن يكون بضمها من الاظهار فتنصب أنوارها على المفعولية ويكون الفاعل ضميرا مستترا عائدا الى الكواكب والاسناد حينئذ أيضا مجازى وفى الظلم يجوز أن يكون متعلقا بيظهر ويجوز أن يكون مستقرا فى محل انصب على الحال من الناس وهو الاحسن والاولى أى يظهرن للناس حال



كون الناس في الظلم والمعنى تعليل كون جميع الآيات للأنبياء والمعجزات للمرسلين مقتبسة من نوره وانه قطب دائرة كمالهم واصل دوحة فضلهم وافضالهم بأنه صلى الله عليه وسلم هو شمس فلك فضلهم وكمالهم وانه هو الشمس الذي تفضل عليهم فاشرقت به قلوبهم وأضاءت به سرائرهم وانشرحت به صدورهم وفاضت به عليهم المعارف الالهية وظهرت لهم الاسرار الربانية فهم مستمدون من غير فضله مقتبسون من نير نوره اقتباس الاقمار المنيرة والبدور المستنيرة من الشمس أو بان نسبتهم اليه صلى الله عليه وسلم كنسبة سائر الكواكب الى الشمس فكما أنه لم يظهر نورها الا عند احتجاب الشمس تحت الافق فاذا بزغت من تحت حجب الاستتار انهزم عسكر الظلام عند تجلي ثغر النهار أفلت الكواكب وذهب نورها فكذلك هداية سائر الانبياء والمرسلين وأحكام سائر الشرائع والملل من الأولين انما كانت ظاهرة عند احتجاب شمس فلك النبوة في علم الملك الحق المبين فلما أشرقت أشعة أنوار حبيب رب العالمين على مشارق السموات ومشارق الارضين نسخت جميع الملل والاديان وعاد دور دائرة الشمس الى ما كان فان قلت لم خص ظهور الانوار بكونه للناس على ان فائدة الرسل عامة قلت لما عني من الانوار العلوم الشرعية والاحكام الدينية والمعارف اليقينية كما انه عني بالظلم الجهالات الشيطانية والضلالات الوسواسية والعادات العادية والطرائق الابتداعية كانت فائدة ظهور ذلك النور بالنسبة الى الناس أتم وأكمل وأعم وأفضل فخصوا بالذكر لمزيد اختصاصهم بتلك الفائدة ولما كان الجهل يجعل صاحبه كمن يمشي في الظلمة فلا يأمن على نفسه من الهوي في مهاوي الضلال والبوار ومزالق المهالك والتبار كمن يمشي في الظلمة فانه لا يأمن أن يسقط في الآبار وأن يطرح في الانهار شبه الجهل بالظلمة فلزم أن يشبه العلم بالنور ومنه قول القاضي التنوخي

وكأن النجوم بين دجاها ❋ سنن لاح بينهن ابتداع

❋ثم أخذ الناظم رحمه الله تعالى يذكر بعض ما اتصف به مما أوجب له الحكم بأنه خير خلق الله فقال

❋أكرم بخلق نبي زانه خلق ❋ بالحسن مشتمل بالبشر متسم❋

فقوله أكرم صيغة أمر ومعناه التعجب بخلق بفتح الخاء المعجمة أي بصورة نبي موصوفة بانها شمس فضل زانه أي زان ذلك النبي المشبه به أو زان ذلك الخلق خلق بالحسن مشتمل بالبشر متسم كأنه صار الحسن له كالثوب فهو مشتمل به ومتسم بالبشر أي معلم بطلاقة الوجه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم اه قسطلاني وفي أبي السعود

أكرم مشهور الاستعمال فيما يقابل البخل والمراد به صفة باعثة على بذل المال مع بشاشة وطلاقة من غير انقباض وبه عنى من وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله

له راحة لو أن معشار عشرها ❊ على البر صار البر أندى من البحر

وقد يطلق ويراد به الشرف في النسب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ومنه قول الشاعر

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ❊ معي واذا مالمته لمته وحدى

والخلق بفتح الخاء المعجمة في الاصل مصدر وقد يستعمل بمعنى اسم المفعول وقد يطلق ويراد به الخلقة والهيئة ومنه قولهم فلان سوي الخلق وهذا المعنى هو الملائم للمقام وزان بمعنى زين من الزينة والحسن في الصورة تناسب الاعضاء ومنه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف هو أحسن وأنا أملح اهـ وفي كتاب ارشاد المريد مما يناسب المقام قوله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن وأعطيت الحسن كله والعالم يفتتن بجماله عليه الصلاة والسلام وافتتن بحسن يوسف لان جماله صلى الله عليه وسلم كان مغطى بالجلال ولذا قال سلطان العاشقين ابن الفارض رضى الله عنه

بجمال سترته بجلال ❊ هام واستعذب العذاب هنا كا

وفي المواهب اللدنية نقلا عن سلطان العارفين سيدي على وفى

سبحان من أنشاه من سبحاته ❊ بشرا بأسرار الغيوب يبشر
قاسوه جهلا بالغزال تغزلا ❊ هيهات يشبهه الغزال الاحور
هذا وحقك ماله من مشبه ❊ وأرى المشبه بالغزالة يكفر
يأتي عظيم الجهل في تشبيهه ❊ لولا الرب جماله يستغفر
فعلى جمالك بالجمال جلالة ❊ فيها لاهل الكشف سر مضمر

اهـ والبشر طلاقة الوجه وهو مأخوذ من تغير البشرة بالسرور والبشاشة والاتسام الاتصاف من السمة بمعنى العلامة ومنه قوله تعالى سيماهم في وجوههم وأكرم بخلق صيغة تعجب كقولك أحسن بزيد والمجرور فاعل في الاصل عند سيبويه فلا ضمير في أفعل وأصله أحسن زيد أي صار ذا حسن والباء زائدة وفيه شذوذ من وجهين زيادة الباء في الفاعل واستعمال الامر بمعنى الماضي فالاحسن أن يذهب فيه الى مذهب الاخفش بأن يجعل المجرور مفعولا في الاصل والباء للتعدية أو زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة والمعنى اجعل زيدا حسنا وقيل بمعنى صار ذا حسن هكذا قيل وفيه نظر واضافة الخلق الى النبي من اضافة الصفة الى الموصوف على التأويل المعلوم في كتب النحو أو من اضافة المبنية الى صاحبها والتنوين



في نبي للتعظيم وجملة زانه خلق في محل الجر على الوصفية لنبي أو خلق ومشتمل
صفة بعد صفة وبالحسن متعلق به وكذلك قوله بالبشر متسم وانما قدم معمول
اسمي الفاعل عليهما طلبا لقصر القلب أي مشتمل على الحسن لا غير ومتسم بالبشر
وبالبشر لا بما يقابلهما وقوله مشتمل بالحسن ناظر الى الخلق بفتح الخاء ومتسم
بالبشر ناظر الى الخلق بضمها والمعنى اتعجب من كمال جمال حسن صورة هذا النبي
الكريم ومن تزيين ذلك الحسن التام بكونه على خلق عظيم فان الحسن الصوري
مالم يزين بالكمال المعنوي لم يتم والجمال العنصري اذا لم يؤيد بالاحسان الروحاني
لا يكمل كذلك مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم مالم تترد برداء الحسن البهي
ومالم تتجلبب بجلباب الجمال السوي لم تبرز على منصة الظهور ولم تصر مظهر التجليات
النور ولذلك اجتبى من جلت قدرته وظهرت حكمته وعلت كلمته حبيبا قد زين
صورته بمكارم الاخلاق وتمم معناه بحسن الصورة وطيب الاعراق فلم تغرس
يد القدرة في بستان الخليقة على شاطئ الحكمة شجرة أعدل منه قواما ولم تغرز يمين
الرحمن في حدائق العرفان على نهر التبيان دوحة ورد تترنم عليها بلبل البيان
أفصح منه كلاما خلقه من عنصر قد عجنت طينته بماء الملاحة ومن أستقص
قد روح روحه ببهاء الصباحة وزين ذلك العنصر بروح قد أديرت عليها
كؤس راح المحبة من راحات أيمن أرواح القدس على بساط الانس ومن وراء
حجب الزمان والمكان فكان نورا تفيض عليه عنايات الله نور السموات والارض
تدور مع ذلك النور كيفما وأينما كان حتى ظهر لهذه الامة في أبهى صورة وأحسن
مثال وأزكى معنى وأتم كمال قد اشتمل على جميع نكات الحسن والجمال واتسم
بجامع لطائف الفضل والكمال اه ثم قال رضي الله عنه

* كالزهر في ترف والبدر في شرف * والبحر في كرم والدهر في همم *

أي خلقته صلى الله عليه وسلم الذي هو ذاته الشريفة كالزهر في ترف أي تنعم ونضارة
جسم وطيب رائحة وهذه صفة الازهار غضة الجسم رطبة طيبة الرائحة ويزيد نور
النارنج ببياض اللون الذي ليس بالامهق كما هو بياض نبينا صلى الله عليه وسلم وفي
هذا اشارة الى أنه لا عبرة بمجرد حسن الصورة وجمالها دون أن يصحبها الخلق الجميل
كما لا يضر قبح الصورة مع الفعل الجميل ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أجسامكم انما
ينظر الى قلوبكم وأعمالكم والبدر في شرف أي وذاته أيضا في الشرف وحسن
البهجة كالبدر وهذان الوصفان يرجعان الى الصورة والخلق المشتمل على الحسن
والبدر القمر عند تمامه وهو يدور البروج الاثني عشر ويقطع الفلك كله في مدة
ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم ويقيم في كل برج يومين وثلث يوم بالتقريب ويقيم

في كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين منزلة يوما وليلة ويظهر عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره في كل ليلة قدر نصف سبع الليل حتى يكمل نوره ويمتلئ في ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشرة في النقصان فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدأ الى أن ينمحق نوره في آخر ثمانية وعشرين يوما من اهلاله والبحر في كرم والدهر في همم جمع همة وهي الارادة وهذان الوصفان يرجعان الى خلقه الكريم ولا خفاء بكرم البحر قال تعالى وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها الآية فهذا من كرم البحر فما بالك بكرم من البحر نقطة من جوده والاحاديث الدالة على كرمه صلى الله عليه وسلم كثيرة لانطيل بذكرها وحسبك قول القائل ان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ووجه التشبيه بالدهر أن الحادثات الدقيقة والجليلة انما تقع في الدهر فنسبوها اليه فالجاهل يسند الفعل اليه والموحد المؤمن يعتقد أن المؤثر في جميع الكائنات هو الله تعالى فاذا أسند الفعل الى الدهر فعلى سبيل المجاز لانه واقع فيه وهذا نحو قوله نهاره صائم وليله قائم أسند الصوم الى النهار والقيام الى الليل مجازا لوقوعهما فيهما ومن نسبة الهمة الى الدهر قول معاوية رضى الله تعالى عنه نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع ولا همة أرفع من همة من فضله الله عز وجل على سائر المخلوقات على اختلاف أنواعها فهو العالي الهمة في الدنيا والآخرة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اه قسطلاني وفي أبي السعود الزهر بسكون الهاء وفتحها هو نور الشجر والزهرة بالضم البياض وبها سمي حي من قريش يقال لهم بنو زهرة وهم الذين ادعوا خؤلة النبي صلى الله عليه وسلم لان أمه صلى الله عليه وسلم كانت منهم لا ان أمه كان لها أخ منهم كما أفاده المسعودي يقال رجل أزهر أي أبيض مشرب اللون ذو وضاءة ومنه سميت سيدة نساء العالمين بالزهراء لزهرتها صورة ومعنى حسبا ونسبا والترف المراد به هنا النعومة والدهر الزمان وقيل الزمان الطويل وأما ما ورد لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفي رواية فان الله هو الدهر فقد قيل ان الدهر اسم من أسماء الله تعالى وفي بعض الادعية يادهري وقيل ان العرب كانت تضيف الحوادث الى الدهر قال أبو ذئب الهذلي

أمن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

والمنون الدهر فالمعنى ان الله هو الذى يصيبكم بالمصائب ويأتيكم بالنوائب كما روى الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار والهمم جمع همة وهي فعلة من الهم بمعنى القصد وهي في الاصطلاح عبارة عن صفة

تبعث صاحبها على طلب معالي الامور وتحجزه عن الميل الى سفسافها مع عدم المبالاة فى ارتكاب المشاق وقوله كالزهر خبر مبتدا محذوف أى هو كالزهر والجملة فى محل جر صفة لنبي ويجوز أن يكون منصوبا بتقدير أعنى والاولى جعل هذا التشبيه من قبيل قول الشاعر

وبدا الصباح كان غرته ❁ وجه الخليفة حين يمتدح

فان وجه الشبه هنا فى التشبيهات الاربع فى المشبه أتم وأكمل من المشبه به ولقد أحسن من قال فى مدحه صلى الله عليه وسلم

له راحة لو أن معشار عشرها ❁ على البر كان البر أندى من البحر

له همم لا منتهى لكبارها ❁ وهمته الصغرى أجل من الدهر

والمعنى لما وصف خلقه وخلقه بأنهما جديران بأن يتعجب منهما لكونهما قد خرجا عن كونهما من أوصاف البشر فكانا من خوارق العادات وجلا عن أن يتصف بمثلها غيره من أحد من السادات ابرز بعضا من الصفات الخلقية والخلقية فى معرض التشبيه تفهيما لمن رام أن يرنو الى شئ منهما بعين الاعتبار وتسهيلا لمن قصد أن يرمق الى بعض منهما ببصيرة الاختبار فشبه أولا صورته بالبدر المنير اذا كان فى وسط السماء فى كون كل منهما يضئ حنادس الظلماء وتشرق به دياجى الليلة الدهماء فمن نور جبينه الازهر وضوء وجهه الاقمر انجلت غياهب دياجى الجهالات وظهرت أنوار بوارق الكمالات وثانيا بالورد الجنى والزهر الطرى فى طيب الرائحة ونعومة الملمس والطهارة من كل درن ودنس وهذان التشبيهان يتعلقان ببيان بعض الاوصاف الخلقية ثم شرع فى بعض الصفات الخلقية فشبهه فى الكرم بالبحر لعموم النفع فانه لم يرد شريعة كماله وارد الا انتقع منه الغليل وانتفع منه بالكثير الجزيل فضلا عن القليل الضئيل وفى علو الهمة بالدهر فانه لم يدع فى العلياء مقاما الا قد صيره وراء ظهره ولم يذر فى المكارم منزلا الا وقد نزله بأهله ورهطه هذا ويجوز أن يكون وجه الشبه بينه وبين البدر مركبا من حسن الطلعة ووضاءة المنظر ونباهة الشان وارتفاع المكان فلا يختص ذلك التشبيه ببيان شأنه فى الوصف الخلقى بل قد يشتمل أيضا على الوصف الخلقى من حيث يقصد أن مرتبته فى الكمال متعالية عن أن يصل اليها أحد من أرباب الهمم العالية قال الشاعر

هى الشمس مسكنها فى السماء ❁ فعز الفؤاد العزاء الجميلا

فلن تستطيع اليها الصعود ❁ وان تستطيع اليك النزولا

اهـ ❁ ثم قال رضى الله عنه

❁ كأنه وهو فرد من جلالته ❁ فى عسكر حين تلقاه وفى حشم ❁



قوله وهو فرد أي وحده ويروى في جلالته نفي الظرفية فاما على رواية من فالمعنى على التعليل وعاملها العامل في كائن وهو في عسكر أو التشبيه وقوله وهو فرد على هذا جملة حالية وأما على رواية في فان جعلتها سببية نحو لمسكم فيما أفضتم فيه فالمعنى سواء وان جعلتها للظرفية وعلقتها بالتشبيه على أن يكون القصد بذكرهما وجه التشبيه فالمعنى أيضا متحد وان علقتها بفرد وجعلتها صفة له فالمعنى انه منفرد بالجلالة وقوله وهو فرد في جلالته جملة اعتراض أفادت ذلك المعنى من جلالته أي من أجل جلالته التي قامت به في عسكر أي جيش عظيم حين تلقاه وفي حشم أي خدمته الخاصين به قيل قوله حين تلقاه من الحشو لتمام الوزن والظاهر أنه أراد به ما رواه علي رضي الله عنه من قوله من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه فقوله حين تلقاه كقوله من رآه بديهة اهـ قسطلاني وفي أبي السعود الفرد الوتر ان الله وتر يحب الوتر أي فرد ويجمع على افراد والفريدة هي اللؤلؤة التي لا نظير لها من أخواتها ويقال لها اليتيمة والجلالة العظمة والجليل من أسمائه تعالى المنعوت بنعوت الجلال وهو من الصفات القدسية أي التنزيهية كالقدوس والحشم الخدم وحشم الرجل قرابته وعياله ومن يغضب له اذا أصابه أمر قال الشاعر

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وفي بعض نسخ القصيدة موضع وفي حشم وفي بهم جمع بهمة وهو الفارس القوي وفي بعض النسخ في موضع في من فيكون حينئذ متعلقا بكائن المقدر في في عسكر وتكون من بمعنى الباء التي للسببية أي كانه كائنا في عسكر حالة كونه فردا بسبب جلالته وعظمته وفي عسكر متعلق بمقدر وهو خبر كان أي كانه كائن في عسكر والمعنى بعد ان بين جمال صورته وكمال معناه شرع في هذا البيت ليبين كمال مهابته ووفور أهبته فشبهه في حالة ملاقاته وهو فرد غير محفوف بالانصار والاعوان ولا محدودق بالفرسان والشجعان بحالة كونه قد أحدقت به ليوث المعارك واحتفت به أسد الوقائع مشيرا الى أن أوصافه الكمالية ونعوته الجلالية في احداق المهابة في قلوب الخصوم والغرق في روح الاعداء قائمة مقام عسكر قد ملأ وجه الارض وطبق طولها والعرض ووقوع هيبته في القلوب وغناؤها غناء الخميس في الخطوب في مرتبة الوضوح والجلاء أظهر من ذكاء وأوضح انجلاء وقد نقل عنه صلى الله عليه وسلم مما يؤيد هذا المعنى ما هو مشتمل على كثرة لا تحصى منها انه قيل للبراء أفررتم يوم حنين فقال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن خرج شبان أصحابه ليس عليهم كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فرشقوهم رشقا ما كادوا يخطئون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه

وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقوده فنزل واستنصر وقال أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم ثم قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الالذي يحاذي به صلى الله عليه وسلم اه وسيأتي تكميل هذه القصة في محلها ان شاء الله تعالى * ثم قال رضي الله عنه

* كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف * من معدني منطق منه ومبتسم *

قوله المكنون أي المصون من معدني بكسر الدال وفتح النون وسكون الياء منطق منه ومبتسم بالفتح موضع الابتسام والتبسم كما قال الجوهري رحمه الله تعالى هو دون الضحك شبه ألفاظه صلى الله عليه وسلم التي ينطق بها في فصاحتها وحلاوتها واحتوائها على المعاني النفيسة لكونها ألفاظ من أوتي جوامع الكلم وشبه ثغره أيضا وهو ما يبدو من ثناياه واسنانه عند التبسم في حسنه وتناسبه وصفائه وبياضه باللؤلؤ وهو الدر المسمى بالجوهر المصون في اصدافه وهو المحارة التي يتولد فيها وعاءله تحفظه من التغير حتى تنشق عنه كما ان القلب وعاء الكلام النفسي حتى يبرزه اللسان وكما ان انضمام الشفتين على الثغر كالوعاء له وعند التبسم يبرز ومعنى البيت كان اللؤلؤ الذي كان مصونا في صدفه يخرج من معدنين من معادنه صلى الله عليه وسلم أحدهما معدن كلماته والثاني معدن ابتسامه اما فصاحة لسانه وبلاغة قوله فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل وحسبك قول بعض أصحابه له ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القرآن بلسان عربي مبين ومن التشبيه باللؤلؤ الذي قصده الناظم ما في حديث أم معبد رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصلا لا نزرا ولا هذرا كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت صلى الله عليه وسلم كثيرا وأما تشبيه مبسمه باللؤلؤ فمن ذلك قول بعض ناعتيه كان اذا ضحك افتر عن مثل سنا البرق يعني بذلك بياض ثغره وصفاء لونه وقال آخر اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من ثناياه وهذه كلها صفات اللؤلؤ وانما كان ضحكه في غالب أمره تبسما لجلالته ووقاره صلى الله عليه وسلم اه قسطلاني ولنتبرك بما ذكره الامام قدوة المحدثين القاضي عياض في الشفاء حيث قال ورأينا أن نختم هذه الفصول يعني المشتملة على خصال جلاله وجماله وكماله صلى الله عليه وسلم بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله ثم قال بعد أن ذكر السند بطوله قال الحسن بن علي واللفظ له بهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه

وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئا أتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب أى الذى طوله بائن عظيم الهامة أى الرأس رجل الشعر ان انفرقت عقيقته أى شعر رأسه فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف أو قال سائن الاطراف أو سائر الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب وان التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت له صف لى منطقه قال كان عليه السلام متواصل الاحزان دائم الفكرة ليس له راحة ولا يتكلم فى غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافى ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيأ ولم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق شئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحة اليسرى واذا غضب اعرض وأشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقنى اليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه وملبسه ومجلسه فلم يدع منه شيأ قال الحسين سألت أبى عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له فى ذلك فكان اذا أوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزأ لله تعالى وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيأ فكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل باذنه قسمته على قدر فضلهم فى الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما

أصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقول ليبلغ الشاهد
منكم الغائب وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغى حاجته فانه من ابلغ سلطانا
حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لايذكر عنده الاذلك
ولا يقبل من أحد غيره قال فى حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعنى فقهاء قلت فاخبرنى عن مخرجه كيف كان يصنع
فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويؤلفهم
ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن
يطوى عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان
يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه
من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم
مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه ما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا عن ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها
واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك ويعطى كل
جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من
القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق متقاربين
متفاضلين فيه بالتقوى وفى الرواية الاخرى وصاروا عنده فى الحق سواء مجلسه
مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته
وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه
الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته
صلى الله عليه وسلم فى جلسائه فقال كان عليه السلام دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما
لا يشتهى ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك
الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو
ثوابه اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم يضحك
مما يضحكون منه ويعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة فى المنطق
ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ
ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام هنا انتهى حديث

سفيان بن وكيع وردالآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحكم والحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس وأما تفكره ففيما يفنى ويبقى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم ورضي عن أصحابه أجمعين وأمدنا بمددهم وحشرنا في زمرتهم بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون * ولما مدح رضي الله عنه خلقه وخلقه بما يليق بهما حال الحياة أخذ يمدح تربته التي دفن فيها فقال

---

* لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم *

أي لا طيب في الوجود يعدل تربا ضم أي جمع أعظمه بل ذلك التراب أفضل وأرفع من كل طيب لكونه اشتمل على جسم المصطفى صلى الله عليه وسلم كثيرا طوبى لمنتشق منه وملتثم أي طوبى لمن عفر وجهه بتربه فصار له مثل اللثام أو هو من التقبيل والاول أولى لان تقبيل القبر الشريف مكروه بل يستحب لزائر قبره الشريف أن يقف بعيدا خارج الحجرة تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون قوله طوبى اخبارا مجردا لان تربه لما كان أطيب الطيب حصلت الطوبى أي التطيب به لمنتشق منه والملتثم وكأنه اشارة الى النوعين المستعملين في الطيب ويحتمل ان يكون طوبى الجنة أو الشجرة التي فيها ويحتمل ان يكون اراد الدعاء لمن استنشق من تلك التربة العظيمة والتثم ويحتمل ان يكون اراد الاخبار أي له بذلك طوبى والاحتمال الاول في طوبى مبنى على ان المراد بان تربته أفضل أنواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر أدركه من أدركه أم لا وأما باعتبار اعتقاد المؤمن في ذلك فان المؤمن لا يعدل بشم رائحة تربته صلى الله عليه وسلم شيأ من الطيب والاحتمال الثاني مبنى على ان المراد انها أفضل أنواع الطيب حكما فان قيل لو كان المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل أحد لان المسك مثلا يدرك رائحته كل أحد فالجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل أحد بل حتى توجد الشرائط وتنتفى الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع ان الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف ولما كانت أحوال القبر من أمور الآخرة لا يدركها من الاحياء الا من كشف الله له الغطاء من الاولياء لان متاع الآخرة باق ومن في الدنيا فان والفاني

لا يتمع بالباقى للتضاد وقد قال عليه الصلاة والسلام القبر أول منزل من منازل الآخرة فاما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ولا شك ان قبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة بل أفضلها وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة وما بين المبدا والمنتهى قد يدخل فى حكمه اما القبر فللخبر العام الذى قبل هذا وهو فى قبره عليه السلام أحرى واما المنبر فلقوله فى آخر هذا الحديث ومنبرى على حوضى والحوض من الجنة واذا تقرر كون هذا المكان الشريف من الجنة لم يبق عند العاقل المصدق بالشريعة امتراء فى انه لا طيب من الدنيا يعدله فان قيل ان هذا مبنى على ان قوله من رياض الجنة حقيقة وذلك متعذر لان الجنة فى السماء كما دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام ان سقفها عرش الرحمن وهو فوق سبع سموات وكيف يكون ما هو فى السماء فى الارض فالجواب ان الحديثين يحتملان الحقيقة والمجاز اما الحقيقة فبان يكون ما أخبر عنه بانه من الجنة مقتطعا منها كما ان الحجر الاسود منها والممتنع ان تكون السماء أرضا الا ان يؤخذ شئ من السماء ويجعل فى الارض أو بالعكس واما المجاز فى القبر فبان يكون من مجاز التشبيه بأن نشبه القبر لسعته وطيب رائحته وسلامته من الآفات بمكان من الجنة وهذا شائع بأن يوصف المكان الحسن بانه من الجنة واما فيما بين القبر والمنبر فبان يكون من اطلاق المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان للصلاة والعبادة سبب لنيل الجنة اه قسطلانى وقوله فيما تقدم لان تقبيل القبر الشريف مكروه مخالف لما نص عليه شيخ الاسلام الشبراملسى فى حاشيته على المواهب كما ذكرنا ذلك فى كتابنا مشارق الانوار ونصه واما تقبيل القبر الشريف فمكروه قال فى المواهب وأما قول البوصيرى فى بردة المديح لا طيب يعدل تربا الخ قال شارحها العلامة ابن مرزوق وأقل ذلك بتعفير جبهته وانفه بتربته حال السجود فى مسجده عليه الصلاة والسلام فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فانه مكروه قال العلامة الشبراملسى فى حاشية المواهب وعبارة شيخ مشايخنا العلامة الرملى على المنهاج نصها ويكره ان يجعل على القبر مظلة وان يقبل التابوت الذى يجعل فوق القبر واستلامه وتقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الاولياء نعم ان قصد بتقبيله التبرك لا يكره كما افتى به الوالد رحمه الله تعالى فقد صرحوا بانه اذا عجز عن استلام الحجر الاسود سن له ان يشير بعصا وان يقبلها اه ولا مرية حينئذ ان تقبيل القبر الشريف لم يكن الا للتبرك فهو أولى من جواز ذلك لقبور الاولياء عند قصد التبرك فيحمل ما قاله العارف على هذا القصد لا سيما وان قبره الشريف روضة من رياض الجنة قال فى المواهب ولا ريب عند من له أدنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره عليه الصلاة

والسلام روضة من رياض الجنة بل أفضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام الذى هو أطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعدل تربة قبر المقدس قال ويرحم الله ابا العباس حيث يقول فى قصيدته التى أولها :

اذا ماحدا الحادي باجمال يثرب ※ فليت المطايا فوق خدى تعنق

الى ان قال

فما عبق الريحان الاوتربها ※ أجل من الريحان طيبا وأعبق

وله أيضا

راحت ركائبهم تبدى روائحها ※ طيبا فيا طيب ذاك الوفد أشباحا

نسيم قبر النبى المصطفى لهم ※ روض اذا نشروا من ذكره فاحا

وقد جاء فى الحديث ان المؤمن يقبر فى التربة التى خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة أفضل الترب كما انه عليه الصلاة والسلام أفضل البشر فلهذا يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان اه وروى أبو سعيد السمعانى عن على رضى الله تعالى عنه قال قدم علينا اعرابى بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثى على رأسه من ترابه وقال يارسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ماوعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى فنودى من القبر انه قد غفر لك ومن ذلك المعنى ما ذكره الامام العتبى قال كنت جالسا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنوبى متشفعا الى ربى ثم أنشد يقول

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه ※ فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ※ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف فحملتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ياعتبة الحق الاعرابى فبشره ان الله قد غفر له اه وفى أبى السعود ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لشرفها به سميت طوبى وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله سمى المدينة طابة وبها سميت الشجرة التى ورد فى الحديث ان أصلها فى بيت على بن أبى طالب فى الجنة وما من بيت من بيوت الجنة الا وفيه غصن من أغصانها وقيل انه اسم من أسماء الجنة لقوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب و يعدل من العدل بمعنى المساواة يقال عدله أى ساواه وعدل الشئ بكسر العين مثله من غير جنسه والترب لغة فى التراب لكنه قد يختص باستعماله فى تراب المقبرة ومنه قول النبى صلى الله عليه

وسلم في حق ولده الحسين الشفاء في تربته والاجابة تحت قبته والائمة من ذريته أو من عترته والشم الجمع والاستنشاق يطلق على التصعد بالماء في الخيشوم والملتثم اسم فاعل من الالتثام وهو التقبيل واللثمة القبلة ولا النفي الجنس وطيب اسمها مبني على الفتح ويعدل خبر لا وتر بامفعول يعدل وضم أعظمه في محل النصب على انها صفة لترباوطوبى ان جعلت علما اما لكونها اسما من أسماء الجنة أو انها اسم موضوع لمعنى التعجب والتمني يجوزان يكون مبتدا ولمنتشق خبر أو خبر المبتدا محذوف والمعنى لماذكر بعضا من أوصاف جسده الشريف وبدنه اللطيف في حال حياته طفق شارعا في اداء شئ من أوصاف ذلك الجسد المطهر والبدن المنور في حال وفاته فقال انه لاشئ من أنواع الطيب مسكا كان أو عنبرا يعادل طيب تربته الشريفة ويماثل ريح حضرته المنيفة فطوبى لمن استمسك باستنشاق طيب رائحة تربته الشريفة التي قد جمعت طرق الكمال وبحر الجود والافضال بعد ان استمسك بعروة دينه الوثقى وتشبث باذيال ملته المثلى الى ان قال ويمكن ان يجعل المستنشق كناية عن الزائر والملتثم كناية عن المجاور وقد ورد في فضل المدينة زادها الله شرفا من الاحاديث مالا تسعه الاوراق ولا تحمله السياق اه هذا وقد ذكر المحدث الكبير والامام الجليل القاضي عياض في الشفاء انعقاد الاجماع على ان البقعة الشريفة التي ضمت جسمه الشريف أفضل من بقاع الارض والسموات والعرش والجنة وباقي الجهات والخلاف بعد ذلك في تفضيل احد الحرمين على الآخر مذكور في المطولات اسأل الله ان يمن علينا وعلى أحبابنا بزيارته صلى الله عليه وسلم قبل الممات ونحظى بمشاهدة هاتيك الاعتاب مع الفوز بنيل الدرجات بجاه سيد السادات صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊(ابان مولده عن طيب عنصره ❊ ياطيب مبتدا منه ومختتم)❊

أي اظهر مولده صلى الله عليه وسلم أي آيات ولادته أو آيات زمان ولادته أو آيات مكانها عن طيب عنصره وهو أصله أي آباؤه الذين تناسل منهم أي ابان أحوالهم وماشوهد فيهم من نوره المنتقل من واحد الى آخر منهم الى ابيه وغير ذلك مما ظهر عليهم من آياته مما يدل على طيب أصله وحسبه وأشار بقوله رحمه الله ياطيب مبتدا منه ومختتم أي منه الى قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليس فيناسفاح كانا نكاح من آدم عليه الصلاة والسلام الينا والنداء في قوله ياطيب المراد به التعجب لانه لاينادي حقيقة الا العاقل أو المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيأنادته على سبيل التعجب وفي قوله ومختتم ايجاز الحذف اذ التقدير منه كما تقدم فهو من

الحذف من الاواخر لا له الاوائل نحو والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أى الله كثيرا واسناد ابان الى مولده من المجاز العقلى ولا محل لجملة ابان الى عنصره لاستئنافها ❁ ومن آيات ولادته ماروى عن أمه انها قالت لقد أخذنى الطلق وانى لوحيدة فى منزلى وعبد المطلب فى طوافه يوم الاثنين فسمعت وجبة هالتنى ورأيت كأن جناح طائر أبيض مسح فؤادى فذهب رعبى وكل وجع وكنت عطشى فاذا شربة بيضاء فشربتها فاصابنى نور عال واذا بنسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف فاحدقن بى فعجبت وقلت واغوثاه من أين علمن بى وأسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم فاذا بديباج أبيض مد بين السماء والارض وقائل يقول خذوه عن أعين الناس ورجال فى الهواء بايديهم آباريق من فضة فنزل على عرق كالجمان وجعلت أقول ليت عبد المطلب عندى وأقبلت على قطعة من الطير من حيث لا أشعر كأن مناقيرها الزمرد وأجنحتها الياقوت فكشف عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت اعلاما ثلاثة علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما بالبيت واشتد بى المخاض وكأنى مستندة الى النساء فكثرن على فولدت محمدا صلى الله عليه وسلم من ساعتى فنظرت اليه فاذا هو ساجد لله عز وجل ثم رفع رأسه الى السماء كالمتضرع المبتهل وروى ان الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف قالت لما سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم على يدى واستهل سمعت قائلا أى صوت قائل يقول رحمك الله وأضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وولد صلى الله عليه وسلم مختونا مقطوع السر وروى الطبرانى رحمه الله تعالى انه وقع الى الارض مقبوضة أصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى عن عثمان بن أبى العاص عن امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم قد دنوا حتى ظننت انها ستقع على وفى هذا البيت اشارة الى ان السعيد من سعد فى بطن امه كما أتى فى الصحيح وانه لا يستحق أحد على الله تعالى شيأ يختص من يشاء بما يشاء ❁ ان السعادة أصلها التخصيص ❁ فمن سبقت له من الله تعالى السعادة فياطيب مبتدامنه ومختتم ومن ظهر عليه الانقطاع الى الله تعالى والركون الى عبادة مولاه فعسى أن يطيب اختتامه ختم الله تعالى لنا وللمسلمين بالحسنى اه قسطلانى وفى أبى السعود الابانة الكشف والاظهار والمنادى فى ياطيب محذوف والتقدير ياقوم أو يا أناس وانما يستعمل هذا الاسلوب فى موضع التعجب والغرابة والتقدير أيها العقلاء ذوو الالباب والافهام والبصائر والاحلام استحضروا أحلامكم وعقولكم واستعملوها فى هذا الامر العجيب الغريب

الذي هو خروج هذا المفتتح والمختتم في أمر الطيب عن الحد الذي لا يمكن تجاوزه لاحد من البشر بل ليس من المعتاد أن يحصل مثله لاحد منهم أنثى أو ذكر والضمير في منه عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم والى عنصره والمعنى ان ماظهر في زمن ولادته ومكانها من الامور الخارقة للعادة من علامات النبوة ومعجزات الرسالة أظهر وكشف عن طيب ذلك العنصر النبوي واليقين المصطفوي والتشخص المحمدي أي دلت تلك العلامات الواضحات والدلالات البينات على انه قد تعلق بذلك العنصر الشريف والجسد المنيف من الكمالات النفسانية والسعادات الازلية ماهو جدير أن يتعجب العقلاء من كيفيته ويتفكر الاذكياء من كميته حتى يعلموا أنه سيكون من هذا المولود من الشؤن والحالات والفضائل والكمالات مالا عين رأت ولا أذن سمعت وحاصله انه صلى الله عليه وسلم قد شهدت فاتحته بخاتمته قال الشاعر

ان الهلال اذا رأيت نموه ❊ أيقنت ان سيصير بدرا كاملا

ويجوز أن يراد بالمفتتح والمختتم جميع مدة عمره صلى الله عليه وسلم فانه قد يذكر طرف الشيء ويراد مجموعه كقوله تعالى سبحوه بكرة وأصيلا وقد يراد بالمفتتح أحوال دنياه وبالمختتم أحوال آخرته أو أحواله في الملك والملكوت وروى أبو امامة قال قيل يارسول الله ماكان بدء أمرك قال دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي انه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وروي انه ناداها مناد من زاوية البيت يا آمنة لا تظهريه للانس الا بعد ثلاثة أيام لانه مشغول بسلام الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أدرك عبد المطلب الوفاة بعث الى أبي طالب فجاء ومحمد على صدره وهو في غمرات الموت فصار يبكي ويلتفت الى أبي طالب ويقول يا أباطالب انظر أن تكون حافظا لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ولا شفقة أمه انظر أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك فاني قد تركت بنيّ كلهم وأوصيتك به لانك من أم أبيه يا أباطالب ان أدركت أيامه فاعلم اني كنت من أبصر الناس به ومن أعلم الناس به فان استطعت أن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك فانه سيسود ويملك مالم يملكه أحد من آبائي يا أباطالب هل قبلت وصيتي قال نعم والله على ذلك شاهد قال عبد المطلب فمد يدك اليّ فمد يده فبايعه على ذلك ثم قال الآن خفف عليّ الموت ثم لم يزل يقبله ويقول أشهد أني لم أقبل أحدا من ولدي أطيب ريحا منك ولا أحسن وجها منك ومات عبد المطلب وهو صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين اهـ

❊ ومن آياته صلى الله عليه وسلم ماذكره رحمه الله تعالى بقوله

❊ يوم تفرس فيه الفرس انهم ❊ قد أنذروا بحلول البؤس والنقم ❊



أي هو يوم تثبت ونظر فيه الفرس انهم قد أنذروا أي أعلموا بحلول البؤس والنقم جمع نقمة أي ظهر لهم في ذلك اليوم من الامارات التي أخبرهم بها علماؤهم وكهانهم في ظهور أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كائن وان ما أنذرهم به كاهنهم من خراب ملكهم وتشتت أمرهم وتفريق قبائلهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويد أصحابه القائمين بشريعته ان ذلك حال بهم وهو ما أراده بقوله البؤس والنقم والمراد بيوم لزمان الذي كانت فيه الفراسة لا الذي هو مقابل الليلة وذلك البؤس وتلك النقم هو تمزيقهم كل ممزق كما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرس بضم الفاء أمة عظيمة كان مسكنها في شمال العراق واختلف في نسبتهم فقيل هم من ولد بهرام بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وانه ولد له بضعة عشر رجلا كلهم فارس شجاع فسموا الفرس لذلك وقيل غير ذلك مما تطول ذكره اهـ قسطلاني وفي أبي السعود اليوم الوقت ليلا كان أو نهارا قصيرا كان أو طويلا وهو المعنى ههنا والتفرس معرفة الشئ بالفراسة وهي قوة تدرك بها الامور الخفية بالقرائن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله والمتفرس هو الألمعي الذي يظن كأن قد رأى وقد سمع شبه احاطة العالم بعلمه وشدة تصرفه فيه وتمكنه منه باحاطة الاسد بفريسته وشدة تصرفه فيها والفرس اسم جمع لاهل بلاد فارس وكفاهم فضلا كون سلمان رضي الله عنه منهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حقهم لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من فارس وفي رواية من قوم هذا وأشار الى سلمان رضي الله عنه والانذار هو التحذير من وقوع البلاء ومنه سمي صلى الله عليه وسلم المنذر لانذاره أمته والبؤس الشدة أاورثة حزنا وهما والنقم جمع نقمة وهي ضد النعمة ويوم خبر مبتدا محذوف أي مولده يوم والاحسن أن يجعل بدلا منه كقوله تعالى لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة وتفرس في محل الرفع صفة ليوم والفرس فاعله وان مع اسمها وخبرها مفعول وقد أنذروا خبر أن والمعنى لما ذكر في البيت السابق ابانة مولده عن طيب عنصره وعنى بذلك انه قد ظهرت في زمن ولادته علامات تدل على ما تضمنه عنصره الشريف من الكمالات الدالة على استحقاق علو الشان وارتفاع المكان وتفويض خلافة أمر الملك والملكوت شرع في بعض تلك العلامات ونبذة من تلك الدلالات فذكر في البيت ما هو كالمقدمة لتلك المقاصد وهي انه لما زين الله سبحانه وتعالى بساط الوجود العيني عيانا من شرف قدم قدومه وشرف العالم الظلماني بأنوار جمال طلعة نجومه هطلت سحب العناية بقطرات فيض جماله وقطرت مزن الهداية بمحاب عباب بحر كماله وتفرست الفرس بما اقترن بذلك الظهور من سطوع النور وخمود النيران وطلوع نيرات السعود



وأفول كواكب النحوس والخذلان أن دائرة دوائر البؤس والنقم ستحل فى منازلهم بعد زوال النعم فان النور اذا سطع على منازل الكون سلطانه اضمحل الظلام وتضعضع بنيانه روى ان سلمان الفارسى لم يزل ينتقل من عالم الى عالم ومن قصة الى قصة ويبحث على الاسرار ويستدل بالاخبار مدة أربعمائة سنة ينتظر قدوم سيد الاولين والآخرين محمد حبيب رب العالمين حتى بشر بولادته فلما أيقن بالفرج خرج يريد تهامة فأسر فى الطريق واقى دون لقائه عرق القربة وخرط القتاد حتى ظفر بالمراد اه ※ ثم عطف رحمه الله تعالى على تفرس قوله

※ وبات ايوان كسرى وهو منصدع ※ كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم ※

ايوان كسرى كناية عن ملك الفرس وهو منصدع أى منشق وقوله غير ملتئم أى غير مجتمع وفى أبى السعود بات من البيتوتة وهى الاقتران بالليل ومنه التبييت وهو تدبير الامر ليلا قال تعالى اذ يبيتون مالا يرضى من القول والله أعلم بما يبيتون وقال صلى الله عليه وسلم من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له والايوان بالكسر اسم لبيت يكون سقفه محدبا لا يكون لاحد جوانبه جدار والانصداع الانشقاق ومنه تصدع الناس أى تفرقوا والشمل من أسماء الاضداد يطلق على الاجتماع والافتراق يقال جمع الله شملك أى ما تفرق وكسرى بالفتح والكسر والفتح أفصح ملك الفرس يجمع على أكاسرة وبات من الافعال الناقصة وقد يجيء تاما كقول امرئ القيس ※ وبات وباتت له ليلة ※ وهو منصدع جملة حالية من اسم بات كشمل خبر وغير منصوب على انه حال من شمل لا كتسابه التعريف من أصحاب ويجوز رفعه على انه خبر ثان وحاصل المعنى ان من العلامات التى ظهرت فى زمان ولادته فدلت على علو نائرة نور الحق وانطفاء نار الباطل وارتفاع شأن أهل العدل والاحسان واضمحلال أمر أهل الشرك والطغيان انصداع شرافات ايوان كسرى فانه قد روت الثقات من الرواة ان ايوان كسرى سقطت منه أربع عشرة شرافة فى ليلة ولادته عليه الصلاة والسلام من غير سبق امارة تدل على التهيؤ للانهدام وتقدم علامة يتوقع منها وقوع ذلك الانقصام فوقوع ذلك الامر بغتة مع احكام البنيان ورص تلك الاركان أوقع فى قلوبهم الهول والاحزان وابقى فى روعهم البؤس والخذلان علما منهم بان هذا الحدثان لا يكون الا لحدوث أمر عظيم الشان وعن مخزوم بن هانئ عن أبيه قال لما كانت الليلة التى ولد فيها صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى وسقط منه اربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة وغاضت بحيرة ساوة وعن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبى وكان من أوعية العلم قال لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى للملائكة افتحوا أبواب السماء كلها وأمر الملائكة بالحضور فنزلت تبشر

بعضها بعضا وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر اهلها فلم يبق ملك الاحضر وأخذ الشيطان فغل وألقى منكوسا فى لجة البحيرة الخضراء وغلت الشياطين والمردة وألبست الشمس نورا عظيما وأقيم على رأسه سبعون ألف حوراء ينتظرون ولادته صلى الله عليه وسلم وعنه رضى الله عنه ان الاصنام نكست فى تلك الليلة وأما اللات والعزى فقد أخرجا خازنيهما وهما يقولان ويح قريش جاءهم الامين جاءهم الصدوق وأما البيت فقد سمع فى جوفه صوت وهو يقول الآن يردنورى الآن تجىء زوارى الآن أطهر من رجس الجاهلية اه نسأل الله الكريم أن يطهر قلوبنا من رؤية السوى والاغيار بجاه سيد الابرار صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته الاطهار كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون * ثم قال رضى الله عنه

﴿ والنار خامدة الانفاس من أسف * عليه والنهر ساهى العين من سدم ﴾

أى وصارت النار التى يعبدونها فى ذلك اليوم خامدة الانفاس لالهب لها تلك الليلة من اسف عليه أى من حزن على انصداع الايوان هذا ان كان المراد بالأسف الحزن وان كان المراد الغضب فالضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم لان ولادته صلى الله عليه وسلم سبب فى ترك عبادتها وذلك انه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتعد تلك الليلة ايوان كسرى انوشروان بن قباذ بن فيروز وسقط من قصره أربع عشرة شرافة وكتب اليه صاحب فارس يخبره بان بيوت النيران قد خمدت تلك الليلة ولم تكن قد خمدت قبل ذلك بالف سنة وصار النهر الذى به قوامهم ساهى العين تلك الليلة أى سكنت جرية عينه التى هى مادته من سدم أى من ندم وحزن ويحتمل أن يكون سكون العين مجاز العدم جرية الماء لان الماء الجارى لا يسكن بل يخلف بعضه بعضا كالعين اليقظى فانها تطرف المرة بعد المرة وفى هذين البيتين اشارة صوفية وهى انه اذا صحت التوبة واستقامت خمدت أنفاس نار النفس الامارة وسهت عين نارها من الشهوات التى كانت متوالية عليها مثل توالى ماء النهر فلا يرى لنار غضبها الذى كان اضطرام ولا لماء الذى ألفت شربه انسجام حزنا منها على أعمالها فتعود مرتاضة ذلولا ساكنة مطمئنة بعد أن كان ركوبها لا يستطاع لتلاطم أمواج بحرها الفياض من الشهوات اه قسطلانى وفى أبى السعود خمود النار اذ طفاؤها وسكون لهيبها والانفاس جمع نفس بتحريك الفاء وهو خروج هواء ودخول آخر الى ويح القلب واخراج ما احترق من الداخل بحرارته وقد جرت عادة الله تعالى باستيفاء حياة الحيوان بدخوله وخروجه والاسف الحزن والسهو الغفلة يقال سها عن هذا الامر أى غفل والسدم غضب معه هم والواو فى قوله والنار للعطف والجملة معطوفة على قوله وهو منصدع هكذا قيل فتكون



الجملة حالا أيضا من الايوان أى بات الايوان منصدعا حال كون النار خامدة الانفاس ويجوز أن تكون معطوفة على بات عطف الجملة الاسمية على الفعلية وهو جائز ومن للتعليل أى خامة الانفاس بسبب الاسف وساهى العين بسبب السدم والضمير فى عليه عائد على كسرى أو الى ايوان كسرى والتنوين فى أسف وسدم للتفخيم وفى البيت استعارتان مكنيتان فانه قد شبه النار بحيوان وذكر المشبه مع شئ من لوازم المشبه به أعنى الانفاس وثانيهما فى النهر فانه قد شبهه بما شبه به النار وذكر ما هو من لازم المشبه به أعنى العين والمراد بالنار نار مجوس فارس وبالنهر الفرات فانه قد كان خرج من مجراه المعتاد وبد اثائها فى ساوة والمعنى ان نار مجوس الفرس وماء نهرهم قد لحقهما من الدهشة والحيرة والاضطراب ما يلحق ذوى العقول عند الاحساس بحلول الحوادث ونزول الكوارث قد خمد لهيبها وسكن زفيرها من شدة ما لحقها من الاسف على زوال ملك واقديها وحلول النقمة على مسعريها وماء الفرات قد ضل السبيل فلا يهتدى الى مجراه ولا يفقه كيف مسراه علما منه بما سيكون مما هو جدير بما تجرى عليه دموع العيون وتسيل مكان الماء الدماء عن الجفون اه ❊ ومن آيات ولادته صلى الله عليه وسلم ما أشار اليه المصنف رحمه الله بقوله

❊ وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ❊ ورد واردها بالغيظ حين ظمى ❊

أى وأحزن أهل المدينة المدعوة بساوة وهى بين همذان والرى ان غاضت بالضاد المعجمة أى نقصت بحيرتها وجفت بحيث لم يبق فيها شئ كذا قيل حتى ان لهب النار ينبع من قعرها كأنما طبخت أرضها خزفا وكانت هذه البحيرة بركة ماء طولها ستة أميال وعرضها مثل ذلك وكذا أحزنها أيضا ان رد واردها الذى يأتى اليها يستسقى من مائها بالغيظ أى مع الغيظ حين ظمى وغيض الماء انما كان من ولادته صلى الله عليه وسلم وهو الذى أحزن ساوة واسناد الحزن الى نفس النار والماء مجازا وتنزيل لهما منزلة العاقل اه قسطلانى وفى أبى السعود وساءه بمعنى أحزنه وساوة اسم بلدة معروفة وغاضت من غاض الماء والوارد اسم فاعل من الورود يقال ورد الماء والبلد اذا أشرف عليهما سواء دخلهما أو لم يدخلهما والغيظ روى بالضاد وقد مر وبالظاء بمعنى شدة الغضب والظمآن العطشان وساء وان كان لانشاء ضد المدح وضعا لكنه هنا مستعمل فى معنى الاخبار وهو حينئذ متعد تقول ساءنى هذا الامر والمعنى ان أهل ساوة قد سيئت أحوالهم وشينت شؤنهم وانقطعت حبال وصلتهم اذ غاض ماء بحيرتهم روى انه كان لاهل ساوة بطيحة متسعة تتلاطم أمواجها تلاطم أمواج البحر الزاخر وقد التفت بها أنواع من الانهار واحتفت بها أجناس من الاشجار وأحاط بها من جميع جوانبها بيع وكنائس كانت معابد ومجامع لاهل البغى والعناد فلما

منّ الله على أهل الرشاد من العباد بميلاد سيد أهل السداد غاضت تلك البحيرة وبادت تلك البلاد وذلك بما كسبت أيديهم وما الله يريد ظلما للعباد وقد ذكر الناظم في هذه الابيات ما صحت به الروايات من الكرامات الباهرات والعلامات الدالات على ما يعقب ميلاد تلك الحضرة العلية والسدة السنية من السعادات روى أبو سعيد الواعظ الزاهد باسناد عن مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه وكان قد أتت عليه مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقط منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى راعه ذلك الارتجاج والسقوط وأفزعه فجمع وزراءه وأخبرهم بما هاله فبينما هم كذلك اذ أتاهم كتاب بخمود نار فارس فقال الموبذان أنا رأيت رؤيا وقص عليه رؤياه فقال أي شئ يكون هذا ياموبذان قال حدث يكون من ناحية العرب فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الي برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيل الغساني فلما قدم عليه أخبره بما رأى فقال له علم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشام يقال له سطيح فقال له اذهب اليه واسأله وائتني بتأويل ما عنده فنهض عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد أشرف على الموت فسلم عليه فلم يرد جوابا فأنشأ عبد المسيح أبياتا يذكر فيها ما أراده منه ففتح سطيح عينيه ثم قال عبد المسيح على جمل يسيح الى خاله سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي سماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العراق للفرس مقاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى على سطيح مكانه فنهض عبد المسيح وقدم على كسرى وأخبره بما قال سطيح فقال الى أين يملك منا أربعة عشر ملكا فملك منهم عشرة في أربع سنين والباقون الى امارة عثمان ✽ ثم قال رحمه الله تعالى

✽ كأن بالنار ما بالماء من بلل ✽ حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم ✽

أي صارت نار فارس التي خمدت كان بها من الاوصاف التي من جملتها البلل مثل أوصاف ماء بحيرة ساوة قبل غيضه أي صارت مبلولة باردة كبلل ماء بحيرة ساوة وبرودته من الحزن وصار هو أي ماء بحيرة ساوة التي غاض حتى جف مكانه وصار



يلتهب كأن به من الاوصاف التى منها الضرم مثل أوصاف نار فارس قبل خمودها من حزنه أيضا فالحاصل ان كلا من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل الى كل منهما أوصاف الآخر من الحزن على تغيير حال الكفر وخص الناظم من أوصاف الماء البلل دون البرودة مثلا ومن أوصاف النار الاضطرام دون الحرارة مثلا لان النار لا تبقى حقيقتها مع الاتصال بالبلل فانها فى غاية اليبوسة فلذا تفرق الاجزاء والبلل يصل الاجزاء المتفرقة كما يفعل بالتراب ووصفها بالبرد لا يخرجها عن حقيقتها قال الله تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فخاطب النار والماء أيضا اذا اتصف بالاضطرام الذى هو غاية اليبس خرج عن حقيقته لحدوث التفريق بعد الاتصال ووصفه بالحرارة لا يخرجه عن حقيقته لانه يقال ماء حار ولا يقال ماء مفرق الاجزاء اه قسطلانى وفى أبى السعود ما موصولة والجار والمجرور مع عاملهما صلة والموصول مع صلته اسم كأن وبالنار خبره ومن بلل بيان لما وحزنا مفعول له والقول فى ما وما بعدها كما قيل فيما قبلها وحزنا مقدر فى المصراع الثانى أو ان ذكره فى المصراع الاول مغن عن تقديره لدلالة المذكور عليه والتقدير كان الضرام الكائن بالنار كائن بالماء والمعنى بيان تغير الزمان وحدوث الحدثان وطلوع كواكب السعود فى أفق الحق المبين وأفول نجوم نحوس الباطل من طوالع الكفار والمشركين وتبدل أحوال الفريقين من المؤمنين والكافرين بان ما كان لنار الشرك من الحرارة والحدة والارتفاع والاستعلاء انتقل الى أهل الدين الذين كانوا فى النفع والارواء والرفق واللين كالماء المعين اه وفى شرح الامام المحقق ابن العماد كأن من أدوات التشبيه ومن ثم جاء كأنه هو والبلل الندا وة وفى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام أى بلوها بالصلة والارحام الاقارب والضرم ايقاد النار المعنى يقول كأن الذى بالماء من برودة وبلل حاصل فى نار فارس عند الولادة لانها قد ذهب طبعها وانتقل اليها طبع الماء فاستحالت الى طبع الماء وكان الذى بالنار من الحرارة قد حصل فى الماء وصار طبعا له حتى ذهب طبعه من البرودة والارواء والجريان وانتقل لطبع النار حتى ذهب وجف واحترق وقد كثر مثل هذا الاستعمال حتى انهم ليقولون احترق النيل أى ماء النيل وانتقص على خلاف العادة ۞ ثم قال رضى الله عنه

۞ والجن تهتف والانوار ساطعة ۞ والحق يظهر من معنى ومن كلم ۞

أى وصارت الجن أولاد ابليس عليه لعنة الله عند ولادته صلى الله عليه وسلم تهتف فى تلك الليلة أى تصوت على الجبال وفى بطون الاودية وترفع أصواتها بالاعلام بما أظل الناس من نبوته صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون معنى تهتف أى تقول قولا من غير تحقيق وذلك انها قبل ولادته صلى الله عليه وسلم كانت غير ممنوعة من

استراق السمع وكذلك كثر اصابة الكهان فى ذلك لانهم يستمعون من الملائكة مايكون من الحادثات فى الارض على التحقيق فلما منعوا بعد ولادته صلى الله عليه وسلم من استراق السمع بالشهب الا من خطف الخطفة جعلوا يتكامون من غير تحقيق ولذلك كذبوا بعد ولادته صلى الله عليه وسلم والمعنى صارت الجن يوم ذلك تهتف أى تقول قولا غير محقق شبه كلامه الذى لا محصول له بسماع صوت من غير تحقيق شخص فان قيل أما حزن الجن لبعثه صلى الله عليه وسلم فظاهر لان أكثرهم عصاة وأما انصداع ايوان كسرى فاهانة له وذل وصغار كسائر الملوك فيما أصابهم حينئذ وأما خمود النار واضطرام مكان الماء بعد غيضه فانما يحسن ذلك ان كان لاهانتهم كانصداع الايوان لكن الناظم رحمه الله تعالى انما قال كان ذلك فيهما من حزنهما وذلك لا يصح فان الجمادات وكل مالا يعقل لا يوصف بالكفر ومشاقة الله ورسوله بل كلها منقادة خاضعة لامر الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض فاللائق بالناظم رحمه الله ان يقول من فرح فالجواب ان كان المراد أهل النار وأهل ساوة فلا اشكال وان كان المراد ذاتهما فيكون حزن النار على نفسها من أجل انها لاتوقد والماء من أجل انه لا يجرى وان كانا فى خير بولادته صلى الله عليه وسلم وأيضا فهو انما قال كأن فشبه حالهما بحال الحزين والانوار المحسوسة التى ظهرت عند ولادته لامه ساطعة أى مرتفعة ويحتمل ان يكون المراد الآيات المذكورات وغيرها سماها أنوارا لانها تهدى سبيل الحق كما يهدى النور سبيل الحسن والحق يظهر من معنى ومن كلم أى ألفاظه صلى الله عليه وسلم اه قسطلانى وفى أبى السعود والجن خلاف الانس والجان أبوهم والهتف الصوت الشديد وسطع النور اذا ارتفع فى اطراف السماء والحق الامر الثابت وهو من أسمائه تعالى المستحق لجميع الكمالات المقدس عن سائر النقائص والمعنى مصدر عنى يعنى بمعنى قصد يقصد وقد يراد به اسم المفعول والكلم جمع كلمة وهى لفظ موضوع لمعنى مفرد فيحتمل ان يحمل الكلم على ألفاظ القرآن والمعنى على ماتضمنه الالفاظ من الحكم والاحكام والمواعظ والقصص والمراد بالحق حينئذ ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الشريعة ويحتمل ان يراد بالكلم الحوادث الكائنة المحسوسة الدالة على نبوته وبالمعنى المدلول عليه أعنى نفاذ أمره فى الخافقين ومضى أمره فى العالمين والواوان للعطف أو للاستئناف ولا يحسن أن تكون للحال كل الحسن ومفعول تهتف محذوف لتذهب نفس السامع كل مذهب مما يقتضيه المقام من شواهد النبوة ودلائل صدق الرسالة واللامان فى الجن والانوار للعهد ومن فى الموضعين للابتداء وتنكير معنى وكلم للتفخيم والتعظيم والمعنى



ان من علامات استعلاء نائرة نورد ينه القويم وأمارات استيلاء دائرة طريقه المستقيم وتباشير علو شان هذا النبي الكريم الذي ارسل رحمة للعالمين ومبشرات هذا الرؤف الرحيم الذي كان نبيا وآدم بين الماء والطين ارتفاع اصوات الجن في كل مكان بالانباء عن ظهور رشيد ولد عدنان وارتفاع بنيان الايمان وانخفاض ما ارتفع من الشرك والطغيان وسطوع أنوار الملة الغراء وطلوع كواكب السنة الشهباء وظهور بدر الحق المبين من مطالع صور الكلم ومكامن اسرار معاني امور الدين اه وللامام المحقق بن العماد في شرح هذا البيت الجن أولاد ابليس لعنه الله وهو يلد كل يوم ألف ولد روى ان له ذكرا في فخذه اليمنى وفرجا في فخذه اليسرى فينكح نفسه فيلد كل يوم ألف ولد واختلف في ابليس هل هو من الجن أو من الملائكة على قولين أحدهما وهو قول ابن عباس وأكثر المفسرين كما نقله البغوى انه من الملائكة الثاني وهو قول الحسن انه من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه فهو أصل الجن كما ان آدم أصل الانس والاول أصح لان الخطاب كان مع الملائكة وقوله تعالى كان من الجن أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة وفي الجن مؤمنون وكافرون واختلفوا في دخول المؤمنين منهم الجنة فحكى البغوى عن عبد الله بن ذكوان قال اذا قضى بين الناس وأمر بأهل الجنة الى الجنة وبأهل النار الى النار قال لسائر الامم ولمؤمني الجن كونوا ترابا فيعودون ترابا وتهتف تصيح يقال هتف ديك الصبح اذا صاح اه قلت والذي عليه التحقيق ان مؤمني الجن يدخلون الجنة ويتنعمون فيها لقوله سبحانه أعددت لعبادي المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا شك ان فيهم صلحاء وأصحابا وفي الحديث لهم ما لنا وعليهم ما علينا كما نبهنا على ذلك في كتابنا مشارق الانوار ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊ عموا وصموا فاعلان البشائر لم ❊ تسمع وبارقة الانذار لم تشم ❊

أي ولا شك ان الكفار الذين لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم بعد ما عاينوا من آيات مولده ومعجزاته القاطعة عموا وصموا أي هم كالعمي في كونهم لم ينتفعوا بما شاهدوا من معجزاته لان ثمرة الابصار الجري على مشاكلة المبصر وكالصم في كونهم لم ينتفعوا بما تواتر عندهم من آياته والتواتر يقوم مقام المعاينة في افادة العلم لان العلم الحاصل به من الضروريات وكأنه قسمهم الى من حضر وشاهد الا انه لم يقر بمقتضى ما رأى وهؤلاء هم الذين أخبر عنهم بانهم عموا والى من لم يحضر لكن تواترت عنده الاخبار فلم يصدق وهؤلاء هم الذين أخبر عنهم بأنهم صموا ثم قال فاعلان أي اظهار البشائر بصحة رسالته صلى الله عليه وسلم واشاعتها كسطوع الانوار واخبار الكهان وهتف



الجان لم تسمع وبارقة الانذار به لم تشم أى مالاح لهم مما أنذرهم به من انقضاء دولة الكفار واذلال أهله الذى هو شبيه بالسيوف بضرب من لم يدخل فى الطاعة بها أو كالبرق المنذر بنزول الصواعق وكانقضاض الشهب المنذر بأمر عظيم كخراب الدنيا أو غيره وذلك كصدع الايوان وخرب النيران وغيض الانهار كأن حاضر ذلك لم يره وهو معنى لم تشم أى لم ينظر اليها وبناء تسمع وتشم للمفعول تنبيه على تمكن العمى والصمم منهم حتى لم يكن منهم فى الوجود من يتصف بضدهما اه قسطلانى وفى أبى السعود العمى ذهاب البصر وقيل عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا والصمم ذهاب القوة السامعة وقيل عدم السمع عما من شأنه أن يكون سميعا والاعلام جمع علم وهو ما ينشر على الرمح من الديباج وغيره مما يشبه المناديل وفى أكثر النسخ موضع الاعلام اعلان وهو الاصح وهو مصدر أعلن بمعنى أظهر من العلن المقابل للسر والبشائر جمع بشارة وهى الاخبار بوقوع أمر سار والبارقة السحابة والانذار مصدر أنذر والشيم النظر الى البرق يقال شام البرق اذا نظر اليه والضمير فى عموا وصموا عائد الى الفرس ويجوز أن يعود الى كل منكر للنبوة وان لم يذكر لدلالة المقام عليه والفاء فى اعلان البشائر للسببية فان عدم السماع لما أعلن من البشائر وعدم النظر الى مالمع من بوارق أنوار الحق انما هو بسبب العمى والصمم واعلان مرفوع على الابتداء وجملة لم تسمع مرفوعة المحل على الخبرية والتأنيث فى تسمع باعتبار اضافة الاعلان الى البشائر فان قلت كيف قدم اعلان البشائر على بارقة الانذار مع انه مخل بالترتيب بين اللف والنشر ولم خص البشائر بالاعلان والانذار بالبارق ولم جمع البشائر وأفرد الانذار وما معنى سمع اعلان البشائر وشيم بارقة الانذار قلت اما تقديم اعلان البشائر على بارقة الانذار فلان فى عدم ارعوائهم الى البشائر زيادة مبالغة فى التعجب من شدة جهلهم وغباوتهم بالنسبة الى عدم ارعوائهم الى الانذار لانه قد يتعذر لبعض الحمقى عدم التفاتهم الى الانذار لانهم لم يبالوا بالحوادث وأما عدم التفاتهم الى المبشرات مع انها مشتملة على رضوان من الله وهو أكبر كل نعمة فهو لا يحتمل عذرا عند أحد من الجاهلين فضلا عن العالمين والمقام مقام التعجب من أحوالهم الشنيعة وشؤنهم القبيحة فتقديم ما هو أهم انسب بالمقام وأما جمع البشائر وافراد الانذار فللاشارة الى فضل النعم على النقم وغلبة التحلى باسم العفو على التجلى باسم المنتقم وأما تخصيص الاعلان بالبشائر فلكون المبشر به من مقتضيات العهد الا بق وأما تخصيص البارقة بالانذار فلتضمن اللمعان سرعة الزوال التى هى مناسبة للمنذر بالنسبة الى ما هو مقتضى ذات الكريم الرحيم الغفور والمعنى ان بعضا ممن بشر بقدوم النبى صلى الله عليه وسلم الذى أرسل رحمة للعالمين صلى الله عليه

وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وشاهد العلامة الدالة على ظهور الحق المبين لم تطرق صماخيه طارقة النبأ العظيم ولم يشم ناظراه بارقة ذلك النور المتألق فى ظلمة الليل البهيم وما ذلك الا انهم لهم أعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور اهـ * ثم قال رضى الله عنه

*(من بعد ما أخبر الاقوام كاهنهم * بأن دينهم المعوج لم يقم)*

أى وكان عماهم عما شاهدوا من الآيات وصممهم عما سمعوا منها من بعد ما أخبر الاقوام العمى الصم كاهنهم بأن دينهم المعوج لم يقم والمراد بالكاهن الجنس وهم علماؤهم الذين كانوا يخبرونهم بالغيب حسبما يخبرهم بذلك أصحابهم من الجن الذين يسترقون السمع ومن اخبارهم اخبارهم بأمر محمد صلى الله عليه وسلم وانه قرب مبعثه بالحنيفية البيضاء والدين القويم وانه يبعث بذهاب دينهم الاسود المعوج وانه لم يقم أى لم يثبت دين عند الله تعالى أو لم يستقم فى حكمه الا هذا الدين ويخرط فى سلك هؤلاء العلماء من اليهود والنصارى ومن قلدهم ممن لم يؤمن به صلى الله عليه وسلم فانهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل اهـ قسطلانى وفى أبى السعود من بعد متعلق بعموا وصموا أو بلم تسمع أو لم تشم وما مصدرية أى من بعد اخبار الاقوام وكاهنهم فاعله واضافة الكاهن للقوم لما بينهم من الملابسة كشيخهم وأميرهم والمعنى ان القوم الذين طبع على قلوبهم وختم على سمعهم وأبصارهم لم ينجع فيهم ما ظهر من الآيات البينات ولم ينتفعوا بما سطع من أنوار الحجج القاطعات ولم يرعووا الى ما قرع سمعهم من الزواجر والمواعظ القارعات مع ان شياطينهم الملعونين وكهنتهم الضالين قد أنبؤهم بأن طريقتهم العوجاء بسبب تبديلهم وتغييرهم أخذت فى الاضمحلال والذهاب وان صاحب الشريعة الشمهاء والسنة الغراء قد سطعت أنوار تباشير طلائع دولته وطلعت كواكب السعد من أفق سماء ملته اهـ * ثم قال رضى الله عنه

*(وبعد ما عاينوا فى الافق من شهب * منقضة وفق ما فى الارض من صنم)*

أى وهذا العمى والصمم كان بعد ما عاينوا بأبصارهم فى الافق من شهب منقضة على الشياطين المسترقين للسمع من الملائكة فى السماء ليلة ولادته أى ساقطة وفق ما فى الارض من صنم أى انقضت نحو الصنم وهو ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور وقيل الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من غيره كالنحاس وقيل هما بمعنى واحد اهـ قسطلانى وفى ابن العماد الافق بضم الفاء وسكونها واحد الآفاق والشهب جمع شهاب وهى الكواكب ومنقضة منحطة والوفق بكسر الواو من الموافقة بين الشيئين

كالالتحام والصنم ما يتخذ للعبادة من خشب أو نحاس أو حجر والمعنى عموا فلم يؤمنوا من بعد ما أخبرهم كهانهم بما سبق و بعد ما عاينوا فى الافق من الشهب التى لم يشاهدوها من قبل ذلك وأشار بذلك الى قوله تعالى وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقعدون الى سماء الدنيا و يسترقون ما يذكر فيها من قول الملائكة فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حرست السماء بالشهب فعاينوا شيأ لم يعاينوه من قبل قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن كثيرا كما هو اليوم فى شدة الحراسة واختلفوا اهل حدث رجم الشياطين بمولده عليه الصلاة والسلام وحكى الزمخشرى فى سورة الجن عن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجبوا عن ثلاث سموات فلما ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حجبوا من السموات كلها وقوله وفق ما فى الارض أى منحطة انحطاط الاصنام التى فى الارض وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ولد خرت الاصنام وسقطت فانقضت من مكانها كما تسقط الكوكب من السماء وشاهد الكفار جميع ذلك ولم يؤمنوا اه * ثم قال رضى الله عنه

* حتى غدا عن طريق الوحى منهزم * من الشياطين يقفو اثر منهزم *

أى ولم تزل الشهب تنقض نحو الاصنام وهى جهة الشياطين حتى غدا أى صار عن طريق الوحى الذى يأتى به الملك الى النبى صلى الله عليه وسلم منهزم من الشياطين يقفو أى يتبع أثر منهزم منهم فلم يقعد بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم أحد منهم على طريق الوحى يسمع منه ما يتكلم به الملائكة عندما يقضى الله الامر كأنه سلسلة على صفوان كما ورد فى الصحيح ومراده بقوله منهزم اثر منهزم جنس المنهزمين والمراد بالافراد التكثير والترتيب شيأ بعد شئ أى فلم يزل دأبهم على تعاقب الاوقات الفرار أو الانهزام ودأب الشهب الانقضاض خلفهم والازدحام اه قسطلانى قال ابن العماد حتى حرف غاية وهى ههنا للابتداء وغدا مقابل راح الاول لما قبل الزوال والثانى لما بعده وطريق الوحى السماء و يقفو يتبع وقفوت الشئ تبعته قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم والانهزام انفعال من الهزيمة والمعنى ان الشهب انقضت من السماء حتى صار كل من الشياطين منهزما تابعا انهزامه اثر منهزم آخر من الشياطين ويجوز قراءة عدا بالعين المهملة من العدو وهو شدة السير يعنى ان الشياطين لما رميت بالشهب هربت وصار بعضها بعد وخلف بعض اه ثم شبههم

أو الكفار المنهزمين بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استتبع هذه المعجزة بأخرى
وهي تسبيح الحصى بكفه صلى الله عليه وسلم ومن هذا كان في قوله نبذا استتباع
وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بآخر وأشار بما ذكره الى ما رويناه عن
أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر رضى الله تعالى عنه فسبحن
في يده ثم في أيدينا فما سبحن فان قيل ظاهر النظم ان الحصى التى رمى بها الكفار هي
التى سبحت وان الرمى بها كان بعد تسبيحها بباطن كفه وما روى عن أنس انما يدل
على ان الحصى سبح في كفه في الجملة فالجواب انه يحتمل أن يكون الناظم رحمه الله تعالى
وايانا اطلع على انها سبحت في هذا الموطن فان كان هذا فلا اشكال والا كان قوله
بعد لترتيب الاخبار كما قال النحاة في ثم في نحو قوله * ان من ساد ثم ساد أبوه *
والمعنى عند الناظم قصد الاخبار بخرق العادة في كون حصى الكفين أصاب الجمع
العظيم ثم كأنه يقول وهذا الاخبار الغريب كان بعد اخبار آخر غريب وقع له
في الحصى خارق للعادة وهو كونه سبح في كفه والتسبيح التنزيه قال الجوهري سبحان
الله معناه التنزيه لله وهو اسم مصدر على الصحيح وفي استيفاء الكلام على مادته طول
ذكرت نبذة منه في كتاب بهجة السامع والقاري في ختم صحيح البخاري اه قسطلاني
وفي ابن العماد النبذ الطرح والرمي والتسبيح التنزيه والمسبح يونس عليه السلام وكان
من قصته انه دعا قومه الى الايمان فلم يؤمنوا فتركهم وذهب وقيل انه وعدهم بنزول
العذاب فأبوا فلم ينزل عليهم فخرج عنهم مغاضبا لربه آنفا الى ان أتى ساحل البحر
فذلك قوله تعالى اذ أبق الى الفلك المشحون أى السفينة المملوءة وكان معه امرأته
وابنان له فاركب امرأته في مركب فحال بينهما الموج وجاءت موجة فأخذت احد
ابنيه وأخذ الذئب الآخر فبقي وحيدا فركب سفينة فلما توسط البحر وقفت السفينة
فقال الملاحون هنا عبد آبق فاقترعوا فمن خرجت القرعة عليه فألقوه في البحر
فخرجت القرعة على يونس فألقوه في البحر وقيل رمى هو نفسه فالتقمه الحوت فذلك
قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين أى المدحوضين أى المغلوبين روى ان الله
تعالى أوحى الى الحوت انا جعلنا بطنك له سجنا ولم نجعله لك طعاما فبقي في بطنه سبعة
أيام وقيل أربعين يوما فنادى في الظلمات أى في ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة
الليل وقيل انه ابتلع حوته حوت آخر فهو في ظلماتهما وظلمة البحر فنادى معترفا
بذنبه أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فذلك قوله تعالى فاستجبنا له
ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ما من
مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له قال في الآية الأخرى فنبذناه بالعراء وهو



سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين والعراء الساحل روى ان الحوت ألقاه بعد
ما صار كالفرخ الممعط ثم بلى لحمه ودق عظمه ولم يبق له قوة وأنبت الله عليه شجرة من
يقطين وهو القرع يستظل بظلها ومن خواص اليقطين انه لا يقربه ذباب وجاءته وعلة
تشرب لبنها صباحا ومساء فاشتد لحمه ونبت شعره فاستيقن وقد يبست الشجرة
فأصابه حر الشمس فبكى فاوحى الله تعالى اليه تحزن على شجرة يبست ولا تحزن على
مائة ألف أو يزيدون أرسلناك اليهم فلم يتبعوك فاردت هلاكهم والاحشاء جمع حشا
وهو الجوف والملتقم الحوت والمعنى طرح صلى الله عليه وسلم الحصى بعد ما سبح
فى كفيه طرحا فى وجوههم مثل طرح يونس بعد ما سبح فى بطن الحوت شبه نبذ النبى
صلى الله عليه وسلم بنبذ الحوت وشبه تسبيح الحصى بتسبيح يونس صلى الله وسلم عليه
وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين اه وفى كتابنا النفحات
النبوية ان قومه حين وعدهم انهم ان لم يؤمنوا تصفر وجوههم أول يوم ثم تحمر
وجوههم ثانى يوم وفى ثالث يوم تسود الوجوه وشاهدوا أول العلامة وطلبوا يونس فلم
يجدوه وخرجوا بأجمعهم ودوابهم وفرقوا بين الوالدة وولدها منقادين تائبين داعين
بقولهم اللهم ان ذنوبنا عظمت وجلت يارب وعفوك أعظم وأجل فعاملنا بما أنت أهله
ولا تعاملنا بما نحن أهله نقل ذلك عن البيضاوى اه وهذا مصداق قوله تعالى وقوم
يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين
* ثم قال رضى الله عنه

* جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم *

أى أتت لدعوته الاشجار حال كونها ساجدة أى خاضعة حين دعاها ان تأتيه لحاجته
بها أو دعائه اياها الى الايمان به حال كونها تمشى اليه على ساق بلا قدم أى لا قدم يعينها
على المشى وانما ذلك خرق للعادة وتأييد الهى لا يكون الا مثله صلى الله عليه وسلم ولم يقل
لدعائه تنبيها على انها أول دعوة واحدة بادرت الى الامتثال وأل فى الاشجار للجنس
واطلاق السجود على الخضوع فيه خلاف قيل حقيقة لانه مشترك وقيل مجاز
فيكون من الاستعارة وساجدة تمشى من الطباق اه وفى الشفاء عن ابن عمر قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فدنا منه اعرابى فقال يا اعرابى أين تريد
قال الى أهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك
له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك عما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهى
بشاطئ الوادى فادعها فانها تجيب قال فدعاها فاقبلت تخد أى تشق الارض حتى
قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن
بريدة سأل اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول

الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فقالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابى أئذن لى أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فائذن لى أقبل يديك ورجليك فاذن له اه ❊ ثم اكد رضى الله عنه اعتدالها فى مشيها القويم وسلوكها السنن المستقيم بقوله

❊ كأنما سطرت سطرا لما كتبت ❊ فروعها من بديع الخط فى اللقم ❊

أى كان الشجرة سطرت بمشيها اليه صلى الله عليه وسلم أو بسجودها فى الارض سطرا لما كتبت فروعها فاعل كتبت من بديع الخط باللقم بفتح اللام والقاف وهو وسط الطريق أى كأنما سطرت فروع تلك الاشجار حين جاءته سطرا من بديع الخط أى المبتدع اما لحسنه تتميما للاستعارة واما لانه خط لا يعهد مثله من مثلها وقوله فى اللقم تتميم أى لم تنحرف بما كتبته عن وسط الطريق وحاصله انه شبه تلك الآثار بكتابة كاتب أوقعها على نسبة معلومة فى أسطر منظومة وأشار بما ذكره الى حديث ابن عمر السابق وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالى ياشجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع فاذا كانت الأشجار تبادر لامتثال أمره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة فما أشد غفلة العاقل لعدم ملازمته السجود لربه ولو فى ليلة من الليالى وتأمل قول الاعرابى ائذن لى أن أسجد لك لما رآه من سجود الشجرة فرأى انه أحرى بذلك حتى أعلمه صلى الله عليه وسلم ان السجود لا يكون الا لله تعالى ومكان السجود من الدين عظيم اذ هو غاية الخضوع لانه تعفير أشرف الاعضاء من الانسان وهو وجهه فى أذل الاشياء وأحقرها ولشرف منزلته قال النبى صلى الله عليه وسلم للذى سأله ان يكون رفيقه فى الجنة أعنى على نفسك بكثرة السجود فينبغى للخائف من ربه ان يبادر لامتثال ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلازم السجود ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة على ذلك اه قسطلانى قال فى الشفاء وفى الصحيح من حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها وقال انقادى على باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده وذكر أنه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف أى الوسط بينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا ومن ذلك حديث أنس ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى



الله عليه وسلم ورآه حزينا اتحب ان أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها اه والمخشوش بميم مفتوحة وخاء ساكنة وشينين معجمتين هو الذى وضع فى أنفه برة أى حلقة من حديد أوغيره فيها حبل أو يربط بانفه عود فان جعل فى انفه حبل من شعر فذلك الخزام وفى ابن العماد سطرت يروى بتشديد الطاء وتخفيفها وأصل كتب جمع وسميت الكتابة كتابة لما فيها من جمع الحروف والبديع بمعنى مبدع بفتح الدال واللقم وسط الطريق المعنى شبه فروعها عند مشيها فى الارض بالاقلام وشبه أثر مشيها على الارض بالحروف المكتوبة وشبهت الشجرة بالكاتب وشبه الارض وهى اللقم باللوح فقال كأن الاشجار فى مشيها قد سطرت سطرا على الارض وكتبت كتابة بديعة حسنة على اللقم اه * ثم قال رضى الله عنه

* مثل الغمامة أنى سار سائرة * تقيه حر وطيس للهجير حمى *

أى وهذه الآية مثل آية الغمامة فى التسخير أنى سار سائرة تقيه صلى الله عليه وسلم بتظليلها اياه حر وطيس للهجير حمى بسكون الياء وأصلها الفتح يعنى ان الاشجار فى سلوكها قصده صلى الله عليه وسلم واتيانها اياه حيث كان أمرها بذلك مثل الغمامة فى سيرها أنى سار مظلة واقية له من حر الهجير وهو نصف النهار الذى يشبه فى حرارته حر الوطيس وهو التنور ويحتمل أن يكون حمى فى موضع الحال من الهجير أى وقد حمى ويحتمل أن يكون حمى اسم فاعل اه قسطلانى وفى الشفاء ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن أخيه من الرضاعة اه وفى أبى السعود المثل من هو على أخص الاوصاف والغمامة سحاب يعم الافق وأنى بمعنى كيف قال تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وقد تجىء بمعنى متى استفهاما كقولك أنى القتال والسير الحركة الشديدة الكثيرة والوطيس التنور ومنه قولهم كانون ذو وطيس والهجير السير فى الهاجرة وحمى لازم بمعنى سخن يتعدى بالباء وبعلى وبالهمزة ومثل خبر لمبتدا محذوف أى المذكور من المعجزات أومجىء الاشجار مماثل ومضاه لتظليل الغمام وأنى سار متعلق بسائرة وسائرة قرئ مرفوعا والجملة فى محل النصب على الحال وتقيه استئناف اوحال وبالهجير متعلق بحمى والجملة صفة وطيس والباء بمعنى فى والاحسن أن تجعل تجريدية وينزل الهجير بمنزلة مايحمى به الوطيس من الحطب والفحم وقرئ للهجير واللام للاختصاص أو أجلية والمعنى

ان تسخير الله سبحانه وتعالى الاشجار له صلى الله عليه وسلم كتسخير الغمام له بظله ويسير معه الغمام كالاكليل فوق رأسه ليحفظ بدنه المطهر وجسمه المنور من حر سموم الهجير بأمر من هو على كل شئ قدير فانه كما حفظ باطنه من الشين والرين كذلك حفظ ظاهره من أذى الملوين وكما سخر له العالم السفلى من المياه والاشجار والاحجار فكذلك سخر له العالم العلوى من الشمس والقمر والغمام والامطار فهو النبى المطاع وهو الرسول الواجب الاتباع روى محمد بن اسحق بن يسار ان أبا طالب خرج فى ركب الى الشام تاجرا فلما تهيأ للرحيل وأجمع للسير ذهب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بزمام ناقته وقال له ياعم الى من تكلنى لا أب لى ولا أم فرق له أبو طالب فقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا فخرج وهو برفقه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وفيها راهب يقال له بحيرى فى صومعة وكان اعلم أهل النصرانية وكان كثيرا ما يمرون به فلا يكلمهم ولا يلتفت اليهم ولما نزلوا ذلك العام قريبا من صومعته صنع لهم طعاما وذلك بسبب ما رآه وهو أنه رأى غمامة بيضاء تظل النبى صلى الله عليه وسلم فلما نزلوا قريبا من صومعته نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم قد نزل قريبا من شجرة فنظر الغمامة قد أظلته تحتها فلما رأى ذلك نزل من صومعته وأرسل اليهم انى قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وانى أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم حركم وعبدكم فقال رجل منهم يابحيرى ان لك اليوم لشأنا عظيما ما كنت تصنع هذا فيما مضى وكنا نمر عليك كثيرا فما بالك اليوم فقال له صدقت قد كان ماتقول ولكنكم ضيوف قد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فاجتمعوا له وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم فلما رأى بحيرى القوم ولم ير ما عهد فيما بينهم قال لا يتخلف أحد منكم عن طعامى هذا فقالوا ما تخلف منا أحد ينبغى أن يأتيك الا غلام هو أحدث القوم سنا تخلف فى رحالنا قال فلا تفعلوا ادعوه حتى يحضر هذا الطعام فقال رجل من قريش والله ان هذا اللؤم منا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا قال ثم قام اليه فاحتضنه ثم أقبل به فأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده كان قد يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قال له بحيرى ياغلام انى أسألك باللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال له صلى الله عليه وسلم لا تسألنى باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيأ مثلهما قط فقال بالله الا ما أخبرتنى عما أسألك فقال صلى الله عليه وسلم سل عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه ويقظته فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ماعلمه فى الانجيل من أحواله ثم نظر فى كتفه فرأى خاتم النبوة فأقبل



على عمه أبي طالب فقال له ماهذا الغلام منك فقال له ابني فقال له بحيرى ماهو ابنك ولا ينبغي لهذا الغلام أن يكون له أب حي قال فانه ابن أخي قال فما فعل أبوه فقال مات وأمه حبلى به فقال صدقت ارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله ان رأوه وعرفوا منه ذلك ماتدري الذي يفعلونه به من الشر فانه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به الى بلده فخرج به مسرعا حتى اقدمه مكة وكان سنه صلى الله عليه وسلم اذذاك اثنتى عشرة سنة كما تقدم أول الكتاب وفي الشفاء زيادة على ماتقدم ونصه ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره اذخرج تاجرا مع عمه أبي طالب وكان الراهب لايخرج الى أحد فخرج وجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ماعلمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه صلوات الله وسلامه عليه اه وقد تقدم هذا كله في أول الكتاب عند بلوغه صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة وذكر أبو طالب ذلك في قصيدته الدالية فقال

ان ابن آمنة النبي محمدا ❀ عندي بمثل منازل الاولاد
لما تعلق بالزمام رحمته ❀ والعيس قد اقلصن بالاولاد
فأفاض من عيني دمعا ذارفا ❀ مثل الجمان مفرد الافراد
راعيت منه قرابة موصولة ❀ وحفظت فيه وصية الاجداد
وأمرته بالسير بين عمومة ❀ بيض الوجوه نصالة الانجاد
حتى اذا ما القوم بصرى عاينوا ❀ لاقوا على شرف من الرصاد
حبرا فاخبرهم حديثا صادقا ❀ عنه ورد معاشر الحساد
قوما يهودا قد رأوا ماقد رأوا ❀ ظل الغمام وغرة الاكباد
ساروا لقتل محمد فنهاهموا ❀ عنه وأجهد غاية الاجهاد

❀ وكما سخرت له صلى الله عليه وسلم الجمادات الارضية السفلية فكذلك الجمادات السماوية العلوية فانشق له القمر كما أشار اليه الناظم مخبرا عن نفسه انه أنشأ الحلف بقوله

❀ أقسمت بالقمر المنشق ان له ❀ من قلبه نسبة مبرورة القسم ❀

فقوله أقسمت بالقمر المنشق أي له صلى الله عليه وسلم آية اسم مفعول من شققته فانشق اذا قسمته وأشار بهذا الى مارويناه عن أنس وابن عباس رضي الله عنهم ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين وعن



ابن مسعود رضي الله عنهما قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انشق القمر فرقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي بعض الروايات فقال كفار مكة هذا سحر فابعثوا الى أهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا مثل هذا أم لا فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر وفي رواية قالوا ان كان محمد سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوهم فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك فقالوا هذا سحر مستمر فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر الآية وسمي القمر قمرا لبياضه أو لاستنارته أو لانه يقمر العيون أي يغلبها بنوره ويسمى بذلك بعد ثلاث ليال الى آخر الشهر * (فائدة) * ذكر التاج الفراء في كتاب التفاسير في تفسير سورة الرحمن ان سعة القمر ألف فرسخ وزعم أهل الهيئة أنه ليس في سماء الدنيا من الكواكب السيارة سوى القمر فالله أعلم وهذا القسم الذي أقسم به الناظم رحمه الله اما أن يكون قسما بالقمر على عادة الادباء واما ان يكون على تقدير مضاف أي برب القمر ويحتمل ان يكون جواب القسم قوله بعد ماسامني الدهر الى آخر البيتين ومابينهما جمل اعتراضية ويحتمل ان يكون الجواب قوله ان له أي للقمر من قلبه الشريف نسبة بالنصب اسم ان مبرورة أي مصدوقة القسم ومنه اليمين بارة أي صادقة ونسبة القمر من قلبه صلى الله عليه وسلم أن قلبه الشريف انما شق وغسل لتمكن فيه معارف النبوة ثم ظهر ذلك للناس بعد فكذلك القمر انما شق لتظهر النبوة وتتقرر للكافرين وأيضا فان القمر نوره يتلألأ وقلبه صلى الله عليه وسلم أنور منه ولذلك جعل الناظم النسبة للقمر من قلبه ولم يجعل النسبة لقلبه من القمر وأيضا فان القمر انشق مرتين وكذلك قلبه صلى الله عليه وسلم انشق مرتين مرة في زمن الصبا وكان ذلك لاستخراج حظ الشيطان منه وهي العلقة السوداء ومرة عند الاسراء به للوحي وانما أنشأ الحلف بلفظ الماضي لا المضارع اشارة الى تحقيق وقوع هذا الامر وان اعتقاده مطوي عليه منذ عقل وقدم من قلبه على نسبة للاهتمام به واختلف المعربون في مبرورة فقيل نعت لنسبة أي ان أقسم على كينونة هذه النسبة وثبوتها بيمين فيمينها مبرورة وقيل خبر مبتدا محذوف أي يمين مبرورة القسم وحذف الموصوف للعلم به لان صفته مختصة به وأشار الناظم رحمه الله بما ذكره الى مارواه ابن اسحق عن ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم ان نفرا من الصحابة قالوا يارسول الله أخبرنا عن نفسك قال نعم انا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي انها خرج منها نور أضاء له قصور الشأم واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا



رعي غنما اذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطشت من ذهب مملوء ثلجا فاخذاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ويحتمل أن يكون أشار به الى شق قلبه ليلة الاسراء صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اه قسطلاني ❁ وفي الشفاء عن أسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس شرقها قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر وروى يونس بن بكير بروايته عن ابن اسحق لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء قال فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا عليه الصلاة والسلام فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات اه ❁ وكما سخرت له الجمادات العلوية والسفلية فكذلك سخر له العنكبوت والحمام وكأنهما من الاشياء التي بين السماء والارض لان الطير من الحمام وغيره مسخر في جو السماء ويلحق به العنكبوت لانه يسكن غالبا في السقف وما اشبهها والى هذه الآية أشار الناظم بقوله

❁ (وما حوى الغار من خير ومن كرم ❁ وكل طرف من الكفار عنه عمي) ❁

اي وما جمع الغار الذي هو كالنقب بجبل ثور أسفل مكة أي أقسمت أيضا بما جمعه الغار الذي اختفى فيه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه حين هاجرا الى المدينة من خير بكسر الخاء الكرم كما قاله الجوهري وقيل كرم النفس وعلى كل تقدير ففيه تكرار مع قوله ومن كرم الا أن يفسر بالاخلاق الحميدة والكرم بالجود فبينهما تغاير ان على التفسير الثاني تغاير الاعم والاخص وقيل بفتح الخاء فيكون معناه ضد الشر ويحتمل أن يكون من خير ومن كرم من صفاته صلى الله عليه وسلم وصفات أبي بكر وتكون ما واقعة على صفات من يعقل وهو أحد مواضعها نحو قوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء أي الطيب ويحتمل أن يكون الاول للنبي صلى الله عليه وسلم لان الخير الذي هو كرم النفس يعم جميع الصفات الحميدة وكذلك الخير الذي هو ضد الشر والثاني لابي بكر رضي الله عنه لانه خصصه بالكرم وهو أظهر في الجود وانما وصفه بالكرم لانه آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله ومن ذلك انهما لما أتيا الغار تقدم أبو بكر في الدخول مخافة أن يكون فيه ما يؤذي النبي صلى الله عليه

وسلم فستلقاه بنفسه فلم يرشيا فحمله وأدخله الغار وكان فيه خرق فيه حيات وأفاعي
فخشي أبو بكر أن يخرج منه شيء يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فالقمه قدمه فجعلت
الحيات والافاعي تضربنه ويلسعنه فجعلت دموعه تنحدر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول له يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة
أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت فداك أبي وأمي فتفل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه أي عاوده وكان سبب موته ومعنى قوله تعالى ان
الله معنا أي بالنصر والمعونة لقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقد زعمت الرافضة ان في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي بكر لا تحزن غضا من أبي بكر
وذماله فان حزنه ذلك ان كان طاعة فالرسول لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية
قال السهيلي يقال لهم على نية الجدل قد قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك
قولهم وقال تعالى لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقال لموسى خذها ولا تخف
وقالت الملائكة للوط لا تخف ولا تحزن فان زعمتم ان الانبياء حين قيل لهم هذا كانوا
في حال معصية فقد كفرتم ونقضتم أصلكم في وجوب العصمة للانبياء وللامام
المعصوم في زعمكم فان الانبياء هم الائمة المعصومون باجماع وأما قوله لا تحزن وقوله عز
وجل لمحمد لا يحزنك وقوله لانبيائه مثل ذلك فهو تسكين لجاشهم وتبشير لهم وتأنيس
لا على وجه النهي الذي زعموا ولكن كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا
ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وهذا القول انما يقال لهم عند دخولهم الجنة وليس اذ ذاك
أمر بطاعة ولا نهي عن معصية ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم في قصة الغار
ما ذكره بقوله وكل طرف من الكفار عنه أي عن المحوي عمي فلم يبصر ما فيه مع قربهم
منه اه قسطلاني وفي الحلى قال الصديق رضي الله عنه نظرت الى أقدامهم فوق
رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما رواه البخاري اه وفي الشفاء ومن ذلك
العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما أخافته قريش وأجمعت على قتله وبيتوه
فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذر التراب
على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم له في الغار وما هيأ الله تعالى له من
الآيات والعنكبوت التي نسجت عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل
الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى انه قبل أن يولد محمد ووقعت
حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام ا

وفى كتاب مشارق الانوار نقلا عن الامام ابن حجر فى كتابه الصواعق انه قيل ان الحمام الذى فى الحرم وهو الذى أكرمه الله بحرمة التعرض لهمن ذرية الحمامتين اللتين عششتا فى باب الغار اه * ثم قال رضى الله عنه

*(فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم)*

أى فذو الصدق صلى الله عليه وسلم فحذف المضاف فى الغار المذكور وأبو بكر الصديق رضى الله عنه معه فيه لم يرما أى لم يبرحا منه لئلا يقال انعما عمى عما فى الغار كل طرف من الكفار بعد خروجهما منه بل ذلك كان وهما فيه لم يبرحا منه بعد وهم يقولون وحال الكفار حين نظرهم اليه وهما فيه قولهم ما بالغار من أرم بفتح الهمزة وكسر الراء أى من أحد اه قسطلانى وفى أبى السعود الفاء فى فالصدق للتعليل والصدق مبتدأ وفى الغار خبره والصديق مبتدأ ثان وخبره محذوف لدلالة خبر المبتدا الأول عليه أى الصديق كذلك ولم يرما فى موضع الحال ويجوز أن يكون خبرا ثانيا والواو فى وهم يقولون للحال وهم مبتدأ ويقولون خبره والجملة الاسمية فى موضع النصب على الحال وما بمعنى ليس وأرم اسمها ومن زائدة لتوكيد النفى وبالغار خبره والباء بمعنى فى والجملة مقول القول والمعنى ان النبى الصادق الامين الذى أرسل رحمة للعالمين وكان متصفا بالصدق فى المقال والافعال والاحوال حتى صار معدنا للصدق ومنبعا له يتفرع عليه صدق كل صادق وينبع منه الحق فى كل ناطق وصاحبه العتيق المتحلى منه بالصدق والتصديق حلا فى الغار ولم يبرحا عن حلة الحلم والوقار عما حكم عليهما قضاء الجبار الملك القهار وجرى به قدر العزيز الغفار من استيلاء الكفار والاضطرار الى الفرار من كثرة الاعداء وقلة الانصار ولم يلحقهما الغضب والهلع والخوف والفزع عند اقبال الكفار من جميع الجوانب والاقطار محدقين بباب الغار وقد أعمى الله عنهما الابصار مع تألق الاضواء وتشعشع الانوار فقال رائدهم ما بالدار من أحد وذلك من وقاية الاحد الصمد اه * ثم قال رضى الله عنه

*(ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم)*

ظنوا من الظن والذكر النفسى الذى يحتمل متعلقه النقيض احتمالا مرجوحا ومعنى كلام الناظم ان الكفار ظنوا بما أعمى الله بصائرهم الحمام وظنوا أيضا العنكبوت الناسجة على خير البرية نبينا صلى الله عليه وسلم لم تنسج بفتح التاء وضم السين ويجوز كسرها ولم تحم عليه لما جرت العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهما أحسا بالانسان فرا منه وهذا تسميه أهل البديع لفا ونشرا غير مرتب لرجوع

تنسج الى العنكبوت وتحم الى الحمام وأشار بهذا الى ماروي عن عائشة رضى الله عنها في حديث قصة الغار قالت ولما كان ليلة بات النبي صلى الله عليه وسلم في الغار أمر الله تعالى شجرة فنبتت في وجه الغار وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا على باب الغار وأتى المشركون من كل بطن حتى اذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر أربعين ذراعا معهم قسيهم وعصيهم تقدم رجل منهم فنظر فرأى حمامتين على فم الغار فقال لاصحابه ليس في الغار شئ رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت ان ليس فيه أحد وقال رجل ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما أربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم اهـ قسطلاني * ثم قال رضى الله عنه

﴿ووقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم﴾

أي حفظ الله عبده بما شاء مما ألقى من الظن في قلوب الكفار وما عمى من أبصارهم أغنت كلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضى الله عنه في التحصين عن مضاعفة من الدروع الحديد وأغنتهما أيضا عن عال أي مرتفع من الاطم بضم الهمزة والطاء أي الحصون وفسر بعضهم المضاعفة من الدروع بان يلبس درعا فوق آخر والصواب ان المضاعفة هي الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين وأجاز بعضهم أن يكون وقاية خبر مبتدا محذوف تقديره هذا الامر كما قدرناه والراجح ان يكون مبتدأ خبره أغنت ومن الدروع صفة لمضاعفة ومن الاطم نعت لعال اهـ قسطلاني وفي ابن العماد حماية الله وصيانته اغنت نبيه صلى الله عليه وسلم عن حماية الدروع وحماية الحصون وأشار المصنف الى ان الحماية وقعت باضعف الاشياء وهو بيض الحمام ونسج العنكبوت وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت فسبحان الغالب على أمره اهـ وفي المحلى وقاية الله له صلى الله عليه وسلم بهذا الضعيف جدا من عدوه العظيم عددا ومددا اغنت عن مضاعفة من الدروع أي عن الدروع المضاعفة وهي المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ وعن عال من الاطم بضم الهمزة والطاء أي الحصون يتحصن فيهما من هذا العدو والذي أخرج النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا اهـ * ثم قال رضى الله عنه

﴿ماسامني الدهر ضيما واستجرت به * الا ونلت جوارا منه لم يضم﴾

قد تقدم احتمال كون جواب القسم وهو ماحلف عليه في قوله أقسمت هو قوله ماسامني الخ أي ما أرادني الدهر ضيما أي ظلما أو ذلا وفي بعض النسخ ماضامني الدهر ضيما واستجرت النبي صلى الله عليه وسلم أي طلبته أن يجيرني الا والحال أني

قد نلت جوارا بكسر الجيم في الافصح ويجوز ضمها أي قربا منه صلى الله عليه وسلم لم يضم الجوار المذكور فقط اهـ قسطلاني وفي كتابنا مشارق الانوار نقلا عن المواهب اللدنية مانصه وينبغي للزائر له صلى الله عليه وسلم ان يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به ان يشفعه الله واعلم ان الاستغاثة طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث فلا فرق أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل او التشفع أو التوجه أو التجوه لانهما من الجاه والوجاهة ومعناهما علو القدر والمنزلة ثم ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا صلى الله عليه وسلم وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة فاما الحالة الاولى فحسبك استشفاع آدم به عليه الصلاة والسلام لما اخرج من الجنة وقول الله تعالى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في أهل السموات والارض لشفعناك وفي رواية عند الحاكم والبيهقي واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ويرحم الله الامام ابن جابر حيث قال

به آدم قد ما أجيب دعاؤه ❁ به نال انجاء السفينة نوح

وما ضرت النار الخليل لنوره ❁ ومن أجله نال الفداء ذبيح

واما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عند القحط وعند عدم الامطار والاستغاثة به عند الجوع واغاثة ذوي العاهات قال ومما حصل لي انه كان بي داء أعيا الاطباء وأقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفا فبينما أنا نائم اذا رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء داء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف النبوي فاستيقظت فلم أجد بي والله شيأ مما كنت أجده وحصل الشفاء ببركة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وأما التوسل به في البرزخ وعرصات القيامة فمما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار فعليك أيها الطالب ادراك السعادة والمؤمل لنيل الحسنى وزيادة بالتعلق باذيال عطفه وكرمه والتطفل على موائد نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع لفك الكرب عن سائر الانام ولازم قرع أبواب السعادة وارق في مدارج حبه بكثرة الصلاة عليه تظفر بالحسنى وزيادة ومما قيل عن لسان الحضرة النبوية للزوار

تمتع ان ظفرت بنيل قربي ❁ وحصل ما استطعت من ادخاري

فها أنا قد أبحت لكم عطائي ❁ وها قد صرت عندي في جواري



فخذ ماشئت من كرم وجود * ونل ماشئت من نعم غزار
فقد وسعت أبواب التدانى * وقد قربت للزوار دارى
فتمتع ناظريك فها جمالى * تجلى للقلوب بلا استتار اه

* ثم قال رضى الله تعالى عنه

*(ولا التمست غنى الدارين من يده * الا استلمت الندى من خير مستلم)*

أى ولا التمست أيضا غنى الدارين الدنيا والآخرة من يده صلى الله عليه وسلم الا استلمت من قولهم استلمت الحجر أى لمسته اما باليد أو بالفم وقد يتجوز به فيقال استلمت معروفه أى تناولته باليد منه أى لمست وتناولت الندى وهو الجود والكرم من خير مستلم أى مطلوب منه وفى قوله ماسامنى الى آخر البيتين براعة المطلب وهو أن يلوح بالطلب بألفاظ عذبة خالية عن الاجحاف مقترنة بتعظيم الممدوح تشعر عما فى النفس دون كشفه وقيود هذا الحد كلها موجودة فيهما وكأنه أشار الى ماقصده من التوسل بهذه القصيدة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى أن يشفع فيه لربنا سبحانه وتعالى حتى يشفى من مرضه المزمن الذى أعيا الاطباء وبراعة المطلب استخرجها عز الدين الزنجانى فى كتاب المعيار وفى قوله ماسامنى الدهر ضيما اشكال فان ماينسب للدهر انما فاعله هو الله تعالى فكيف يصح نسبة الظلم اليه سبحانه وتعالى وماربك بظلام للعبيد والظلم وضع الشئ فى غير محله فلابد من تأويل كلام الناظم فاما أن يكون على حذف مضاف أى ماسامنى أهل الدهر الذين يصح منهم الظلم أو انه جرى فيه على عادة أهل الادب ومهيع كلام العرب على نحو ماتقدم فان قيل اخباره عن نيل ما التمس من النبى صلى الله عليه وسلم من غنى الدنيا بين مشاهد بالحس فكيف تصحيح اخباره عن نيل غنى الآخرة فالجواب انه أيضا مشاهد بقوة يقين الايمان بمنزلته صلى الله عليه وسلم عند ربه وأطلق اليد فى قوله غنى الدارين من يده وأراد بها جملة الذات الكريمة لان باليد يكون تناول ما اعظم اه قسطلانى وفى المحلى ولا التمست أى طلبت غنى الدارين الدنيا والآخرة بالكفاية فى الاولى والسلامة فى الاخرى من يده أى نعمته واحسانه الا استلمت الندى أى أخذت العطاء من خير مستلم منه أى حصل لى مطلوبى منه فانه صلى الله عليه وسلم لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة وفى الصحيحين عن جابر ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا اه * ثم شرع يذكر بدء الوحى فقال

*(لا تنكر الوحى من رؤياه ان له * قلبا اذا نامت العينان لم ينم)*



قوله لم ينم أي القلب لانه قد شق وطهر من التعلق بغير الله وملئ حكمة وايمانا فاليقظة الدائمة صفته فحسن منه أن يخاطب ويتلقى الوحي لا كالقلوب التي تنام حتى تنام أعينها ولا في قوله لاتنكر ناهية وتنكر مجزوم بها واسر لالتقاء الساكنين ويحتمل أن تكون من لا بتداء الغاية أي لاتنكر ابتداء الوحي من رؤياه فان قلت انه صلى الله عليه وسلم نام هو وأصحابه في الوادي فلم يوقظهم الاحر الشمس فالجواب ان دخول أوقات الصلاة يتعلق بالنظر دون القلب لان مشاهدة طلوع الشمس وغيرها انما هو بالعين والعين قد كانت أخذت حظها من النوم ونظر القلب انما هو فيما غاب عن الشواهد اه قسطلاني وفي المحلي لاتنكر الوحي من رؤياه له في المنام ان له قلبا اذا نامت العينان منه لم ينم أي قلبه وهو مهبط الوحي وفي الصحيحين ان عيني تنامان ولا ينام قلبي اه وقال ابن العماد الوحي الاعلام بالاشارة والكتابة والرسالة وكل ما ألقيته الى غيرك حتى يعلمه فهو وحي والرؤيا مصدر يقال رأى في منامه رؤيا ورأى بعينه رؤية ورأى بقلبه وعقله رأيا والمعنى يقول لاتنكر أيها المخاطب الوحي الناشئ من منامه وروى لاينكر بضم الياء المثناة من تحت على البناء للمجهول فان الذي يراه الانبياء في النوم كله حق ألا ترى الى قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام اني أرى في المنام أني أذبحك وكان صلى الله عليه وسلم في صغره لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح وقال صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفي رواية من خمس وأربعين وفي أخرى من سبعين جزأ قال ابن الاثير في حواشي مختصر جامع الاصول وسر هذا الحديث انه عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة على الصحيح ومدة نبوته ثلاث وعشرون سنة ومكث صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ستة أشهر يوحى اليه في المنام كما في صحيح البخاري أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في المنام فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء الحديث ونسبة الستة الاشهر الى الثلاث والعشرين سنة جزء من ستة وأربعين وأما من روى السبعين قال ابن الاثير فلا أعلم له وجها قال شيخنا شمس الدين بن الصائغ يمكن تأويله على انه عليه الصلاة والسلام لم يقصد بالسبعين خصوصية العدد بل التكثير على حد ان تستغفر لهم سبعين مرة وقوله ان له قلبا تعليل للنهي عن انكار الوحي الحاصل في المنام لانه اذا كان قلبه لاينام انتفى عنه حديث النوم فصار كالمستيقظ اه ببعض تغيير * ولما كان كلامه قد يتوهم سامعه ان الوحي اليه صلى الله عليه وسلم دائما انما كان في النوم رفع ذلك الايهام بقوله

* وذاك حين بلوغ من نبوته * فليس ينكر منه حال محتلم *



أي وذلك الوحي الثابت من رؤياه حال النوم كان أو نبئت حين بلوغ أي وصول من نبوته اليه صلى الله عليه وسلم فليس ينكر منه صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ فيه بدل منه أي ليس ينكر في الزمان المذكور رؤياه الوحي حال محتلم فان ذلك انما كان في ابتداء النبوة ليتأنس بها وعلاقة الملك فانه لو جاءه ابتداء لامكن أن لا يطيق ملاقاته فلما تقوى حاله وتأنس أتاه الوحي في اليقظة فضمير ينكر النائب عن الفاعل عائد على الوحي وضمير منه عائد عليه صلى الله عليه وسلم وحال منصوب على الظرف ومحتلم على حذف مضاف أي حال احتلام محتلم وقيل في تفسيره غير هذا مما يطول ذكره اه قسطلاني قال المحلي وذلك أي رؤياه الوحي في النوم حين بلوغ من نبوته أي وصوله اليها وقد نبئ على رأس أربعين سنة من عمره وهي حد مبدا النبوة فليس ينكر فيه أي في الزمان المذكور حال محتلم من رؤياه الوحي في النوم اه وفي ابن العماد ان ذلك الوحي الحاصل من الرؤيا كان عند بلوغه صلى الله عليه وسلم أول وقت نبوته لانه صلى الله عليه وسلم أقام ستة أشهر يرى الوحي في المنام وبعد ذلك صار الملك يأتيه في اليقظة واختلفوا هل كان الملك يتحلى بصفة البشرية حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم أو النبي صلى الله عليه وسلم يتحلى بصفة الملائكة اه وفي كتابنا مشارق الانوار نقلا عن المواهب مانصه نقلا عن العز بن عبد السلام فان قلت اذا لقي جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي فأين تكون روح جبريل فان كانت في الجسد الذي له ستمائة جناح فالذي أتى حينئذ لا روح جبريل ولا جسده وان كانت في هذا الذي في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم أو يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه جسد دحية قال الامام العيني في شرحه على البخاري انه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجبا لموته فيبقى الجسد الاول حيا لا ينقص من معارفه شئ ويكون انتقال روحه للجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء الى أجواف طير خضر وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا بل بعادة أجراها الله تعالى في بني آدم فلا تلزم في غيره اه وقال سيدي محمد الزرقاني في شارح المواهب عن السراج البلقيني يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الاول الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب وقال في فتح الباري على البخاري الحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط اه قال سيدي محمد الزرقاني والذي أختاره ما أجاب به الامام القزويني بقوله يجوز أن الله خصه بقوة ملكية بحيث تكون روحه في جسده الاصلي مدبرة له ويتصل

أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الاثر قال وقد قيل انما سمى الابدال ابدالا لانهم قد يدخلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه قال وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح وسموه عالم المثال اهـ أقول واذا امعنت النظر وجدت ما اختاره الشارح موافقا لما أجاب به العينى حيث قال ويكون انتقال روحه للجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء الخ لانه لا خفاء فى حياة الشهداء جسما وروحا لا روحا فقط فكونها فى جوف طير خضر لا ينافى اتصالها بالجسد الاصلى ويوافق هذا ما درجنا عليه أولا عن العارف ابن ابى جمرة نفعنا الله به هذا تحقيق المقام اهـ ❊ ثم ذكر الاستدلال على صحة الوحى فى النوم وعلى صدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عن الغيب فقال

❊ تبارك الله ما وحى بمكتسب ❊ ولا نبى على غيب بمتهم ❊

أى تعالى الله وتعاظم ما وحى وان قل أو ما حقيقة وحى بمكتسب لأحد بسعيه فيه بل هو باختصاص الله به من يشاء من عباده فلا ينكر كونه فى نوم كما لا ينكر كونه فى يقظة فان فعل الفاعل المختار لا يتخصص بحالة دون أخرى على سبيل الوجوب وتعاظم الله تعالى عن اتهام الانبياء بالكذب فيما أخبروا به من الغيب عن الله تعالى بل الحق اليقين انه لا نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام على اخبار غيب بمتهم على ذلك الاخبار بكذب فيه لعصمته قال الله تعالى وما هو على الغيب بظنين أى بمتهم والذى عليه اهل الحق ان النبوة كرامة من الله تعالى لمن يشاء من عباده ونعمة منه على من يشاء أهم يقسمون رحمة ربك الله أعلم حيث يجعل رسالاته فلا تنال بمجاهدة واكتساب خلافا للزاعمى ذلك وهو كفر صراح مبنى على أصل الفلاسفة من ان العلة توجب معلولها ان وجد الشرط وزال المانع وفيه ابطال قاعدة الفاعل المختار وأجمعت الامة على عصمة الانبياء صلوات وسلامه عليهم أجمعين بعد الرسالة من تعمد الكذب فى الاحكام والتبليغ عن الله تعالى لان ما ظهر على أيديهم من المعجزة دل على صدقهم فلا يجوز عليهم الكذب والا ناقض مدلول المعجزة وأجمعوا أيضا على عصمتهم من الكبائر والصغائر الخسيسة واختلف فى عصمتهم من الصغائر والذى عليه المحققون عصمتهم منها أيضا لانا مأمورون باتباعهم فى كل ما يصدر عنهم من قول أو فعل وحاصل ما ذكر انهم معصومون من الصغائر والكبائر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فان قيل قوله تعالى عفا الله عنك وليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ووضعنا عنك وزرك يدل على تقدم الذنب فالجواب ان الذنب فيها محمول على ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى ومقابله مشتركان فى اباحة الفعل والعتاب منه تعالى للحث والتحضيض على فعل

الاولى وأماواقعة آدم عليه الصلاة والسلام فيجوز أن تكون قبل نبوته ويدل عليه أمران أحدهما لو كان حال الواقعة نبيا لكان له أمة لكن الاتفاق حاصل على انه حينئذ لم يكن له أمة ثانيهما قوله تعالى ثم اجتباه الآية يدل على ان الاختيار وهو الباس خلعة النبوة كان متأخرا عن الواقعة لان كلمة ثم للتراخي واذا كان ذلك قبل نبوته فلا محذور وأما قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا ربي فقد ذكره على سبيل الفرض ليبطله كالواحد منا اذا أراد أن يبطل أمرا فيفرضه ثم يلزمه محالا فكأنه قال لو كان ربا لما كان آفلا أي متغيرا لكنه آفل والآفل لا يكون الها بدل على ذلك قوله لا أحب الآفلين وأما نظره في النجوم فكان للاستدلال على حكمة الصانع وذلك من أعظم الطاعات ولهذا مدح الله المتفكرين في خلق السموات والارض وأما اخفاء يوسف عليه الصلاة والسلام حريته عند بيعه فيجوز أن يكون قبل نبوته وانه استشعر من اخوته بقتله لو أظهر ذلك فصبر على الرق وكتم الحرية وذلك جائز قبل النبوة وأما ما صدر من اخوته فاختلف في نبوتهم ولو سلم فلا نسلم انهم أنبياء حين فعلوا ذلك وأما هم يوسف بزليخا فجبلي لا اختياري لان الرغبة في النساء مركوزة في جبلة الرجال وتلك محمودة اذ عدمها في الرجال يدل على العنة وهي نقيصة ولم يكن ذلك اختياريا حتى يكون مذموما فان الطبيعة بجبلتها اقتضت ذلك الهم فمنعها يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك هو البرهان في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه وأما قصة داود عليه الصلاة والسلام وهي ان داود طمع في زوجة أخيه ليتزوجها لما علم بحسنها فأرسل الله تعالى اليه ملكين في صورة رجلين اختصما اليه الخصومة التي ذكرها الله تعالى في سورة ص فلم تثبت صحتها لان داود طمع في نكاح زوجة أخيه لما سمع قتل أخيه فلهذا القدر عوتب عليه لانه دليل على ان لم يغتم لقتل أخيه وما هو مذكور في السورة يحتمل ان يكون المراد منه غير هذه القصة حتى قال بعض المفسرين ان جماعة تسوروا قصره ليقتلوه فلما رآهم داود خاف لما تقرر في العرف انه لا يتسور دور الملوك من غير اذنهم الا ذو ريبة وهو المراد من قوله ففزع منهم فلما رأوه مستيقظا خافوا من فعلهم واخترعوا خصومة لا أصل لها زاعما منهم انهم انما قصدوه لاجلها دون ما توهمه وهو المراد من قوله لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ثم ادعى واحد منهم على الآخر كما أخبر الله تعالى فقال داود في جوابهم لقد ظلمك بسؤال نعجتك وحمل هذه الآية على هذه القصة أولى لان الملائكة ما ظلم بعضهم على بعض فيكون كذبا وحمله النعجة على النساء مجاز والاصل عدمه وعدم صدور الكذب عن الملائكة وأما هنا فلم يلزم الا ارتكاب الكذب عن تلك اللصوص وهو جائز فان قيل قوله تعالى وظن داود

أنما فتناه فاستغفر ربه مناف لما ذكرتم فان ذلك لا يقتضي الاستغفار فالجواب ان المراد اختبرناه في أنه مع كمال سلطنته هل ينتقم منهم أو يعفو عنهم والاستغفار انما كان لهم لا لنفسه وذلك غاية الحلم والكرم فلا يكون منافيا لما ذكر فان قيل قوله تعالى فغفرنا له ذلك ينافي ما ذكر اذ لو كان الاستغفار لهم لوجب ان يقول فغفرنا لهم فالجواب يحتمل أن يكون المراد من له أي لحرمته أو لشفاعته فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه اهـ قسطلاني وقوله أي الامام القسطلاني فالجواب ان الذنب فيهما محمول على ترك الاولى الخ أي الاليق بمقامه في ذلك الوقت لانه عليه الصلاة والسلام على الدوام يترقى في الكمال فما من لحظة الا والثانية أكمل منها فيرى ان الاولى ذنب بالنسبة اليها فيستغفر عليه الصلاة والسلام عند انتقاله للمرتبة الثانية ولذا قال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وقد سأل الشاذلي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الغين فقال صلى الله عليه وسلم هذه أغيان أنوار لا أغيار يا مبارك وفي الشفاء لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق مكانة عند الله تعالى وأعلاهم درجة وأعمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها اغضاء من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث اهـ وقول القسطلاني في وقعة آدم فيجوز أن تكون قبل نبوته الخ تبع في ذلك الامام البيضاوي وفي كتابنا النفحات النبوية قال المحقق البيضاوي والجواب عن أكل آدم من الشجرة من وجوه (الاول) انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان (الثاني) ان النهي لم يكن للتحريم بل كان للتنزيه وسمى الله ذلك عصيانا وظلما لانه ظلم نفسه بترك الاولى له (الثالث) انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان قال ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل (الرابع) أنه عليه السلام قدم على الاكل مجتهدا ان الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ حريرا وذهبا وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تفظيعا لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده اهـ (أقول) ما أجاب به أولا من أنه لم يكن نبيا حين الاكل يفيد عدم العصمة قبل النبوة والذي حققه التفتازاني وكذلك الخيالي في حاشية العقائد وخاتمة المحققين الامير على عبد السلام العصمة لهم قبل النبوة أيضا حتى قبل البلوغ في حال صغرهم وما أجاب به ثانيا من ان النهي لم يكن

للتحريم بل للتنزيه يفيد عدم العصمة من فعل المكروه لذاته وانه يجوز لهم الاقدام على فعله مع انه ليس كذلك لان فعلهم دائر بين الواجب والجائز بل الواجب والمندوب فقط نعم يقع منهم المكروه للتشريع ولذلك قال العارف الشعراني في اليواقيت أكل آدم من الشجرة انما كان محض نفوذ اقدار لا غير قال سيدى ابراهيم المتبولى ان أكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقية وانما كانت صورة ليرى بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في محذور لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دائم فلا ينتقلون قط عن مقام وحال الا الى اعلى منه فكان حكم هذه الاكلة منسحبا على بنيه بالاصالة الى يوم القيامة الا من شاء الله تعالى لان الشجرة كانت مظهرا لارتكاب بنيه النهى فعلا أو تركا ولا كفارة للجميع الا التوبة على حسب مقامهم الى أن قال وما ورد من اطلاق اسم المعاصى في حق الانبياء محمول على غير ظاهره وان فعلوا مكروها بحسب الصورة انما يفعلونه لبيان الجواز للامة توسعة من الله تعالى عليهم فلهم في ذلك الاجر كما يؤجرون على بيان المباح لفعلهم له قال وأما معاصى الاولياء فيحفظون منها ان حفتهم العناية وان تخلفت عنهم فقد يقع منهم الحرام ولا يقدح في ولايتهم لعدم عصمتهم اهـ والذى تميل اليه النفس وينشرح له الصدر ما نقله القطب الشعرانى عن شيخه الخواص في كتابه البحر المورود في المواثيق والعهود وكذلك ذكره العارف ابن عطاء الله في تنويره ولفظ العارف الشعرانى قلت له ياسيدى ما الحامل لآدم على أكله من الشجرة مع وجوب العصمة له ولسائر الرسل فقال لى وهو الجواب الشافى ياولدى ان آدم لما خلقه الله وتمم عليه نعمته بالنبوة والرسالة وعلمه الاسماء كلها وشرفه على ملائكته وقال لهم انى جاعل في الارض خليفة وأمرهم بالسجود له فسجدوا وعلم آدم من اللوح المحفوظ علما باطنيا انه لابد له من الهبوط الى الارض ويخرج من صلبه سيد العالمين وباقى الانبياء والمرسلين ثم يعود الى الجنة مع سيد العالمين وباقى الانبياء وأولاده الكرام وعلم أن ذلك كله مترتب على الاكل من الشجرة بادر الى الاكل من الشجرة تنفيذا لما سبق به العلم القديم فيكون آدم بالنسبة لباطن الامر مبادرا لامتثال الامر الباطنى وان كان بالنسبة لظاهر الامر مخالفا اهـ ملخصا مع بعض توضيح وقوله أى القسطلانى وأماهم يوسف بزليخا جبلى لا اختيارى تبع في ذلك الكشاف وبعض المفسرين والذى عليه الامام البغوى والجلال والمحققون من أهل الحديث والتفسير ان مقام النبوة والرسالة لا يليق أن يصدر منه ولو بعض الميل للمعصية مطلقا جبليا أو اختياريا والمعنى فى الآية ولقد همت به مسكا وهم بها دفعا بدليل قوله تعالى واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وحكاية الله عنها ولقد راودته عن

نفسه فاستعصم قال قطب الواصلين الامام الشعراني ان الذي وقع من اخوة يوسف على القول بنبوتهم وقصة يوسف معهم منزلة منزلة واقعة موسى مع الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام مما يأباه ظاهر الشرع ومأمور به باطنا من قبل الحق جل شأنه اه وهذا مقام لا يسعه عقول أمثالنا والواجب التسليم والادب مع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نسأل الله تعالى أن يمدنا بامدادهم ❊ ثم عقب الناظم ما ذكره بذكر بعض ما ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من المعجزات الدالة على صدقه فقال

❊ كم أبرأت وصبا باللمس راحته ❊ وأطلقت أربا من ربقة اللمم ❊

أي كثيرا ما أبرأت وصبا بكسر الصاد أي مريضا باللمس راحته الصادر منه بها للمرض المذكور لمس وأشار بهذا الى نحو ماروي ان شرحبيل الجعفي كان بكفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى لم يبق لها أثر وكثيرا ما أطلقت أربا بضم الهمزة وفتح الراء أي حلت عقدا كائنة تلك العقد من ربقة اللمم أي من عقد الجنون التي يربطون بها الآدميين وهذا على سبيل الاستعارة والتشبيه لان الجان لما كان يخنق الآدمي ومحل الخنق العنق شبه فعله ذلك بالآدميين بالحبل الذي فيه عرا يدخل في تلك العرا أعناق الغنم لئلا تذهب فمن شفاه الله تعالى من الجنون ببركة لمس النبي صلى الله عليه وسلم اياه براحته فقد أطلقت عنه عقد الجان وأشار بهذا الى نحو ماروي ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح بيده المباركة صدره فثع ثعة أي قاء فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود وان فسر اللمم بالذنوب والمعاصي فالمعنى كثيرا ما أطلقت راحته عقدا من ربقة أي حبل الكفر ثم أصبح منها محلولا ببركة مسه بكفه صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون أربا على وزن فرحا أي ذا حاجة وهي أعم من أن تكون الى اعطاء أو الى شفاء أو الى تخلص من اثم والمحتاج الى الشئ قبل اتصاله بحاجته كانه مجنون فاذا اتصل بها كأنه أطلق اه قسطلاني وفي الشفاء وأصيبت يوم حنين عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أحسن عينيه واحدهما وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان أعمى قال يارسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في" قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وتفل في عيني علي" يوم خيبر وكان أرمد فأصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف الى

الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئ وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نوّر له فسطع له نور بين عينيه فقال يارب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان تضيء في الليلة المظلمة وبصق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها وأعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا ومن آياته صلى الله عليه وسلم دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتل أهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا وأعطى قتادة بن النعمان وكان قد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه به حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج اه * ثم قال رضى الله عنه

*(وأحيت السنة الشهباء دعوته * حتى حكت غرة في الاعصر الدهم)*

أى ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ان أحيت أى أخصبت السنة الشهباء التى لامطر فيها ولا نبات وسميت بذلك لغلبة بياض الارض فيها بعدم النبات فهى بالنسبة الى البياض ميتة أحيتها دعوته أى دعاؤه وتضرعه الى الله تعالى فى أن يحى الله تلك السنة بالمطر فاستجاب الله دعاءه وأنزل المطر وحييت السنة بتبديل حال الجدب بحال الخصب حتى حكت أى شابهت غرة فى الاعصر الدهم بضم الدال وسكون الهاء ويجوز ضمها اتباعا أى صارت نسبة تلك السنة لما اشتملت عليه من الخصب الى سائر الاعصر الدهم أى الى أزمنة الخصب نسبة الغرة من كل شئ وهو الافضل منه وانما كانت أزمنة الخصب دهما لشدة خضرة النبات فيها والسنة مفعول أحيت وفى هذا البيت الترشيح وهو أن يذكر فى معنى المدح أو غيره ألوان لقصد الكناية والتورية وهو فى كلام الناظم فى قوله السنة الشهباء اذ الشهباء كناية عن السنة المجدبة والدهم كناية عن سنى الخصب على الاصح اه قسطلانى وفى ابن العماد أحيت أخصبت والاحياء يستعمل فى الارض مجازا قال تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها الآية والسنة الشهباء الجدبة التى لاخير منها والغرة تكون فى الجبهة بياض فوق الدرهم والاغر الابيض وغرة الشئ خياره والاعصر جمع عصر وهو الزمان والدهم جمع أدهم وهو الاسود وقوله تعالى مدهامتان أى

ناعمتان سود اوان لشدة الخضرة لان الخضرة اذا اشتدت ضربت للسواد والمعنى وكم مرة أحيت دعوته السنة الجدبة فاخضرت وانتهت حياتها الى ان أشبهت السنين الغر في الازمنة الماضية أى ان السنين التى أحياها الله بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم صارت غراء بالنسبة الى سنين الخصب الموصوفة بالدهم لكثرة ريهن وخصبهن وسواد زرعهن من شدة خضرته وأشار بذلك الى ماروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان قريشا لما أبطؤا عن الاسلام دعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل مابين السماء والارض كهيئة الدخان فجاء أبوسفيان فقال يامحمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا الى الكفر فانتقم الله منهم يوم بدر اه ثم قال رضى الله عنه

﴿بعارض جاد أوخلت البطاح به ۞ سيبا من اليم أوسيلا من العرم﴾

أى وهذا الاحياء الحاصل بدعوته صلى الله عليه وسلم بعارض أرسله الله تعالى فيها حتى جاد أى كثر مطره أوخلت البطاح أى ظننت مسايل الماء الواسعة به من كثرة ذلك المطر سيبا من اليم وهو البحر أوسيلا من العرم وهو سد أهل اليمن الذى بنته بلقيس على ماذكره أهل التفسير والتواريخ من عظمه وكيفيته واحكام صنعته وانما خص ماء البحر بالجرى وماء العرم بالسيل لان البحر لعموم فيضه يجرى فى الارض المسطحة والى أسفل والى فوق والعرم غالبا انما يصنع فى أعلى الارض ليسقى به أماكن متعددة فلا يجرى الاسائلا وأتى بأوفى أوخلت وان كانت بمعنى الواو امالاقامة الوزن أوليوهم ان الناظم تشكك لكثرة الماء الكائن على سطح الارض فى اعتقاد أنه من العارض أومن البحر أومن السد وفى قوله جاد نوع احتراس لان العارض قد يكون مهلكا وقد يكون الاحتراس فى قوله وأحيت وأشار بهذا الى ماروى عن أنس بن مالك قال أصاب الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة قام اعرابى فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ومانرى فى السماء قزعة قال فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل على منبره حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته الحديث اه وفى أبى السعود زيادة على هذا وهى فطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابى أوغيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة

مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود
وفي رواية أخرى اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق
بها كالاكليل فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال لو كان عمي
أبو طالب حيا لقرت عيناه أيكم ينشدنا شعره فقال رجل يا رسول الله لعلك
أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

اه * ثم قال رضي الله عنه

*(دعني ووصفي آيات له ظهرت * ظهور نار القرى ليلا على علم)*

كان الناظم رحمه الله قدر ان العدو الكافر الجاحد المكذب لما يسمع منه من الاخبار عن معجزاته صلى الله عليه وسلم يقول له لتكذيبه بها كف عنا من الاخبار التي لا نسلمها فأجابه تقديرا بأن قال كيف تنكر مثل آية الاستسقاء فيا أيها الجاحد للضروريات دعني ووصفي آيات له ظهرت ظهور نار القرى التي كان الكرام من العرب يأمرون بايقادها ليلا على علم وهو جبل من الجبال المرتفعات التي يهتدى بها وانما يفعلون ذلك لتهتدي الاضياف الى منازلهم وكأنه يقول انما أصف من آياته ما لا يسع انكاره لظهوره مثل ظهور نار القرى الكبيرة ليلا على علم والتنكير في الليل والجبل للنوعية أي ليلا حالكا وجبلا شامخا أو للتعظيم وظهور مصدر مشبه به والعامل فيه ظهرت والاصل ظهورا مثل ظهور فحذف الموصوف وأقيمت صفته التي هي مثل مقامه ثم حذفت وأقيم المضاف اليه مقامها وكان قائلا يقول له اذا كان ظهور آياته صلى الله عليه وسلم ظهور نار القرى ليلا على علم فكل الناس يشاهدها فما فائدة وصفك لها فكأنه قال انها وان كانت مدركة وحسنها ظاهرا الا ان تعرضي لوصفها بالنظم يزيدها حسنا وان كان قدرها لا ينقص ان لم تنظم اه قسطلاني وفي أبي السعود دع فعل أمر وانما يستعمل في مثل هذا المقام ايهاما لحصول ما لا يطلب الخلاص منه فراغ الذي هو بصدده اظهار الشدة الاعتناء بتحصيله والواو في ووصفي بمعنى مع والمراد بالوصف هنا نظم الاوصاف في الكلام المخيل الموزون وآيات مفعول للمصدر ويجوز ان يكون لغوا متعلقا بوصفي وان يكون مستقرا صفة لآيات والمراد بالآيات المعجزات الباهرة للكمالات الظاهرة والآيات القرآنية وظهرت صفة ثانية اه وفي ابن العماد نار القرى هي التي توقدها العرب في الليل لجلب الضيفان والعلم الجبل والمعنى يقول لعاذله اتركني أصف آيات له ومعجزات ظهرت واتضحت وضوحا وظهورا مثل ظهور نار القرى التي توقد في ليل مظلم على مكان مرتفع وأشار بذلك الى نور الايمان فقد اتضح في ظلمة الكفر كما اتضح نور النار

في ظلمة الليل اه * ثم استدل الناظم رحمه الله على ماتقدم بمثال محسوس يدرك فيه هذا المعنى بقوله

﴿فالدر يزداد حسنا وهو منتظم * وليس ينقص قدرا غير منتظم﴾

أى فاللؤلؤ وان كان حسنا في نفسه لكنه يزداد حسنا بالنصب تمييز منقول من الفاعل والاصل يزداد حسنه وهو منتظم في السلك لما يثبت له من الترتيب والتناسب وليس ينقص قدرا غير منتظم نعم حسنه الذى يظهر للعين ان نظم ينقص بسبب ذلك الوصف فكذا ما يحصل بزيادة الالتذاذ بسماع الآيات منظومة ينقص مع الاخبار بها نثرا وقدرها من التعظيم الحاصل لها في ذاتها لا ينقص فان قيل لم لم يقتصر على قوله يزداد حسنا فانه اذا أخبر انه انما يزداد بالنظم حسنا على ان أصل الحسن حاصل له قبل ذلك فما فائدة قوله وليس ينقص قدرا غير منتظم فالجواب انه من الاحتراس الرافع لما يتوهم من ان ازدياد الحسن بالنظم يوجب فواته نقص القدر اه قسطلانى وفي أبي السعود قصد بذلك دفع توهم ان تلك الاوصاف في حالة النثر ينقص قدرها وان زادت حسنا بالنظم كأن قائلا قال له مالك متعرضا الامر لا يظهر لسعيك فيه أثر فائدة ولا لكدك فيه عظم عائدة فان اشتهار تلك الآثار وظهور أنوار تلك الاسرار لا يحتاج الى اظهار ولا يفتقر الى اشهار فقال دع عنك هذا الملام في هذا المرام فان مثل تلك الآيات البينات والمعجزات الباهرات مثل الدر البهى الثمين والجوهر النفيس في أطواق أعناق الحور العين فانه وان كان في حالة كونه منثورا غير بخس ولا مهين فهو في حالة كونه منظوما في سلك عقد جيد الحسان أحسن صورة وأبهى سمة في المنظر والعيان اه * ثم قال رضى الله عنه

﴿فما تطاول آمال المديح الى * ما فيه من كرم الاخلاق والشيم﴾

أى فما تطاول آمال صاحب المديح وهو الثناء الحسن الى تمام ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق التى جبله الله تعالى عليها وكرم الشيم وهى الطباع وهذا البيت من أبدع ما مدح به لان العجز عن درك الادراك ادراك ويحتمل أن تكون ما نافية وان تكون استفهامية فعلى كونها نافية يكون المعنى أن وصف الآيات بالنظم وان كان يزيدها حسنا فلا يتوهم ان أحدا أتى من ذلك بماله نسبة الى ما يستحقه صلى الله عليه وسلم وان آمال صاحب المديح ما تطاولت أى ما مدت عنقها تلك الآمال لتنظر من بعيد الى تمام ما فيه من كرم الاخلاق وكرم الشيم لعلمها باليأس من ذلك والعجز عما هنالك وعلى الاستفهام يكون المقصود به الاستعارة أى أى فائدة لتطاول أعناق المديح الى تمام ما فيه من الاخلاق والشيم فانه شئ لا يدرك فالتشوق لادراكه عناء

والنفي أمدح فانه نفي التطاول من أصله للاياس من ادراك ما يتطاول اليه وعلى النفي فتطاول فعل ماض وآمال فاعل وعلى الاستفهام فتطاول مصدر مرفوع خبر ما الاستفهامية فانها مبتدأ وآمال مخفوض بالاضافة والفاء الداخلة على ما عاطفة ويحتمل ان المديح منصوب بنزع الخافض فان قيل كرم الشيم هو كرم الاخلاق أو أعم منها فلم ذكرها فالجواب قد يكون كرم الاخلاق عن استعمال أي تكلف فرفع ذلك الايهام بقوله والشيم فهو شبه احتراس أي ان كرم اخلاقه صلى الله عليه وسلم من كرم طباعه لا انها بالاستعمال ولم يستغن بالثاني لان الطبائع لا تظهر للوجود وانما تظهر آياتها وعطف المرادف في مقام المدح سائغ اه قسطلاني مع بعض زيادة وقال المحلي فما تطاول امالي بياء المتكلم المديح منصوب بنزع الخافض الى ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق أي كثرة الصفات التي كل منها خلق أي طبيعة له والشيم جمع شيمة وهي الخلق وعطف المرادف في مقام المدح سائغ وما الاولى للاستفهام بمعنى النفي ولا بد من تقدير والمعنى ان تطاولت آمالي بالمديح الى صفاته لا تصل اليها جميعها اه وما أحسن قول سلطان العاشقين العارف ابن الفارض لما سأله بعضهم بقوله لم لم تكثر المدح في الحضرة النبوية

وعلى تفنن واصفيه بوصفه ❊ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

*ثم قال رضي الله عنه

❊ آيات حق من الرحمن محدثة ❊ قديمة صفة الموصوف بالكرم ❊

قوله محدثة أي باعتبار الحروف والاصوات وقوله قديمة أي باعتبار مدلولاتها ومعانيها صفة الموصوف بالقدم وهو الله تعالى قال المحلي آيات حق مبتدأ خبره مقدر قبله أي معجزات نبينا وما بعد المبتدا صفات له الى قوله في البيت الثاني عشر وكالميزان معدلة وما يقع بين الصفات من متعلقاتها من الرحمن أي كائنة منه محدثة لفظا قديمة معنى قال الله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الآية وفي نسخة بدل محدثة محكمة قال تعالى كتاب أحكمت آياته صفة الموصوف بالقدم وهو الله تعالى من حيث معناها اه وقول المحلي محدثة لفظا قديمة معنى جرى على طريقة من يقول ان القرآن يدل بالمطابقة على الصفة القديمة قالوا ألفاظ القرآن حادثة والمعبر بها عنه هو المعنى القديم القائم بذاته تعالى وهو خلاف التحرير والتحرير كما قاله مشايخنا ما حققه الشهاب بن قاسم العبادي وحققه حواشي الكبرى ان مدلول القرآن ونحوه من سائر الكتب السماوية دال على بعض مدلول الكلام النفسي ولا يحيط بكل مدلولاته الا هو لانه لا تنتهي على أقسام الحكم العقلي تفصيلا وسائر الكتب السماوية انما تدل على

بعضها تفصيلا وان دلت على الكل اجمالا ومعنى دلالتها على ما يدل عليه المعنى القديم انه لو أزيل الحجاب عن المعنى القديم القائم بالذات لفهم منه من المعانى ما يفهم من الفاظ الكتب السماوية مثلا اذا سمعت قول الله تعالى ولا تقربوا الزنا فهمت منه النهى عن قربان الزنا ولو أزيل عنك الحجاب فهمت هذا المعنى قال بعض المحققين ويرد على القائل بأن مدلول القرآن هو المعنى القائم بالذات ان مدلول تلك الالفاظ منها ما هو قديم كقوله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم ومنها ما هو حادث كقوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وغير ذلك مما هو فى القرآن كثير ولا شئ من المعنى القائم بالذات غير قديم فكيف يجعل مدلول تلك الالفاظ هو المعنى القائم بالذات ولذلك قال بعض المحققين وهذا الاشكال لا يخفى وروده وقوته على هذا القائل ولذلك كان المحبه والمعقول ما حرره الشهاب بن قاسم وهذا ان أريد المعنى المطابقى كما هو ظاهر عبارة هذا القائل اما ان أريد الدلالة الالتزامية فلا حاجة للتأويل فى عبارته لانه يصير المعنى على الالتزام أى عرفا لا عقلا القرآن دال على الصفة القديمة أى مستلزم لها فيكون مدلوله مدلولها فتى دل كلام زيد على معنى وكلام عمرو على ذلك المعنى فيقال كلام زيد دال على كلام عمرو وقال العلامة الامير ولك ان تقول فى وجه التلازم ان من له كلام لفظى يلزم ان يكون له كلام نفسى لان جميع العقلاء لا يضيفون الكلام اللفظى الالمن له كلام نفسى وقال العلامة أيضا والتحقيق جواز سماع الكلام القديم فى دار الدنيا شرعا وعقلا دون الرؤية لغير نبينا ومن ادعاها فهو فاسق كاذب وكيف وقد منع منها الكليم مع جواز وقوعها له لتعليقها على الممكن ولامتناع وقوعها دون السماع قال الاستاذ العارف ابن الفارض

ومنى على سمعى بلن ان منعت أن ❊ أراك فمن قبلى لغيرى لذت

ومعنى ذلك كما تقدم انه رفع الحجاب عن موسى وخلق له سمعا وقوة حتى أدرك كلامه القديم من غير حرف ولا صوت بجميع أعضائه من جميع الجهات ثم منعه الله تعالى من السماع ورده لما كان قبل وهذا معنى كلامه أيضا لاهل الجنة وليس على ظاهر الماضى من ابتداء الكلام وانقطاعه وانه كان ساكتا ثم تكلم بل الله متكلم دائما أبدا فى الازل وفيما لا يزال * أخرج الطبرانى عن ابن جبير عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال أوحى الله الى موسى عليه السلام انى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى وعشرة آلاف لسان حتى اجبتنى * وأخرج القضاعى ان الله كلم موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة فاشرق وجهه بالنور ومعنى ذلك انه فهم منه معنى يعبر عنه بهذه العدة بحيث كشف الحجاب لا التبعيض فى الصفة ولما جاء من عند ربه

ليعرف الناس صدق ما ادعاه فاراه أحد الاعمى فكان يسمع الرائى وجهه دعا عليه فرد الله عليه بصره فتبرقع لئلا تذهب أبصار الناس عند رؤيته وكان البرقع على وجهه الى ان مات وكان يسد أذنيه عند رجوعه من المناجاة لئلا يسمع كلام الناس فيموت من وحشة قبح كلامهم وصار يسمع دبيب النملة السوداء فى الليل المظلم من مسيرة عشرة فراسخ ونقل عن بعض الأبدال انه سمع حوراء كلمته فصار لا يسمع كلام أحد الاتقايأ منه فكيف لذيذ كلام رب العالمين قال العلامة الامير نقلا عن بعض العارفين سبب اضطراب الانسان بالصوت الحسن ان الروح تتذكر لذيذ الخطاب يوم ألست بربكم حين اخرجت من صلب آدم وخوطبت بذلك فنحن لما تتذكر ذلك ثم التحقيق من أقوال ثلاثة فى كيفية انزال الوحى بالقرآن ان القرآن نزل مرة واحدة ليلة القدر فى سماء الدنيا فى بيت العزة ثم بعد ذلك نزل مفرقا على حسب الوقائع فى ظرف ثلاث وعشرين سنة أو أربع وعشرين سنة على الخلاف فى مدة حياته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة واختلف فى كيفية تلقى الوحى من الله تعالى فقيل بالهام من الله جل شأنه وقيل توقيفى وقيل سمعه جبريل من اسرافيل واسرافيل من الله وقيل تلقفه تلقفا روحانيا والظاهر من هذا انه يرجع للالهام والتحقيق أيضا ان جبريل نزل بالالفاظ وهو المعتمد ولا يسأل عن كيفية العلاقة بين هذه الالفاظ ومعانيها وقد اتفق السلف على تحريم القول بخلق القرآن مرادا به اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحرمته لئلا يتوهم الصفة القديمة ومن قال كلام الله القائم بذاته مخلوق فقيل بالكفر ورجح بعضهم الفسق فلينظر اه من ارشاد المريد وهو كفيل بتحقيق المقام فعض عليه بالنواجذ * ثم قال رضى الله عنه

﴿لم تقترن بزمان وهى تخبرنا * عن المعاد وعن عاد وعن ارم﴾

أى لم تقترن مدلولاتها بزمان لان القديم لا اول لوجوده فليس بزمانى اذ الزمان حادث ويجوز نصب آيات على البدل من آيات فى البيت قبله والرفع على الابتداء المحذوف الخبر تقديره كما تقدم ومن معجزاته آيات حق ومراده بهذه الآيات القرآن العظيم وليس مراده انها تتصف بهذه الاوصاف من جهة واحدة والا ادى الى اجتماع الضدين وهو محال لان الشئ لا يكون قديما وحديثا معا فالحدوث كما تقدم راجع الى الحروف المنتظمة والكلمات المسموعة وهل يطلق على كل منهما قرآن لان القرآن يطلق على القراءة التى هى حادثة وعلى المقروء الذى هو قديم وهى أى الآيات التى هى ألفاظ دالة على مدلول قديم تخبرنا عن المعاد وهو الرجوع الى الله تعالى فى الدار

الآخرة بعد موتنا في دار الدنيا وتخبرنا أيضا عن قبيلة عاد التي بعث اليها هود صلى الله عليه وسلم وسميت باسم الاب وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان عمره ألف سنة ومائتي سنة ورأى من صلبه أربعة آلاف وتزوج ألف امرأة وكان كافرا يعبد القمر وتخبرنا أيضا تلك الآيات عن مدينة ارم التي بناها شداد ابن عاد وكان ولي الملك بعد أبيه فسمع بذكر الجنة وما فيها فقال لابد لي أن أبني مثلها فبنى ارم في ثلثمائة سنة وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها أنهارا مطردة وأصنافا من الشجر وعند كمالها رحل اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فأهلكتهم هذا خلاصة خبرها وقد أطنب المؤرخون في صفتها ويحتمل أن يكون فاعل تقترن ضمير الآيات التي هي ألفاظ الان بزمان لا يكون للعموم بل للخصوص أي لم تقترن بزمان ما أخبرت عنه لا في الماضي كما في الاخبار عن عاد وعن ارم ولا في المستقبل كاخبارها عن المعاد وهذا من الدليل على كونها من الله تعالى وأل في المعاد للعهد وكرر عن معه ومع عاد ومع ارم لان الاول زمان والثالث مكان والاوسط ذات فهو أنواع مختلفة لا يحسن جمعها في واحد لان كلا يتعدد بأخبار تخصه وقيل تكررها من الحشو لا للوزن وحسنه ان مقام المدح يحسن فيه الاطناب اه قسطلاني وفي أبي السعود لم تقترن في محل النصب أو الرفع على انها نعت لآيات حق أو مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف أي هي لم تقترن والواو في وهي تخبرنا للحال فان قلت كيف يصح له نفي الاقتران عنها مع حكمه عليها بكونها حادثة قبل انه كما حكم عليها بالحدوث حكم عليها بالقدم ونفي الاقتران عنها باعتبار القدم فان القديم سابق على الزمان وقيل ان المعنى انها لم تقترن بزمان دون زمان كسائر الكتب فان كل كتاب مخصوص بزمانه لان نبي ذلك الزمان لم يجب على من يأتي بعده الايمان به وكتابه وملته منسوخان بخلاف هذا الكتاب وهذا النبي صلى الله عليه وسلم فان الله سبحانه وتعالى أخبر عنه سائر الانبياء وجميع الكتب السماوية مشحونة بذكره وملته وكتابه باق على مر الدهور وكر الاعوام وهذا وجه حسن جدا والمعنى ان هذه الآيات البينات لم تختص بزمان دون زمان ولا بوقت دون وقت كسائر الكتب بل كانت في جميع الازمنة الغابرة والاعصر الماضية حكمها متحقق ثابت مع كل زمان مستقبل وهي منورة لقلوبنا بنور الايمان مفيضة علينا معارف الحقائق والعرفان جالية أرواحنا بتجلي اليقين والايقان تخبرنا عما وقع في الازمنة الماضية وعما يقع في الازمنة الآتية من أمر المعاد وأمارات الحشر يوم التناد فقد أفادتنا علما يتعلق به سعادة الدارين اه نسأل الله تحصيلها

ابجاه سيد الكونين ❀ ثم قال رضي الله عنه

❀ دامت لدينا ففاقت كل معجزة ❀ من النبيين اذ جاءت ولم تدم ❀

أى وهذه الآيات التى وقع فيها الاعجاز باقية كما أشار اليه بقوله دامت لدينا ففاقت بالشرف والدوام كل معجزة ظهرت من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لان معجزاتهم انقرضت بانقراضهم بل لم تظهر على أيديهم الامرة واحدة فى مدة حياتهم وذلك حين وقع التحدى بها ثم لم تظهر بعد كما أشار اليه بقوله اذ جاءت ولم تدم واليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله مامن الانبياء الا وقد أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم النبيين جعلت معجزته مستمرة دائمة الى يوم الدين اه قسطلانى وفى كتابنا النفحات النبوية قرر لنا شيخنا ان اتصال السند من شعار هذه الامة دون الامم الماضية قال ان اليهود استأصلهم بختنصر فلم يبق منهم الاستة رضعاء ومعلوم ان هؤلاء لم يجدوا من يأخذون عنه حتى يتصل سندهم وأما النصارى فقد غيروا وبدلوا والسر فى جعل الاتصال من شعار هذه الامة دون غيرها ان الله تعالى جعل شريعة كل نبى تنقضى بوفاته فكفى قومه فى ثبوت نبوته ليصدقوه المعجزات المحسوسة المشاهدة لهم فى زمانه ولم يحتاجوا بعد ذلك الى معجزة مستمرة لانقضاء نبوته بموته وأما شريعة نبينا فانها مستمرة الى يوم القيامة فلذلك جعل الله تعالى لثبوت نبوته معجزة باقية بعد وفاته دائمة باتصال سندها وهى القرآن والسند عبارة عن رجال المروى واتصاله كون رجاله مذكورة شيخا وراء شيخ من غير اسقاط اه وفى الشفاء ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجة قاهرة اه ❀ ثم قال رضي الله عنه

❀ محكمات فما يبقين من شبه ❀ لذى شقاق ولا يبغين من حكم ❀

أى وهذه الآيات المذكورات محكمات الفاظها بمعنى متقنات النظم فى البلاغة ونهاية الوصف مما لا يقدر البشر على الاتيان بمثله فدل على انها من عند الله قال تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وقد كان العرب حينئذ فى الغاية القصوى فى الفصاحة ومالكى أزمة البيان والبلاغة وكلهم قد عجزوا

معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ومن أجل ما في الآيات المذكورة من الدلالة الواضحة على انها من عند الله قال فما
يبقين تلك الآيات المحكمات من شبه لذي شقاق وهو الكافر لانه شاق للدين اذ هو في
شق والاسلام في شق وان جعلنا محكمات ذوات حكم فهن أيضا لا يبقين شبها الذي
شقاق انهن من عند الله لان تلك المعاني والفوائد التي تضمنتها لا يمكن أن تكون في
كلام البشر ولذا كان يسلم كثير من الكفار بمجرد سماع ما تضمنه من المعاني الكثيرة
من بعض آيات القرآن في ألفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم لما يدرك من فصاحة
الالفاظ وهذه الآيات في الدلالة على كونها من عند الله تعالى ما يبغين أي
ما يحتجن من حكم زائد على ذاتهن وانما قال من شبه بنفي الجمع ولم يقل من شبهة بنفي
الواحد وان كان المقرر أن عموم المفرد اشمل فانه اذا نفي الواحد انتفى الجنس كله جمعه
ومفرده بخلاف نفي الواحد تنبيها على ان طرق الباطل شتى متعددة ضد طريق الحق
الذي هو واحد فكأنه يقول ان آيات القرآن لا تبقي شيأ من أنواع الشبه المتعددة
وانها دافعة لجميعها على اختلاف أنواعها وما من أحد تعرض له شبهة الا ويجد شفاء
منها في القرآن فانه الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الادواء اه قسطلاني
وفي الشفاء ولهذا الماسمع المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل
والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان
أعلاه لمثمر ما يقول هذا البشر وذكر أبو عبيد أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر
فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا
فقال أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد بشهادة الحق فاستخبره
فأعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من
اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن
مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فأولئك هم الفائزون وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك
الله ما أفصحك فقالت أو تعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا الى أم موسى
ان ارضعيه الآية فجمع الله في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من
القولين اه * قال رضي الله عنه

* ماحوربت قط الاعاد من حرب * اعدى الاعادي اليها ملتقى السلم *



أى ما حورب الآتي بالآيات صلى الله عليه وسلم فاسند المحاربة الى ما به المحاربة مجازا أى ما حارب به أحد فى معنى النبوة وخاصمه فيها بجحد الهاشم حاربه صلى الله عليه وسلم بالقرآن الا كان صلى الله عليه وسلم هو الغالب وعاد من حرب أعدى الأعادى الذى قصد محاربته من أجل قيام الحجة عليه اليها ملقى السلم وهو السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم اما بدخوله فى الاسلام واما بتركه المحاربة فان قيام الحجة عليه سلب لحجته التى هى كسلب ماله بل أقوى لانه يخاف على حجته أن تدحض فيفتضح كما يخاف على ماله فهو اذا أحس بالحرب ألقى السلم لئلا يفتضح ويحتمل أن يكون المعنى ما عارض أحد هذه الآيات وقصد أن يأتى بمثلها فى ظنه الا عاد من سلب قدرته على الكلام وان كان أعدى الأعادى اليهم ملقى السلم وقولنا من سلب قدرته على الكلام يتمشى على مذهب القائلين بالصرفة وهو ان العلماء اختلفوا فى وجه عجز البشر عن الاتيان بمثل هذا القرآن وان كانت حروفه من جنس الحروف التى ينطقون بها والى ذلك الاشارة عند المحققين بقوله تعالى الم المر أى أن هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف التى يؤلف منها كلامكم فأتوا بمثله والا فاعلموا انه من عند الله فقيل ان الاتيان به من جنس مقدورهم الا أن الله تعالى صرفهم عن الاتيان بمثله معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ويعبرون عن هذا المذهب بمذهب أهل الصرفة وقيل ان الاتيان بمثله ليس من جنس مقدورهم لكن لما كان الآتى به بشرا مثلهم قامت الحجة عليهم فى دعوى الرسالة وانه من عند الله والقول الاول ادخل فى الاعجاز لان عجزهم عما هو من مقدورهم ادخل فى قيام الحجة مما ليس من جنس مقدورهم اه قسطلانى وفى أبى السعود عبر عن المعارضة بالمحاربة قصد الى افادة قوتها واشتدادها وكنى عن محاربتها بمحاربة من جاء بها فانه تسببها قد يعود المعادى الذى فتح الله بصيرته لادراك ما اشتملت عليه من الهداية مواليا حميما وقط ظرف زمان ماض وعاد فعل من العود يجىء تاما وناقصا بمعنى صار وحرب الرجل حربا فهو حرب وهى كلمة تأسف وتلهف مثل يا أسفى ومنه قول صفية حين بارز الزبير واحربى وأعدى الاعادى افعل تفضيل من العداوة ضد الصداقة والاعادى جمع أعداء وأعداء جمع عدو وملقى اسم فاعل من الالقاء وهو الطرح والسلم الاستسلام والقاء السلم كناية عن الصلح اه * ثم قال رضى الله عنه

* ردت بلاغتها دعوى معارضها * رد الغيور يد الجانى عن الحرم *

يعنى لما كانت آيات القرآن العظيم فى الطرف الاعلى من البلاغة وعجز الخلائق عن معارضتها وعن الاتيان بمثلها ردت بلاغتها أى صرفت وأبطلت فصاحتها مع

مطابقتها لمقتضيات الاحوال دعوى معارضها ردّ الغيور على النساء يد الجاني عن نسائه الحرم فان كونه غيورا يقتضي أن لا يسامح في ترك الجناية لالتماس النساء وان لم تكن من محارمه بل برد أيديهم عنهن بمقتضى طبعه فكيف برده يد الجاني عن حرمه هو وأشار بهذا الى مسيلمة الكذاب حيث عارض القرآن لما ادعى النبوة وأراد أن يشبه القرآن العظيم الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم فقال يعارض سورة النازعات والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فافتضح لا بارك الله فيه اه قسطلاني وفي الشفاء وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك يحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال أوشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان أفصح أهل وقته وكان يحيى ابن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمانه فحكى انه رام شيأ من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة ثم قال وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة على اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصى وذهب الشيخ أبو الحسن الى انه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع اه وقد تقدم بعض هذا عن القسطلاني ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊ لها معان كموج البحر في مدد ❊ وفوق جوهره في الحسن والقيم ❊

أي وهذه الآيات المذكورة لها معان كثيرة لا نهاية لها فهي في كثرتها وامداد بعضها بعضا كموج البحر في مدد وأشار بهذا الى نحو قول علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة وما حكى عن بعضهم انه قال لكل آية سبعون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وما قاله الآخر ان أقل ما قيل في العلوم التي في القرآن من ظواهر العلوم المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم قال بعض العارفين ويظهر بيان ما قاله الامام علي رضي الله تعالى عنه من خمسة كنوز أولها ان العبد اذا قال الحمد لله رب العالمين يحتاج الى أن يبين معنى الحمد وما يتعلق به

والاسم الجليل الذى هو الله تعالى ومايليق به من التنزيه ثم يحتاج الى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده فقد قيل ان لله تعالى سبعة عشر عالما السموات السبع والارضون السبع ومافيهن من عالم واحد وان فى الارض ألف عالم أربعمائة فى البر وستمائة فى البحر فيحتاج الى بيان ذلك كله اذ هذا اللفظ المقروء يحوى ذلك كله ثانيها اذا قال الرحمن الرحيم يحتاج أيضا الى بيان هذين الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلالة وما معناهما ثم يحتاج فى ضمن هذين الاسمين الى بيان جميع الاسماء والصفات ثم يحتاج الى بيان الحكمة فى اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين الجليلين دون غيرهما من الاسماء ثالثها اذا قال العبد مالك يوم الدين يحتاج الى بيان ذلك اليوم ومافيه من المواطن والاهوال وكيفية ذلك العالم الى غير ذلك مما يتعلق به ورابعها اذا قال اياك نعبد واياك نستعين يحتاج الى بيان المعبود وجلالته والعبادة وكيفيتها وصفتها وآدابها على اختلاف أنواعها والعابد وصفته والاستعانة وآدابها وكيفيتها وصفتها خامسها اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة يحتاج الى بيان الهداية ماهى والصراط المستقيم واضداده ماهى وبيان المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم ومايتعلق بهذا النوع وبيان المرضى منهم وصفتهم وطريقهم فعلى ماذكرناه من هذه الوجوه يكون ماقاله الامام على رضى الله عنه وهذه المعانى التى أشار اليها الناظم رحمه الله تعالى فوق جوهرة فى الحسن والقيم اى هى فى حسنها وما لها من القدر والشرف فائقة حسن جوهر البحر وهو الدر المستخرج منه وأطلق القيمة عليه مجازا لان القيمة فى المقوم هى مقداره وفى هذا البيت الجمع بين التفريق وهو أن يدخل شيئين فى معنى واحد ثم يفرق بين جهتى الادخال وهو فى البيت قد شبه كثرة معانى القرآن وحسنها وقدرها بالبحر وفرق بين جهتى التشبيه فاما الكثرة فتشبه موجه فى المد وأما الحسن والقدر فيزيدان على حسن جوهره وقيمته اهـ قسطلانى وفى الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الاسرار والعلوم للعارف الشعرانى ومنها الاطلاع على معرفة استخراج جميع علوم القرآن وأحكامه من سورة الفاتحة ثم استخراج جميع علوم الفاتحة من البسملة ثم استخراج جميع علوم البسملة من الباء ثم استخراج جميع علوم الباء من النقطة ثم استخراج جميع ذلك من حرف الالف كما وقع لاخى الشيخ أفضل الدين قال لى مرة استخرجت بحمد الله تعالى من علوم سورة الفاتحة مائتى ألف علم وستمائة وتسعين علما قال وهى أمهات علومها وأما فروعها فلا تنحصر لبشر قال العارف وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول من دخل الخلوة بالصدق فتح عليه من العلوم اللدنية ما يرى به ان جميع ما فسر به المفسرون وشرحه الشارحون للقرآن والحديث

وكتب المجتهدين ومقلديهم الى يوم الدين لا يحيى عشر معشار معنى حرف واحد من حروف القرآن العظيم فضلا عن الكلمة أو الآية وان ذلك جميعه كالنقطة من البحر المحيط ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اه * ثم قال رضى الله عنه

*(فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسأم)*

أى واذا كانت معانى هذه الآيات كموج البحر فى مدد فما تعد ولا تحصى عجائبها لعدم تناهيها ولا تسام على الاكثار من ترددها بالسأم لها وهو الملل ويحتمل ان يريد على اكثار ما جاءت به من المعانى أو اكثار ما ورد فيها من التكرار لاسيما تكرار القصص لان شأن ما كثرت آحاده وكثر ترداده أن يمل فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد وآيات القرآن بخلاف ذلك كما ورد فى الحديث فقارئها لا يملها وسامعها لا يمجها الا كاب على تلاوتها يزيدها حلاوة وترديدها يوجب لها محبة وطلاوة اه قسطلانى وفى الشفاء قال عليه الصلاة والسلام ان الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود اه * ثم قال رضى الله عنه

*(قرت بها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم)*

أى حصل لقارئها السرور وكأن عين الحزين مضطربة وعين المسرور ساكنة وقيل هو من القر بالضم وهو البرد أى بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين تاليها ويحتمل أن يكون مراده تابعها أو قاصدها من قررت اليه أى قصدت الا أنه ان كان المراد القارئ ترجح عود ما اضيف اليه على الآيات التى هى الالفاظ وان كان المراد المستمع ترجح عوده على المعانى ولما قرت عينه بقراءة الفاظها أو باتباع معانيها فقلت له حينئذ لقد ظفرت أيها القارئ بحبل الله وهو عهده الذى بينه وبين خلقه فاعتصم به أى امتنع ببركة قراءته من عذاب الله أو امتنع باتباع أمره واجتناب نواهيه من الوقوع فى المخالفة المؤدية الى عقاب الله تعالى نعوذ بالله من

المخالفة واستعارة الحبل لآيات الله تعالى قد يقال انها تجريدية لان الاعتصام يناسب المستعار له وأما فقد استمسك بالعروة الوثقى فاستعارة العروة للايمان ترشيحية لان الاستمساك يلايم المستعار منه ووجه استعارة الحبل للعهد ان الحبل سبب يتوصل به الى الاشياء وكذا عهد الله تعالى يتوصل به الى ثوابه اهـ قسطلانى ولنتبرك بذكر بعض ماورد من صحيح البخاري ومسلم فى فضل القرآن وتلاوته فنقول قال الامام النووى فى رياض الصالحين عن أبى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه رواه مسلم وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما رواه مسلم وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقرأ القرآن وهو ماهر فيه مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران رواه البخارى ومسلم وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر رواه الشيخان وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين رواه مسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاحسد الافى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار رواه الشيخان والآناء الساعات وعن البراء بن عازب قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوطة بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال تلك السكينة تنزل للقرآن رواه الشيخان والشطن بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة الحبل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لاأقول ألم حرف ألف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب رواه الترمذى

وقال حديث حسن صحيح وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح اهـ * ثم قال رضى الله عنه

* ان تتلها خيفة من حر نار لظى * اطفأت حر لظى من وردها الشبم *

أى ان تقرأها أيها القارئ خيفة من ألم حر نار لظى التى هى جهنم أطفأت حر لظى من أجل وردها الشبم بفتح المعجمة وكسر الموحدة البارد واستعارة الورد للآيات ترشيحية لأن الشبم مما يلايم المستعار منه ووجه التشبيه ان الماء يطفئ وروده حرارة العطش وورود الآيات يطفئ حرارة جهنم أعاذنا الله تعالى منها بمنه وكرمه اهـ قسطلانى وفى كلام المصنف الامر بتلاوة القرآن لان المعنى فينبغى لك أيها المؤمن الحافظ للقرآن أن تتلوه وتتعاهده فى كل وقت لانك ان تلوته خيفة من حر نار لظى الخ ولان تركه يؤدى الى ضياعه ونسيانه قال الامام النووى فى رياض الصالحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل فى عقلها رواه البخارى ومسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت رواه البخارى ومسلم و ينبغى ان تكون القراءة بالادب والخشوع والترتيل وعدم التكلف بحيث لا يخرج عن حده المعتبر عند القراء و ينبغى استماعه كذلك خصوصا من الصوت الحسن فان استماعه من القارى المتقن الحسن الصوت خصوصا ان كان ذا خشية وانكسار يهيج الايمان فى قلب السامع و يبعثه على الاعتبار و ينبغى التدبر للمعانى والاعتبار بما فيه والبكاء او التباكى والتحزن ففى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ان أفضل القرآن قرآن يحزن به وفى رياض الصالحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل قال انى أحب أن أسمعه من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان رواه البخارى ومسلم وعن البراء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى العشاء بالتين والزيتون فما سمعت

أحدا أحسن صوتا منه رواه البخاري ومسلم وعن أبي لبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه أبو داود باسناد جيد يعني يتغنى يحسن صوته بالقرآن وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود اهـ وفي كتابنا المشارق عن الترمذي وابن ماجه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره واحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت لهم النار اهـ ❊ثم قال رضي الله عنه

❊ كأنها الحوض تبيض الوجوه به ❊ من العصاة وقد جاؤه كالحمم ❊

قوله الوجوه به من العصاة اى الذين يخرجون من النار بشفاعته صلى الله عليه وسلم والحال انهم قد جاؤه اى ذووا الوجوه كأنهم جمع حممة وهي الفحمة أي من النار ووجه التشبيه ان آيات القرآن العزيز لما كانت تشفع في تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصي فيبيض وجهه بشفاعتها كأنها الحوض الذي تغتسل فيه العصاة وقد احترقوا حتى عادوا حمما فيعودون بيضا كالقراطيس ثم يدخلون الجنة ومراده بالحوض مسماه اللغوي فيحمل على نهر الحياة لان تلك صفته ويحتمل ان يكون مراده به حوضه صلى الله عليه وسلم لانه يجوز ان يكون نهر الحياة أول مرتبته ومنتهاه الحوض وفي هذا البيت التلميح لانه أشار به الى ما ورد في الخبر من اغتسال الجهنميين في بحر الحياة اهـ قسطلاني وفي المحلى وعبر بالوجوه عن الذوات وبينها بالعصاة وعن الماء بالحوض لانه محله وفي حديث الصحيحين يخرجون منها فيلقون في نهر الحياة وفي رواية فيصب عليهم ماء الحياة فيذهب عنهم السواد ويظهر البياض كذلك الآيات بقراءتها او العمل بها تبيض الوجوه أي تنور كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه أي تنور وتظلم اهـ وفي كتابنا مشارق الانوار والحوض مما يجب اعتقاد وجوده ويبدع منكره قال الحافظ السيوطي في البدور وقد رواه أكثر من خمسين صحابيا وسردهم رضي الله عنهم فقد بلغت أحاديثه التواتر وفي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا قال العلامة الامير في حاشية عبد السلام وان دخل النار عذب بغير الظما وفي المواهب اللدنية عن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت

فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فانى لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن رواه الترمذي وقال حسن غريب قال الشارح الزرقانى لا أخطئ بضم الهمزة وكسر الطاء أى لا أتجاوز هذه الثلاثة مواطن الى غيرها وظاهر هذا الحديث ان الحوض بعد الصراط وصنيع البخاري في ايراده لاحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط مشعر بذلك قال السيوطي وبأنه يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم ويتأخر بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حتى يهذب منها على الصراط قال ولعل هذا أقوى ثم رأيت في الزهد للامام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كأنى أنظر اليكما صادرين عن الحوض فى الحساب فيلقى الرجل الرجل فيقول شربت يافلان فيقول لا واعطشاه اه قال القرطبي واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر قال أبو الحسن القابسى والصحيح ان الحوض قبل الميزان قال الامام القرطبي والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشى فيقدم لهم الحوض قبل الصراط والميزان قال بعض المحققين والذى يظهر في الجمع انهما حوضان فبعض المؤمنين لكماله يشرب من كل والبعض الآخر انما يشرب من الثانى بعد تهذيبه وثبت ان لكل نبى حوضا كما فى الحديث ان لكل نبى حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرفه من أمته ألا وانهم يتباهون أيهم أكثر تبعا الا وانى لارجو أن أكون أكثرهم تبعا قال الحافظ فى فتح البارى فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان به عليه فى سورة انا أعطيناك الكوثر اه أسأل الله الكريم بوجاهة وجه نبيه العظيم أن يسقينا شربة من شراب حبه ووداده وأن يجعلنا من الواردين على الحوض مع أحبابه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ❊ ثم قال رضى الله عنه

❊(وكالصراط وكالميزان معدلة ❊ فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم)❊

أى وهذه الآيات أيضا كالصراط استقامة وهو دين الحق الذى لا اعوجاج فيه أو يكون مراده الصراط الذى هو جسر على متن جهنم وهو أدق من الشعر يسير الناس عليه الى الجنة على قدر أعمالهم فانه خط مستقيم لا اعوجاج فيه وهما متلازمان فانه لا يسير على متن جهنم سيرا مستقيما من غير ميل الا من كان على طريق الاستقامة فى الدنيا وهذه الآيات المذكورة كالميزان معدلة بالنصب على التمييز أى عدلا وحذف تمييز الصراط لدلالة المعنى عليه ووجه التشبيه بين الآيات وبين كل من الصراط والميزان ان الآيات فى احكامها واخبارها كلها ذات عدل واستقامة

كاستقامة الطريق والميزان فالقسط بكسر القاف وهو العدل من غيرها وغير ما يرجع اليها من السنة ونحوها في الناس لم يقم والمراد بالناس الخصوص والا لزم أن لا يكون في أهل التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية عدل وهو باطل اهـ قسطلاني وفي كتابنا مشارق الانوار أما الصراط فهو ثابت بالكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى فاستبقوا الصراط وقال صلى الله عليه وسلم ينصب الصراط على متن جهنم فأكون أول من يجوزه وأمتي فيجب الايمان به والحق تفويض معرفة حقيقته الى الله تعالى يرده الاولون والآخرون حتى من لا حساب عليهم قال العلامة الامير في حاشية عبد السلام وكلامهم سكوت الا الانبياء وقولهم اذ ذاك اللهم سلم سلم كذا في الصحيح اهـ وهو لغة الطريق الواسع وشرعا قال القطب الدردير في شرح خريدته هو جسر ممدود على متن جهنم بين الموقف والجنة ادق من الشعرة وأحد من السيف وانكر العز بن عبد السلام ذلك وقال انه متسع لما ورد مما يدل على ذلك وعلى فرض صحته يؤول بأنه كناية عن شدة المشقة اهـ أمير قال الشيخ الدردير والاظهر انه يختلف في الضيق والسعة باختلاف الاعمال فمنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ومنهم كالريح العاصف ومنهم كالجواد السابق ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمر عليه حبوا على قدر تفاوتهم في الاعمال الصالحة والاعراض عن المعاصي فكل من كان أسرع اعراضا عن المعاصي اذا مرت على خاطره كان أسرع مرورا وأخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج عن مسلم كربة جعل الله له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط يستضيء بضوئهما عالم لا يعلمهم ولا يحصيهم الا رب العزة قال العلامة الامير واستشكل التوصل الى الجنة فانها عالية جدا وهو على متن جهنم قال وأفاد الشعراني انه لا يوصل للجنة حقيقة بل لمرجها الذي فيه الدرج الموصل لها حيث الحوض ويوضع لهم هنالك مأدبة أي وليمة ويقوم أحدهم فيتناول مما تدلى هنالك من ثمار الجنة اهـ ❀ وأما الميزان فقال بعض المحققين ان حكمته امتحان العباد بالايمان بالغيب في الدنيا وهو قبل الصراط على الصحيح قال العلامة النفراوي وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر وانعقد عليه اجماع أهل الحق وانه ميزان واحد له كفتان ولسان وتوضع فيه صحائف الاعمال أو اعيانها وقيل توزن ذوات الاشخاص كما في الحديث لرجل عبد الله بن مسعود في الميزان أثقل من جبل أحد وفي المواهب ذكر الحافظ أبو نعيم عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه المؤمن حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له قال الشارح الزرقاني أي حاجة كانت وانما جمع في قوله تعالى ونضع الموازين القسط لعظمته

قال في المواهب اللدنية ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقدير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها والذي عليه الاكثر وهو المعتمد ان الميزان واحد يوزن به للجميع وانما ورد في الآية بصيغة الجمع للتفخيم وقد تقدم خلاف في الذي يوزن هل هو أعيان الاعمال وان كانت اعراضا لانها تجسم يوم القيامة أو صحائف الاعمال ويشهد لذلك حديث البخاري ولفظه كما رواه الترمذي ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول ألك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ والله أعلم اه ثم قال رضي الله عنه

﴿لا تعجبن لحسود راح ينكرها ❁ تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم﴾

كأنه قيل له اذا كانت هذه الآيات بالمنزلة التي وصفت فكيف صح من كثير من الكفار انكار كونها من عند الله تعالى وانكار دلالتها على صحة نبوة الآتي بها فقال لا تعجبن لحسود راح ينكرها أي ولى منكرا وأصل راح سار بالعشي ثم استعمل في الذهاب مطلقا والرواح نقيض الصباح وهو من الزوال الى الليل ومراده انه أنكرها وضحت دلالته وتبين كما تبينت الاشياء المحسوسة بحاسة البصر في نصف النهار وهو أول وقت الرواح وهذا مناسب لقوله تجاهلا أي لا حقيقة لكونه أظهره في صورة الجهل فانكاره ليس بجهل منه لأن ما تجاهله هو في الوضوح كالنهار لا يجهل لكونه لاجل الحسد أظهر التجاهل وكيف يوصف بالجهل وهو عين الحاذق الفهم أي الماهر في الاشياء بحيث لا يخفى عليه تمييز الحق من الباطل الذي ليس حذقه عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع في حذقه ومهارته مع كونه فاهما بالاصالة وبلا شك أنه يحصل بالتمرين مع كونه فاهما ما لا يحصل بالتمرين مع البلادة الاصلية فظهر بهذا التقرير ان الفاهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم اه قسطلاني وفي أبي السعود العجب والتعجب انفعال النفس من أمر غريب والحسد تمني زوال نعمة الغير لتصل الى المتمني والغبطة هي تمني وصول المثل قال الشاعر

ان يحسدوك على علاك فانما ❁ متناقص الدرجات يحسد من علا

وراح بمعنى صاروا والانكار معروف والتجاهل تكلف الجهل كالتباكي تكلف البكاء



وعين الشئ نفسه والحاذق اسم فاعل من الحذاقة وهى كمال الدراية فى الصناعة والفهم صفة مشبهة من الفهم وهو شدة الادراك والمعنى نى المتعجبين من انكار الجاحدين وعدم اعتراف المعاندين بكمال القرآن الكريم وفضل الكتاب العظيم مع كونهم فرسان ميدان البلاغة وشجعان معارك البراعة وسطوع أنوار آياته البينات من مطالع البلاغة وطلوع بيناته الواضحات من طوالع الفصاحة وماذلك الا لعناد قد خطف أنوار بصائرهم كما تخطف علة الرمد نور الابصار وتجاهل قد ستر حلاوة معانيه وعذوبة ألفاظه عن ذوق طبائعهم المدركة للطائف النكات المبانية اللواتى هن نتائج أبكار الافكار فكيف يدركون الدقائق المتعالية عن أن يماثلها شئ من سقط زند القوى البشرية وانما هو من شأن خالق القوى والاقدار اه وقد ورد فى ذم الحسد أحاديث جمة وهو من الكبائر القاطعة عن الله تعالى كأنه غير راض بما قسم المليك وفى كتابنا النفحات النبوية كما فى صحيح مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحاسدوا ولاتناجشوا ولاتباغضوا ولاتنابزوا ولاتدابروا ولايبع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ولايكذبه ولايحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه اه * ثم استدل رضى الله عنه على ماذكره بقوله

*(قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم)*

أى قد تنكر العين ضوء الشمس من أجل ماقام بها من مانع رمد يمنع من النظر اليه فذلك الانكار نفور من النظر الى الضوء مع العلم بوجوده وقد ينكر الفم طعم الماء من سقم وليس هو الا محض نفور من استعماله مع العلم بما هو عليه من حقيقة الطعم المحسوس فى نفس الامر اه قسطلانى وقد ورد كما فى الشفاء وغيره ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عبد الله بن سلام بعد اسلامه أنشدك بالله الذى لا اله الا هو أتله أخبر فى كتابه العزيز بقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم هل كنت تعرف ان محمدا على الحق قبل اسلامك فقال والله يا أمير المؤمنين انى كنت قبل اسلامى أعرف ان محمدا على الحق أشد من معرفتى لابنى والسنة فى ذلك كثيرة * ثم ان الناظم رضى الله عنه لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به مخبرا عنه على سبيل الغيبة أقبل عليه بالخطاب فقال

*(ياخير من يمم العافون ساحته * سعيا وفوق متون الاينق الرسم)*

قوله يمم العافون أى قصد طلاب المعروف ساحته حالة كونهم ساعين سعيا بمعنى



مجدين في المشي استعجالا لتحقيق ما تعودوا منه من الظفر بالمطلوب وأمن الخيفة وحاله كونهم راكبين فوق متون الاينق الرسم أي ظهور النوق الشديدة الوطء لقوتها حتى انها ترسم في الارض بمشيها آثارا ظاهرة كل ذلك لحصول البغية سريعا والرجوع بالحاجة في أقرب وقت والاينق جمع ناقة وهو مقلوب وأصله أنوق جمع قلة استثقلوا ضمة الواو فقدموها فقالوا أونق ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق ثم جمعوها على ايانق وقد تجمع الناقة على نياق جمع كثرة اهـ قسطلاني وفي هذا البيت التصريح بالحث على زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم والتوسل به والتطفل على موائد نعمه وكرمه قال في المشارق عن المواهب روى ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء في قصة بلال بن رباح رضي الله عنه وكان مقيما بالشام ببيت المقدس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم مناما وهو يقول ماهذه الجفوة يا بلال اما آن لك أن تزورني فبات حزينا خائفا وركب راحلته وقصد المدينة فحين وصل القبر الشريف صار يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا له نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي يقف فيه فلما ان قال الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشهد أن لا اله الا الله زادت رجتها فلما ان قال أشهد أن محمدا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقلن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأينا يوما أكثر باكيا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم وقد سبق لك عن القطب الرفاعي في حال زيارته للقبر الشريف من قوله

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد يده الشريفة صلى الله عليه وسلم من الشباك فقبلها قال الامام القسطلاني في المواهب وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم في البرزخ وعرصات القيامة فمما قام عليه الاجماع وتواترت به الأخبار فعليك أيها الطالب ادراك السعادة والمؤمل نيل الحسنى وزيادة بالتعلق بأذيال كرمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع لفك الكرب عن سائر الانام ولازم قرع أبواب السعادة وارق في مدارج حبه بكثرة الصلاة عليه تظفر بالحسنى وزيادة ومما قيل على لسان الحضرة النبوية للزوار

تمتع ان ظفرت بنيل قربي * وحصل ما استطعت من ادخاري
فها أنا قد أبحت لكم عطائي * وها قد صرت عندي في جواري



فخـذ ماشئت من كرم وجود ❊ ونل ماشئت من نـعم غزار
فقد وسعت أبواب التدانى ❊ وقـد قربت للزوّار دارى
فتمـع ناظـريك فها جمالى ❊ تجـلى للقـلوب بلا استتار

اه ❊ ثم قال رضى الله عنه

❊ ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ❊ ومن هو النعمة العظمى لمغتنم ❊

أى ويامن هو الآية الكبرى لمعتبر يتأمل ويتذكر فانه مع توفيق الله تعالى يعلم بأول نظر انه خير خلق الله وانه بعثه الى الخلائق المغمورين فى الضلالة فدل على الله وعرّف به وأتى بما لا ينال بتعليم واكتساب الا بتخصيص من الوهاب وحقيق لمن بلغ فى الآية الى هذه المنزلة والدلالة على الله أن يكون نعمة عظمى لا أعظم منها كما قال ويامن هو النعمة العظمى لمغتنم ماعند الله من السعادة الابدية وأجاز بعضهم أن يكون ومن هو فى الموضعين معطوفا على من فى قوله ياخير من فان عطف على خير كما هو الظاهر كانت من واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وحده وان عطف على من فالتقدير وياخير من هو النعمة فيكون المراد بمن هو الآية جنسا متعددا ويقتضى المعنى انه صلى الله عليه وسلم خير ذلك الجنس ويشمل النبيين والملائكة فيستفاد من كلام الناظم تفضيله صلى الله عليه وسلم على الملائكة كما هو مذهب أهل السنة فى تفضيل الانبياء عليهم اه قسطلانى وفى الشفاء روى مسلم وغيره ان ضمادا يعنى بكسر الضاد وهو ابن ثعلبة لما وفد عليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال له اعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك ولله در حسان حيث قال

لولم تكن فيه آيات مبينة ❊ لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد سبق لك ان التحقيق عند أهل السنة ان فضله صلى الله عليه وسلم على كافة المخلوقات من انس وجن وملك ذاتى لا لكثرة المزايا وان كانت مزاياه صلى الله عليه وسلم لا تبارى وأما ماورد من قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا بين الانبياء وفى رواية لا تفضلونى على يونس بن متى فهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم أو المعنى لا تفضلونى تفضيلا يقتضى تنقيصا لمقام النبوّة وقد سبق لك قول سلطان العارفين الامام المرسى كل الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة وفى أبى السعود ان قلت مامعنى كونه صلى الله عليه وسلم آية ونعمة قلت اما كونه آية فباعتبار أنه صاحب الآيات البينات ورب الحجج القاطعات أو باعتبار ان النبى صلى الله عليه وسلم آية تدل على وجود الصانع لانه هو الذى دل الناس على توحيده

سبحانه وتعالى وأما كونه النعمة العظمى فلان النعمة قد تطلق على المنعم به ولم ينعم على عباده بنعمة أعظم مما أنعم به عليهم من ارسال سيد المرسلين الذى أرسله رحمة للعالمين وتخصيص الآية بالكبرى والنعمة بالعظمى نظرا الى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى والى قوله تعالى وكان فضل الله عليك عظيما اهـ نسأل الله الكريم متوسلين اليه بوجاهة وجه نبيه العظيم ان ينظمنا فى سلك أهل وده ووداده الذائقين لذيذ شرابه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ❁ ثم قال رضى الله عنه

❁ سريت من حرم ليلا الى حرم ❁ كما سرى البدر فى داج من الظلم ❁

كأنه رضى الله عنه يقول ومن آياتك الكبرى انك سريت من حرم وهو حرم مكة ليلا الى حرم وهو حرم بيت المقدس سريا كما سرى البدر التام النور فى داج من الظلم ووجه التشبيه انه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدر وأتم وأعظم وقد قطع مسافة عظيمة فى ليل مظلم كما يسرى البدر المنير فى ليل مظلم وليعلم ان سرى وأسرى بمعنى أى سار ليلا وأسرى لغة أهل الحجاز وجاء القرآن بها قال تعالى فأسر باهلك وأسرى بعبده وقال السهيلى سرى لازم وأسرى متعد لكن كثر حذف مفعوله فظن أهل اللغة انهما بمعنى وسبحان الذى أسرى بعبده أى أسرى البراق بعبده فحذف المفعول استغناء عنه لان المقصود بالخبر ذكر محمد صلى الله عليه وسلم أو حذف لقوة الدلالة عليه قال واتفق الرواة على تسمية أسرى ولم يذكر أحد منهم سرى واتفق القراء على أسرى فان قيل اذا كان معنى سريت سرت ليلا فما فائدة قوله ليلا والجواب ان فائدته كفائدته فى قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وهو التأكيد أو معناه سرى ليلا حكاه فى القاموس وذهب الزمخشرى الى ان فائدته تقليل المدة التى قطع فيها تلك المسافة البعيدة التى هى مسافة أربعين ليلة قطعها فى بعض الليل حسبما يعطيه تنكير ليلا فان التنكير فيه للتقليل أى وقع الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فى بعض الليل ولو لم ينكر لاحتمل ان يكون ذلك فى جميع الليل وليس كذلك بل كان بقية الليل لترقيه الى فوق السبع السموات العلا ولتلقيه من رب العزة جل وعلا ماتلقى من التكاليف والاحكام وما اطلع عليه من أحوال الجنة والنار ومخاطبات الانبياء ومارأى من العجائب كل ذلك فى ليلة واحدة فسبحان القادر على مايشاء قال الزمخشرى ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى من بعضه اهـ قيل انما أسرى به ليلا لان الله تعالى لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بأن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار على



الليل بالشمس فقيل لا تفتخران كانت الشمس تشرق فيك فسيعرج شمس الارض في الليل الى السماء وقيل لانه سراج والسراج انما يوقد بالليل وقيل لانه سمى بدرا في قوله تعالى طه فان الطاء بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه قيل يا بدر أربعة عشر وهذا يناسب قول الناظم كما سرى البدر ولله در القائل حيث قال

قلت يا سيدى ولم تؤثر الليـــل على بهجة النهار المنير

قال لا أستطيع تغيير رسمى ✽ هكذا الرسم في طلوع البدور

انما زدت في الظلام لكيما ✽ تشرق الليل من اشعة نورى

اهـ وفي أبي السعود المعنى خاطبه صلى الله عليه وسلم بعد ان جعل نفسه بين يديه عما يدل على معجزته الباهرة وكرامته القاهرة التى نطقت بها آيات القرآن العظيم القطعية التى من أنكرها انخرط في سلك الكافرين وخرج من ربقة المسلمين وهو سيره بدنه الشريف بقدرة الخبير اللطيف في بعض من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لينال بذلك من المجد والشرف الحظ الاوفر والنصيب الاوفى وشبه سيره بسرى البدر وقيده بكونه في ليل داج ايماء الى بيان وجه الشبه في كون كل من السائرين نورانيا تضيء به المكونات وكون سير كل منهما واقعا في جنح ليل مظلم داج اهـ وفي الشفاء ذهب معظم السلف والمسلمين الى ان الاسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك ابن صعصعة وابن مسعود الى ان قال خلافا لمن جعل الاسراء بالروح فقط ولمن قال انه مناما فلو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولا ما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم اهـ ✽ ثم عطف على قوله سريت قوله

✽(وبت ترقى الى ان نلت منزلة ✽ من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم)✽

أى وبت ليلة أسرى بك من مكة الى بيت المقدس بعد وصولك الى المسجد الاقصى ترقى الى ان بلغت سماء الدنيا ثم في السموات سماء بعد سماء الى ان نلت وبلغت منزلة شريفة محلها من المكان الذى شرفه الله تعالى كالعرش مثلا أو غيره مما لم يقدر سبحانه ان يناله بشر بعدها من نحو قاب قوسين حال كون تلك المنزلة التى نلتها لم تدرك ولم ترم اذ لا يطلب الا ما عكن ادراكه وقاب قوسين أى مقدار قوسين وقاب القوس قدر طولها وقيل قدر الوتر منها قال الجوهرى ويقال بينهما قاب قوس وقيب قوس وقاد قوس وقيد قوس أى قدر قوس وقيل المراد بالقوسين قوسا الحاجب اهـ قسطلانى وفي الشفاء وعن أنس في الصحيح عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فاوحى اليه بما شاء وأوحى



اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء قال وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما أودع قلبه من المعرفة والايمان وتدلى بسكون قلبه الى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله أو الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل هو كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام اهـ وفي أبي السعود وبت ترقى أي صرت ترقى من درجة الى درجة من درجات الكمال وتقطع حجابا بعد حجاب من حجب الكبرياء والجلال وتصعد من سماء الى سماء من سموات الله الكبير المتعال حتى انتهيت الى مقام تقصر عنه الهمم العوال ويقف دونه أشرف الملائكة المقربين أعني الروح الامين وصرت من القرب في المقام القدسي بعد التجرد عن المنزل الانسي الى المرتبة اللاهوتية والحضرة الجبروتية والمنزلة الملكوتية كقاب قوسين أو أدنى وهو ذلك المشرب الاصفى والمنزل الاسنى الذي لم يدانه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وهو مقام الفناء الذي اختص به من سائر الانبياء اهـ ❊ ثم عطف رضي الله عنه على ما تقدم قوله

❊ وقدمتك جميع الانبياء بها ❊ والرسل تقديم مخدوم على خدم ❊

أي صيرتك مقدما بين يديها أو التقديم في الرتبة والمكانة والكاف مفعول وألحق الفعل التاء لان جميع في معنى جماعة أو لاضافته الى جمع التكسير الذي يجوز تأنيثه وأجازوا في نحو قطعت بعض أصابعك تأنيث المضاف لاضافته الى مؤنث مع ان المضاف ليس في معنى المضاف اليه فهاهنا أحرى لانه في معناه والفاعل قوله جميع الانبياء بها والرسل تقديم بالنصب مصدر مشبه به أي تقديما مثل تقديم مخدوم وهو الرئيس على خدم ويحتمل ان يريد بتقديم الانبياء له صلى الله عليه وسلم ما ورد في حديث الاسراء من انه صلى الله عليه وسلم امهم في الصلاة ولفظ الحديث صالح للعموم ولا بعد في هذا فان تلك الحالة خارقة للعادة وضمير بها على هذا يحتمل ان يعود على المنزلة ويحتمل ان يعود على الليلة المفهومة من ليلا أو على لفظ ليلا باعتبار انه ليلة أو ساعة منه والباء على الوجهين للظرفية وأما قوله والرسل فيحتمل

الخفض عطفا على الانبياء أى وجميع الرسل والرفع عطفا على جميع وعلى الاول فهو صريح فى العموم وعلى الثانى ظاهر فيه وبلا شك ان القول بامامته لجميع الانبياء وجميع الرسل يتوقف على دليل ظاهر من السنة لانه لم يصرح فى الاحاديث الصحيحة الا بلقاء أنبياء مخصوصين لكن فى السموات وصلاته بهم انما كانت فى الارض فلا بعد فى العموم وفى قوله والرسل على المشهور من كون الرسول أخص من النبى عطف الخاص على العام اه قسطلانى وماذكره القسطلانى من كونه صلى بهم فى الارض ببيت المقدس هو ما اشتهر ورواية أنس بعد ان خطب كل من الرسل خطبته وأثنى على ربه فقال عليه الصلاة والسلام كلكم أثنى على ربه وأنا مثن على ربى وكان من قوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا فقال له أبوه الخليل بهذا فضلتنا يا محمد تقدم فأنت الامام ولغير أنس ان تلك الصلاة كانت فى السماء وذكر بعض الحفاظ تعدد الصلاة جمعا بين الروايتين وفى الشفاء من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس فى رواية أو فى السماء على ماروى وذكر مجىء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه فى فرض الصلاة ومراجعته مع موسى فى ذلك وفى بعض هذه الاخبار فأخذ يعنى جبريل بيدى فعرج بى الى السماء الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ماذكره قال ابن عباس هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام اه * ثم قال رضى الله عنه

* وأنت تخترق السبع الطباق بهم * فى موكب كنت فيه صاحب العلم *

أى وقدمتك والحال انك تخترق بمعنى تقطع السموات السبع الطباق التى بعضها فوق بعض طبقة بعد أخرى حال كونك مارا بهم أى الانبياء الذين قدموك والحال أيضا انك فى موكب من الملائكة كنت أنت يا محمد صلى الله عليك وسلم فيه صاحب العلم وهو الراية قال ذلك على عادة العرب فى اعطاء الراية لزعيم القوم ورئيسهم الذى بثبوته يثبتون وبانهزامه ينهزمون واذا كان صاحب راية الملائكة فهو أفضل منهم ويحتمل ان معنى كونه صاحب الراية أنها تابعة له ومتحركة بحركته تميل معه حيث مال لانه يمسكها بيده اذ هذه الحالة أشرف وليس استعمال القرب لها بهذا المعنى فى قولهم صاحب اللواء كما ظن بعضهم مستدلا بأنه لو كان معناه امساكها لشغله ذلك عن القتال بل معناه تبعيتها له لان الصحيح فى استعمال العرب أن صاحبها انما هو ممسكها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها ممسكها أشد



القتال ولذلك لايليق بامسا كما كل أحد بل مثل علي رضى الله تعالى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأنت تعلم ثبات من له هذه المنزلة من المحبة ولهذا قال يفتح الله على يديه اهـ قسطلاني وفي أبي السعود ما يفيد ان التقديم حقيقي لا رتبي فقط لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء في بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله فرفعه الله الي أنظر اليه ما يسألوني عن شئ الا أنبأتهم وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى عليه الصلاة والسلام قائم يصلي فاذا هو رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوأة واذا عيسى عليه الصلاة والسلام قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم عليه الصلاة والسلام قائم يصلي أشبه الناس بصاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام اهـ قلت وقد اختلف أئمة التحقيق هل كان اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالانبياء والرسل ببيت المقدس وفي السماء اجتماع أرواح أو اجتماع أجساد والذي رجحه الامام البيهقي ودرجنا عليه في كتابنا مشارق الانوار تبعا للمحقق ابن حجر في الصواعق انه اجتماع حقيقي بالاجسام كما هو صريح قوله عليه الصلاة والسلام ان الانبياء أحياء في قبورهم ولم يكن هناك احتياج للتأويل والله أعلم وفي المحلي تخترق السبع الطباق أي السموات مأخوذ من قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا أي بعضها فوق بعض مارا بهم ففي حديث الاسراء من حديث مسلم انه مر في سماء الدنيا بآدم وفي الثانية بعيسى وفي الثالثة بيوسف وفي الرابعة بادريس وفي الخامسة بهارون وفي السادسة بموسى وفي السابعة بابراهيم صلى الله عليهم وسلم فقول الناظم جميع الانبياء والرسل أي الذين لقيتهم اهـ وفي كتابنا ارشاد المريد نقلا عن المواهب ان السر في مراجعة موسى عليه السلام وان كان ظاهره طلب التخفيف باطنه انه يجتلي النور من وجهه الشريف كما أشار الى ذلك سيدي علي وفي بقوله

والسر في قول موسى اذ يراجعه ✽ ليجتلي النور منه حين يشهده
يبدو سناه على وجه الرسول فيا ✽ لله حسن رسول اذ يردده

اهـ ✽ ثم قال رضى الله عنه

✽(حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق ✽ من الدنو ولا مرقى لمستنم)✽
✽(خفضت كل مقام بالاضافة اذ ✽ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم)✽



قوله لم تدع أي في صعودك شأواً أي غاية لمستبق كائنة تلك الغاية من الدنو إلى المكان الذي لا يدركه بشر أو مخلوق ولام في لمستنم وهو طالب الرفعة في الأمكنة وقوله من الدنو ليان الشأو ولا زائدة لتأكيد النفي وجواب إذا قوله خفضت كل مقام لغيرك من الأنبياء بالإضافة أي بالنسبة النظرية بين مقامك المرتفع عن مقام كل مخلوق ومقاماتهم وإن كان ذلك المقام المنخفض مرتفعاً في نفسه وإنما انخفض بالنسبة إلى مقامك وكان ذلك الخفض منك للمقامات إذ نوديت بالرفع من قبل الله تعالى إلى مقام قاب قوسين نداء مصاحباً الرفع شأنك مثل مصاحبة الرفع نداء الاسم المفرد العلم فإنه من حيث كونه منادى شارك جميع أقسام المنادى في ذلك فإن المنادى المضاف والشبيه به والنكرة هذه الثلاثة منصوبة حالة النداء ولا يرفع إلا المنادى المفرد العلم فلما نودي صلى الله عليه وسلم نداء الرفع ورفعت منزلته على سائر أبناء جنسه من النبيين والمرسلين أو من المخلوقين وتفرد عنهم برفع منزلته وخفض منازلهم بالنسبة إلى منزلته أشبه الاسم المنادى المفرد العلم في انفراده بحركة الرفع ونصب غيره من أقسام المنادى فإن قيل المفرد العلم إن نودي بني على الضم وليس بمرفوع حتى يتم التشبيه فالجواب أن الضم يشير إلى المنزلة العليا فهو رفع في المعنى أو يقال الكلام على حذف مضاف أي نوديت بحركة الرفع أي مع حركة الرفع وهو الارتقاء في المنازل ولا شك أن المفرد العلم منادى بحركة الرفع وهو الضم وتقدير الكلام مثل حركة نداء المفرد العلم ومراده بالعلم المعرفة إطلاقاً للخاص وإرادة للعام مجازاً لأن النكرة المقصودة كقولك مقبلاً على رجل لا تعرف اسمه يا رجل فتمامه على الضم وهذا القسم هو من أقسام المعرفة عند المحققين وهو رتبة المشار إليه لأنه تعرف بالقصد والإقبال عليه كالمشار إليه فلم يقصد برجل في يا رجل إلا واحد معين لا الشائع في جنسه والظاهر أن التشبيه بالمفرد العلم إنما هو في النداء بالرفع خاصة لا في خفض مقامات غيره وإذ ظرف للزمان الماضي وقيل حرف تعليل اهـ قسطلاني وفي الشفاء وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأحمر والأسود وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعاً مشفعاً وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد اهـ

* ثم قال رضي الله عنه

* كيما تفوز بوصل أي مستتر * عن العيون وسر أي مكتتم *

أي خفضت كل مقام إذ نوديت بالرفع كيما تفوز أي لتظفر بوصل منه تعالى وهو المقام الذي رفعك إليه والمنزلة التي أحلكها وناداك إلى الصعود إليها وذلك الوصل

مستتر عن العيون أي استتار كما قال أي مستتر وسر بالخفض عطفا على قوله بوصل أي وكي تفوز بسر من اسرار الملك الذي أوحى اليك في ذلك المقام مكتتم أي مكتتم عن الآذان أو عن الاسماع اما استتار ذلك الوصل عن أعين من عاصره فلأنه انما أسري به صلى الله عليه وسلم بالليل وقد نامت العيون وهدأت الاصوات وأما استتاره عن أعين سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين فلأنه مقام لا ينبغي لغيره الوصول اليه ولعل هذا السر المكتتم لم يبينه صلى الله عليه وسلم اذ لا يطيق حمله غيره قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما علمني ربي ليلة الاسراء علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه وهذا البيت من التضمين لتعلق كي فيه بما قبله ويصح تعلق كي بخفضت كما تقدم أو بنوديت أي ناديناك كي أو بالرفع أي رفعناك كي تفوز وما هنا مصدرية تسبك مع الفعل بعدها بمصدر هو المجرور أي لفوزك وتفوز على هذا مرفوع ويحتمل أن يكون منصوبا بأن مقدرة اه قسطلاني * وفي المحلى كيما تفوز علية غائية لقوله سريت وبت الخ وتفوز منصوب بان مضمرة بعد كي وهذا السر مأخوذ من حديث علمني ربي ليلة الاسراء علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه وعلم خيرني فيه وعلم أمرني ان أبلغه فأخذ علي فكان بسر الى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ما خير فيه قال ذكره جمع من الشراح ولم أقف على أصل له في كتب الحديث ولا ينافي ما روى البخاري عن أبي جحيفة قال قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شئ من الوحي ليس في القرآن قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مسلم بكافر لان هذا فيما يتعلق بتبليغ الناس اه * ثم قال رضي الله عنه

فحزت كل فخار غير مشترك * وجزت كل مقام غير مزدحم

وجل مقدار ما وليت من رتب * وعز ادراك ما أوليت من نعم

لما كانت هذه المرتبة العظيمة له صلى الله عليه وسلم وقد بلغت الغاية القصوى في الجلال والنهاية العظمى في الكمال اردفها بقوله مخاطبا له صلى الله عليه وسلم فحزت بسبب ما نلت من تلك المراتب كل فخار وتعظيم يليق بالمخلوق غير مشترك بينك وبين غيرك وجزت بمعنى قطعت أي تجاوزت كل مقام غير مزدحم فيه وجل مقدار ما وليت من رتب شريفة وعز ادراك ما أوليت من نعم المقامات العلية اه قسطلاني وفي المحلى وحزت الاول بالحاء المهملة والزاي من الحيازة بمعنى الجمع وجزت الثاني بالجيم والزاي من جاز المكان اذا تعداه ومشترك يجوز ان يكون اسم فاعل ان قرئ مكسورا واسم مفعول ان قرئ مفتوحا وكذلك مزدحم من الازدحام بمعنى كثرة افراد

الشئ بحيث يضيق بهم المكان وجل" أى عظم ماوليت من رتب أى مناصب شريفة فلا يحاط بها وعز ادراك ماأوليت أى أعطيت من نعم جمع نعمة بمعنى منعم به أى امتنع واستقصى ادراك كاله اه محلى وفى أبى السعود والمراد بالفخار مايفتخر به أهل الله من التجريد والتفريد وقطع العلائق والاتصال بالعالم العلوى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والفقر فخرى الى أن قال والمعنى انك أيها السائر فى فضاء الملك والملكوت الطائر الى عالم اللاهوت والجبروت المترقى فى سره الى مقام تعجز عن الوصول اليه همم السائرين والصاعد الى مرقى يكل عن ان تحوم حول حماه أجنحة الطائرين فلم تدع فى اختراقك السبع الطباق ذروة شرف ولا صهوة مجد لاحد من أهل الاستباق فى ميدان المحبة والاشواق الا وقد تركتها وراء ظهرك على الاطلاق ولم تذر مقام كمال ولا مورد جلال ولا منهل جمال لاحد من أهل القرب والوصال الا وقد تفردت فى طريقه عن المصاحب والمرافق وتقدست فى ميدانه عن المسابر والمسابق لتفوز بوصل قد استتر مقداره عن العيون والاعيان وليظهر عليك سر" قد اكتتم عن العقول والافهام فأنت سر" الكون وعين المكنونات ووجه الحق وعلة الموجودات فعليك أكمل التحيات وأفضل الصلوات ماقامت الارضون ودامت السموات وجرت البحار ونبتت الراسيات الشامخات فخرت باذا الفخر الباذخ والقدر الشامخ فخر كل ذى فخر ومقدار كل ذى مقدار وحزت فى ميادين الفخار قصبات السبق فلم يشق لك غبار وجزت فى الصعود الى ذروة الكمال فلم يلحقك فى حلبة الرهان مغوار بجل وعظم فى منصب النبوة ماوليته من المناصب العلية وعز ادراك ماأوليته اى أعطيته فى مرتبة الفتوة من المواهب السنية فأنت الاوحد الذى ليس له نظير والواحد الذى هو على تخت التوحيد وسرير التفريد سلطان وأمير اه * ثم قال رضى الله عنه

---

*(بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا * من العناية ركنا غير منهدم)*

لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما يتضمن تفضيله على سائر الانبياء فرع على ذلك ان أمته أفضل الامم فقال مخبرا عن هذه الامة باختصاصها بالبشرى على وجه يضمن دخوله فيهم والاخبار بأنه منهم بقوله بشرى لنا معشر أهل الاسلام باتباعه صلى الله عليه وسلم ان لنا من العناية فى ان جعلنا من أمة هذا النبى الكريم ركنا قوى" الاساس والبنيان غير منهدم لايهان من لاذ به ولا يضام فانه حصن حصين وعز مكين أماتنا الله على سنته واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته ومن البشرى لنا معشر الاسلام

ماذكر في بعض اخبار الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه قاب قوسين
قال اللهم انك عذبت القوم بعضهم بالحجارة و بعضهم بالخسف و بعضهم بالمسخ فما
أنت فاعل بأمتي قال أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيآتهم حسنات ومن دعاني منهم
لبيته ومن سألني أعطيته ومن توكل عليّ كفيته وفي الدنيا أستر على العصاة
وفي الآخرة أشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه ماحاسبت أمتك ولما
أراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال رب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتي
قال الله أنا لهم ماعاشوا وأنا لهم اذا ماتوا وأنا لهم في القبور وأنا لهم في النشور فركننا
لا ينهدم حال حياتنا ولا حال مماتنا ولا في مبدئنا ولا في قبورنا ولا في سكوننا ولا في
نشورنا بفضل ربنا ويحتمل أن يكون بشرى خبر مبتدا محذوف أي هذه المناقب
الشريفة بشرى أو مبتدا وساغ الابتداء به على مذهب من يجيزه لحصول الفائدة اه
قسطلاني وفي المحلي ان المراد بالركن الشريعة ونصه بشرى من البشارة وهي الخبر
السار معشر الاسلام أي جميع المسلمين بالنصب على الاختصاص وبين البشرى
بقوله ان لنا من العناية ركناً غير منهدم أي شريعة باقية غير منسوخة وركن
الشئ يعتمد عليه والانهدام التغيير اه وفي أبي السعود بشرى خبر مبتدا محذوف
ويجوز أن يكون منصوبا على المفعول المطلق ومعشر الاسلام منادى أو نصب على
الاختصاص كقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء وان لنا جملة استئنافية
كقول الشاعر

صرّف الهمّ ما استطعت عن القلـــب فحملانك الهموم جنون
ان ربا كفاك بالامس ماكا * ن سيكفيك في غد مايكون

اه * ثم قال رضي الله عنه

﴿ لما دعا الله داعينا لطاعته * بأكرم الرسل كنا أكرم الامم ﴾

لما كان في قوله من العناية ابهام أو دعوى من غير دليل فسر ذلك أو ذكر دليله بقوله
لما دعا الله يعني لما سمى الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم الذي هو داعينا لطاعته
جل وعلا بأكرم الرسل لزم من ذلك ان كنا نحن الذين هم امته أكرم الامم عنده جل
وعلا لأن أكرم الرسل لا يبعث الا الى أكرم الامم فجميع من بعث اليهم صلى الله عليه
وسلم خير الامم مؤمنهم خير المؤمنين وكافرهم خير الكافرين قال تعالى وما
أرسلناك الا رحمة للعالمين ولهذا ارتفع عنهم المسخ والخسف وغيرهما مما حل بالامم
قبلهم ويجاب عن قوله تعالى أكفاركم خير من أولئكم فانه على سبيل الانكار برد
كون كفار هذه الامة خيرا من كفار غيرها بأن المراد كفار قريش خاصة لزيادة
طغيانهم أو المراد ان يكونوا خيرا منهم في القوة اه قسطلاني وفي الشفاء ثم ذكر

كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى عليه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد اه قال بعض العارفين وكفانا شرفا بأمة محمد شهادة الحق لنا في القرآن مرتين حيث قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية وقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدولا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا أي مزكيا لكم لتتم شهادتكم على الامم الماضية لاسيما علماؤها فقد شبههم صلى الله عليه وسلم بأنبياء بني اسرائيل بقوله صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل وان نص الحفاظ على وضعه فانه صح عند أهل الباطن قال العارف الكبير ابن عطاء الله في لطائف منته نقلا عن شيخه القطب الرباني أبي العباس المرسي ان التشبيه من حيث التبليغ للامم فان أنبياء بني اسرائيل بعد موسى ليس لهم كتاب وانما كانوا يبلغون أحكام التوراة لأممهم فكذلك علماء هذه الامة وليس التشبيه في وصف النبوة اه وقد نقلنا في كتابنا ارشاد المريد في معنى قول سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي خضت بحرا وقفت الانبياء بساحله أي بحر الاسرار التي ورثها عن حبيبه الاعظم فقدناها بطريق الوراثة والتبعية لسيدنا الاعظم صلى الله عليه وسلم لا لذاته ولذا قال سلطان العارفين سيدي عبد الوهاب الشعراني عن الغوث الاكبر ابن العربي في كتابه ترجمان الاشواق ان سر القدر لم يطلع الله عليه نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا الا سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال وقد أطلعني الله عليه وذلك لما نلناه من طريق الوارثة المحمدية ولكن لا يسعنا التكلم بذلك لغلبة المحجوبين اه أسأل الكريم متوسلا اليه بجاهه وجه نبيه العظيم أن يكشف عن القلب الغطا وحجاب الصدا وينوره بالمعارف الربانية بجاه خير البرية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى التحية * ثم قال رضي الله عنه

---

* راعت قلوب العدا أنباء دعوته * كنبأة أجفلت غفلا من النعم *

قوله راعت أي أفزعت قلوب العدا أنباء بعثته بكسر الباء بمعنى أخبار ارساله صلى الله عليه وسلم التي صدرت من الكهان والمنجمين قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام وبعده لما كانوا يسمعون ان دينه سيظهر على كل دين وانه يذل كل جبار عنيد وهذه الأخبار التي روعت قلوب العدا والحال انهم غافلون عن دين الاسلام لكونها أتتهم

على حين غفلة كنبأة أجفلت غفلا أى كصوت وردعلى غفل من الغنم لكونها راتعة فى ربيعها مشتغلة فى أكلها وشهواتها فأجفلها ذلك الصوت وفرقها واسناد الروع الى القلوب يحتمل أن يكون من مجاز الحذف أى أصحاب قلوب فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويحتمل أن يكون من تسمية الكل باسم البعض فيكون من المجاز المرسل فى الوجهين سميت الذوات باسم القلوب لانها محل المعنى المسند اليها واما اسناد راعت الى أنباء فمن المجاز العقلى لانه اسناد الفعل الى سببه لان خالق الروع فى القلوب هو الله تعالى اهـ قسطلانى وقد تقدم فى هذا المعنى من كلام الكهان والرهبان لاسيما بحيرا مافيه كفاية * ثم قال رضى الله عنه

﴿ مازال يلقاهم فى كل معترك * حتى حكوا بالقنا لحما على وضم ﴾

أى مازال صلى الله عليه وسلم يلقاهم فيطاعنهم فيطعنهم مع كل معترك وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم وذلك بنفسه تارة وبخيله ورجله من بعوثه أخرى حتى حكوا من كثرة ماأوقع بهم من القتل والجراحة بالقنا طعنا وبالسيوف ضربا وبالنبل رميا لحما مطروحا على وضم وهو كل ماوضع عليه اللحم من خشبة أونحوها ليقيه الارض ويقال للحقير الذليل على طريق الاستعارة لحم على وضم ويحتمل أن يكون هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة كأنه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار حتى تركهم قتلى معدين لان تأكل السباع والطيور لحومهم اهـ قسطلانى وفى المحلى وفى حديث الصحيحين نصرت بالرهب من مسيرة شهر وروينا ونصرت بالرعب مسيرة شهرا امامى وشهر خلفى ويقاس بذلك اليمين والشمال فيكون المراد بالاول شهرا من أى جهة كان بها العدو من الجهات الاربع اهـ * ثم قال رضى الله عنه

﴿ ودوا الفرار فكادوا يغبطون به * اشلاء شالت مع العقبان والرخم ﴾

أى ولما استمر فيهم القتل وأثبتتهم الجراحات ودوا الفرار منه صلى الله عليه وسلم أى تمنوا امالا يتمنى غيرهم مما هو أقبح الخصال عند العرب واذمها وهو الفرار من الزحف فانه من اللئام الجبناء وما كانوا يرضونه فضلا عن تمنيه ومن كثرة ودادهم للفرار وصيرورته من شهواتهم المطلوبة وانه لات حين مفر لهم من غضب الله تعالى الذى حل بهم على يديه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تنزل هربهم منزلة المحال الذى لاينال الا بالتمنى وتمنوا امنه ماهو محال عادة وهو الطيران فى الهواء اذلم يروا ماينعهم من طلبه صلى الله عليه وسلم اياهم الاذلك فكادوا لتمنيهم الفرار الموصوف وشدة حرصهم عليه لو أمكنهم يغبطون به اشلاء جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم شالت أى ارتفعت فى الجو مع العقبان والرخم لرفعها اياها

فكأنهم كانوا يقولون ياليت لنا من الارتفاع فى الجو مثل ما للأعضاء اللحم التى رفعتها العقبان والرخم فارتفعت معها الى منازلها وانما غبطوا أعضاء اللحم دون العقبان والرخم لما حصل بينهم وبين تلك الاعضاء من المشابهة بسبب طعن القنا وغيره على أنهم حالة أعضاء اللحم لاحركة لها الا أن يحملها غيرها ولو شبههم بالعقبان والرخم لأوهم أنهم على أول أمرهم من الشدة والقوة وانما خص هذين النوعين من الطير لابعادهم فى الارتفاع اه قسطلانى وفى أبى السعود والمعنى ان المشركين والكفار الذين بارزوا النبى المختار قد اسود فى بياض أعينهم ضوء النهار وتمنوا من شدة الضر وغاية الاضطرار حين سلبوا القرار أن يتيسر لهم الفرار وتمنوا ذلك وكادوا أن يغبطوا أعضاء قتلى قد رفعها جارحات الطير فارة بها من معارك القتال وفى هذا تصوير لشدة رغبتهم فى الفرار على ألطف وجه وأحسنه وحاصله انهم تمنوا وحسدوا تلك الجوارح التى رفعتها تلك الجارحات يعنى انهم اختاروا تلك الحالة على الحالة التى هم فيها فرغبوا فى الفرار ولو على هذه الحالة التى لايختارها من الاحياء الا من اشتد به البلاء اه نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة * ثم قال رضى الله عنه

*(تمضى الليالى ولايدرون عدتها * مالم تكن من ليالى الاشهر الحرم)*

يعنى انهم من شدة ماد خل فى قلوبهم من الفزع وخامر بواطنهم من الهلع تمضى عليهم الليالى وكذا أيامها ولايدرون عدتها لما هم فيه من الكرب مالم تكن تلك الليالى بأيامها من ليالى الاشهر الحرم فانهم يدرون مامضى منها لانهم يأمنون فيها من طلب المؤمنين اياهم فيستفيقون من سكرة الخوف وترجع اليهم عقولهم ويعود اليهم تمييزهم فحينئذ يتفطنون لما مضى من الليالى ويدرون عدتها وهذا كان قبل اباحة القتال فى الاشهر الحرم عند من رأى انه أبيح فيها القتال قال الله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم الآية وقال عطاء لم تنسخ ولاينبغى القتال فى الاشهر الحرم وهو ضعيف اه قسطلانى وفى أبى السعود ثم انه بين شدة بلائهم وغاية ابتلائهم وحالة حيرتهم وكيفية دهشتهم بأن الليالى تمر بهم ولايدرون عدتها فلا يميزون بين الاسابيع والايام ولايفرقون بين الاشهر والاعوام الا أن تكون تلك الليالى ليالى الاشهر الحرم وذلك من شدة مالحقهم من سلب الحواس بسبب صوارم أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام اه * ثم قال رضى الله عنه

*(كأنما الدين ضيف حل ساحتهم * بكل قرم الى لحم العدا قرم)*



أى كأنما دين الاسلام ضيف حل ساحتهم أى ساحة أهل الاسلام المتدينين به فنزل على أهل الساحة بكل قرم بفتح القاف أى مع كل سيد الى لحم العدا للاسلام قرم بكسر الراء أى شديد الشهوة وبلاشك ان الكرام يسعون فى تحصيل شهوة الضيف ولو ببذل مهجتهم فكأنهم من شدة ما حل بهم من القتل جزر نحرت وقطعت أعضاء انطبخ للضيفان الذين اشتهوا لحمها وهذا الضيف الذى وقع التشبيه به سيد من السادات ولذا نزل مع سادة أمثاله اه قسطلانى وفى المحلى كأنما الدين وهو الاسلام ضيف حل ساحتهم أى نزل فيها بكل قرم بفتح القاف أى سيد من الصحابة الى لحم العدا أى الكفار قرم بكسر الراء أى شديد القوة بأن يصيرهم لحوما معدة لا كل الجوارح اه وفى أبى السعود لما عرفت العرب باكرام الضيف واشتهر المضيف الكريم برعاية حق الضيف حتى عهد منه بذل المهجة والروح فى الانتصار للضيف شبه الناظم رحمه الله تعالى الدين بالضيف ولزم منه تشبيه أهل الدين من الانصار والمهاجرين بالضيف فقال كان الدين القويم الذى جاء به النبى الرحيم الذى هو شفاء للقلوب وضياء للبصائر ودواء للكروب وغوث للمضطرين وصراط للسالكين ضيف كريم متضمن لمن أضافه من التكريم والتعظيم ما تقر به العيون وتطمئن به الخواطر قد نزل بساحة مضياف شديد القوى شديد الرأى ضيفا يسمع ويرى متلبسا بما يحتاج اليه فى دفع الاعداء وقمع الخصماء بجند الله الذين لا تأخذهم فى اقامة الدين وتشييد مبانى أمور المسلمين لومة لائم تتشوق أنفسهم الى منازلة أهل الضلال وسفك دماء أهل البغى كما تتشوق نفس القرم الى أكل اللحوم ولقد مدح الناظم حيث ضمن البيت مدح المهاجرين والانصار على أحسن وجه وألطفه وناهيك فى حالهم قول الله تعالى فى حق المهاجرين للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وفى حق الانصار والذين تبوؤا الدار والايمان الآيه وفى الحديث آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار ولعمرى انهم رضوان الله تعالى عليهم جديرون بقول قائلهم

وكفى بنا فضلا على من غيرنا ❁ حب النبى محمد ايانا

اه ثم قال رضى الله عنه

❁ يجر بحر خميس فوق سابحة ❁ يرمى بموج من الابطال ملتطم ❁

يعنى من شأن من هو مثل هذا السيد انه يجر بحر خميس أى يستتبع جيشا كالبحر فى تموجه واهلاكه الكفار وسمى الجيش خميسا لانه خمسة أجزاء مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساقة وهذا السيد لكونه قائد هذا الجيش يشبه من يجر بحر خميس

برسن كائن مجموع ذلك الجيش فوق خيل سابحة برمي ذلك الجيش بموج من الابطال ملتطم بعضه ببعض لهيجانه والمراد به الافعال المتواصلة للكفار بآلات الحرب للقتال من طعن وقتل وغيرهما اه قسطلاني وفي الشيخ خالد البحر كناية عن الكثرة والخمس الجيش سمي بذلك لانه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة قاله في القاموس وخيل سابحة اذا مدت يدها للجري مأخوذ من السباحة وهي العوم في الماء والابطال جمع بطل بفتح الطاء وهو الشجاع وموج ملتطم أي دخل بعضه على بعض لكثرته * ثم قال رضي الله عنه

من كل منتدب لله محتسب * يسطو بمستاصل للكفر مصطلم

قوله منتدب بكسر الدال يعني مجيب لدعاء الله ورسوله اياه الى قتال الكفار محتسب أجره فيما يناله من موت أو دونه على الله تعالى يسطو بمستاصل للكفر يقتل أهله فلا يوحد وكأن قوله مصطلم تأكيد لمستاصل وهما معا من صفات الآلة التي يقاتل بها فيكون على هذا تعرض لذكر آلة حربهم كما تعرض لذكر خيلهم اه قسطلاني وفي الشيخ خالد والمنتدب المجيب يقال ندبه لكذا فانتدب أي دعاه فأجاب والمحتسب من يقدم الخير ويعده فيما يدخر ويسطو أي يصول ومستاصل للكفر أي يقلعه من أصله والاصطلام الاستئصال قاله في الصحاح اه وفي أبي السعود من كل منتدب أي مجيب لدعوة الحق من غير امهال ملب لداعي الله من غير اهمال قد احتسب في اجابته القربة لمولاه وتوكل في أمره على الله يسطو على الاعداء سطوة الاسود متوكلا على الملك المعبود متقربا الى الرؤف الودود اه * ثم قال رضي الله عنه

حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم * من بعد غربتها موصولة الرحم

مكفولة أبدا منهم بخير أب * وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

أي مازال هذا المنتدب يسطو بمستاصل لاهل الكفر حتى غدت أي صارت ملة الاسلام وهي مصحوبة بهم أي بالصحابة الابطال رضي الله تعالى عنهم أجمعين من بعد غربتها موصولة الرحم بكثرة من ينتمي اليها ويدخل فيها فوصلت بذي رحمها تشبيها لكثرة القيام بحقها بوصل رحم ذات رحم وموصولة في البيت منصوبة خبر لغدت وكذا قوله مكفولة أي محفوظة أبدا بحماية الصحابة رضي الله تعالى عنهم منهم لقيامهم بحقها واعزازهم لرتبتها ومكانتها فهي تشبه امرأة مكفولة بخير أب وخير بعل فلم تيتم من جهة الاب ولم تئم من جهة البعل ولاشك ان المرأة التي يكفلها خير أب وخير بعل في غاية عزة المكان ورفاهية العيش وكأن الذي ينزل من الملة منزلة الاب هو الذي

يدعوا الناس اليها ويثبتها كالنبي صلى الله عليه وسلم ومن يتنزل منزلته من الخلفاء الراشدين والعلماء فانهم الذين يدعون الناس الى دين الله تعالى والذي يتنزل منزلة البعل هو الذي يدعي الى الدخول فيها فيستجيب اه قسطلاني وفي المحلي حتى غدت بالغين المعجمة أي صارت ملة الاسلام من ضافة الاعم الى الاخص وهي مصحوبة بهم أي بالصحابة الابطال رضي الله عنهم من بعد غربتها موصولة الرحم بالنصب خبر غدت وأشار بالغربة الى حديث مسلم بدا الاسلام غريبا أي جاء وظهر بين قوم لا يقومون به فهو منقطع ومقطوع الرحم حتى قام الصحابة رضي الله عنهم فوصلوا رحمه ومكفولة خبر ثان لغدت أي محفوظة أبدا منهم بخير أب وخير بعل أي زوج وهو النبي صلى الله عليه وسلم فلم تيتم من جهة الاب ولم تئم من جهة البعل والنبي صلى الله عليه وسلم أشفق من الاب على أولاده وأقوم بمصالحهم من البعل على زوجاته وفي أبي السعود حتى غدت أي صارت ملة الاسلام وهي متلبسة بهم ذات أقارب وأعوان وأنصار واخوان وخلان وأخدان من بعدما كانت مبلوة بكربة الغربة وبعد الدار ممتحنة بقلة الانصار وضيم الجوار وغدت مكفولة أبد الآباد بخير الآباء وأكرم الاجداد مصحوبة بأشرف البعول وأعز الفحول وهو النبي المختار وأصحابه الابرار والاخيار صلى الله عليه وسلم ما دام الفلك الدوار وبقي الليل والنهار اه ۞ ثم قال رضي الله عنه

﴿هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ۞ ماذا رأى منهم في كل مصطدم﴾

أي لا تستبعد أيها الجاهل ما ذكره مما صارت اليه ملة الاسلام فان أولياءها هم الجبال أنفسهم أو كالجبال التي أرسى الله بها الارض من بعدما كانت تميل وتتكفأ حتى قالت الملائكة فيها قبل خلق الجبال يا ربنا ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا لخلق الله الجبال فارساها فثبتت وتمكن من الانتفاع بها وتمتع بخيرها ونعيمها للاناسي والانعام وهذا تسميه البيانيون تشبيها بليغا لا استعارة فالصحابة رضي الله عنهم ومن دان بدينهم واستمر على شاكلتهم من عباده الصالحين وأوليائه المقربين جبال أرض ملة الاسلام التي بهم بعد تزلزلها سكنت وبقطع دائرة من حاربها من بعد اضطرابها أمنت وان ارتبت في هذا فسل عنهم مصادمهم اسم فاعل أي من صادمهم من أعدائهم فيخبرك المصادم لهم ماذا رأى منهم من الشدة التي لا توصف لعظمتها في كل مصطدم ووقع لهم أو حشره والمراد به الاماكن التي التقوا فيها مع أعدائهم والمصادمة اصطكاك الصفين ولعل مراده فسل عنهم مؤرخ أخبار مصادمهم والا فبين زمن مصادمهم وزمنه مئين من السنين وكيف يتصور سؤال من

عادرفاتاومصادمهم ومصطدم من تجنيس الاشتقاق وهو من رد الصدر على الاعجاز
اه * ثم قال رضى الله عنه

﴿وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا * فصول حتف لهم أدهى من الوخم﴾

أى سل زمن كل وقعة من هذه الوقعات فان تلك الازمنة فصول حتف لهم أى أزمنة موت الكفار أدهى عليهم لما يصيبهم فيها من الوخم فان ما يموت منهم فى زمن الوباء مع تطاوله لا يبلغ كثرة فيهم مبلغه زمن مقاتلتهم المؤمنين فى الساعة الواحدة وهذا التفسير أولى وأقرب لان قوله فصول حتف بدل من حنين وما عطف عليه بدل مجمل من مفصل والفصول جمع فصل وهو من أسماء الزمان ويحتمل ان يكون مراده وسل أهل حنين وأهل بدر وأهل أحد أو مؤرخى وقعة حنين أو بدر أو أحد وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان وهو واد بين مكة والطائف وفيه التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مع المشركين من هوازن وثقيف فانهزم الكفار وقتل منهم كثير وسبيت أموالهم ونساؤهم وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثنتين وبدر اسم ماء بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا على طريق مكة وعنده كانت وقعة بدر الكبرى وقتل فيها من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون وكان عددهم نحو الالف والمسلمون نحو ثلثمائة وروى انه نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض على رؤسهم عمائم بيض وقد أرخوا أطراف عمائمهم بين أكتافهم وقال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وكانت غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث وهو جبل بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيها من المسلمين سبعون منهم حمزة وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا وكان جميع المشركين ثلاثة آلاف والمسلمون سبعمائة اه قسطلانى وفى الشفاء فى وقعة حنين عن أبى اسحق سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال القد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول ❁ أنا النبى لا كذب ❁ وزاد غيره ❁ أنا ابن عبد المطلب ❁ قيل فما رؤى يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره نزل النبى صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكره مسلم وعن العباس فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم

يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى بالمسلمين اهـ وسبب انهزام المسلمين ان بعضهم وكان من الطلقاء أهل مكة قال لن نغلب اثنا عشر ألفا من كثرة وهذا مصداق قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت أى مع اتساعها ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية فأخذ صلى الله عليه وسلم كفا من حصى وتراب ورمى به فى وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه أى قبحت فما بقى منهم أحد الا دخل فى عينيه من ذلك التراب كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أى وما أوصلت التراب الى أعينهم اذ رميتهم ولكن الله اوصله اليهم وهزمهم الله شر هزيمة وانتصر المؤمنون انتصارا عظيما كما قال تعالى وعذب الذين كفروا أى بالقتل والاسر والسبى وبلغت الغنائم والسبايا فى هذه الوقعة مبلغا عظيما وأمسك صلى الله عليه وسلم عن قسم الغنيمة ثلاثة عشر يوما ثم بعد قسمها جاءت هوازن منقادين طائعين يؤمهم زهير شاعرهم فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم وأنشده قصيدة مطلعها كما فى المواهب

امنن علينا رسول الله فى كرم ❊ فانك المرء نرجوه وندخر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ❊ مشتت شملها فى دهرها غير
ان لم تداركهم نعماء تنشرها ❊ يا أرجح الناس حلما حين يختبر

الى آخرها فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه اختاروا اما السبى واما المال ثم قال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وأما ما كان للمسلمين فأمره اليهم فطابت نفوس المسلمين جميعا برد السبايا وأسلم كثير من هوازن بعد ذلك وبالجملة فوقعة حنين وبدر وأحد أعظم الوقائع التى شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول عز أعز الله الاسلام كان بوقعة بدر حيث قتل فيها صناديد قريش كأبى جهل واضرابه وقد أفردت هذه الوقائع بالتآليف والله أعلم ❊ ثم قال رضى الله عنه

❊ المصدرى البيض حمر ابعد ما وردت ❊ من العدا كل مسود من اللمم ❊

لما وصف رحمه الله تعالى الصحابة رضى الله عنهم بما وصفه أردف ذلك بقوله المصدرى البيض بالاضافة والمضاف منصوب باضمار امدح أواذكر والاصل المصدرين وحذفت النون للاضافة أو للتخفيف يعنى ان الصحابة يرجعون صفائح السيوف البيض حمرا بعد ما وردت تلك الصفائح من دماء أعضاء العدا كل مسود من اللمم فشبه السيوف بابل بيض أوردت ينبوعا اسود يجرى بماء أحمر ثم صدرت وقد عادت بعد بياضها حمرا من تلبسها بذلك الماء الذى وردته وفى قوله كل مسود دليل على شجاعة الصحابة رضى الله عنهم وارتفاع همتهم فانهم لا يرضون الا بقتل سود



الام وهم الشبان فى الغالب اهـ قسطلانى وفى أبى السعود الصدر الخروج من المنهل بعد قضاء الوطر من الشرب والعلل من الماء والورود الدخول فيه لذلك قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون واللمم بالكسر جمع لمة وهى دون الجمة وهى ما ألم من شعر الرأس واللمم بفتحتين جنون خفيف ويقال أيضا على مادون الفاحشة من صغار الذنوب ومنه قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم والبيض جمع أبيض وهو السيف الصقيل اهـ وكفى شرفا فى وصف شجاعتهم وصلابتهم وحلمهم مع اخوانهم شهادة الله تعالى بقوله جل ذكره والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقد كانت عزائمهم متوجهة الى نصرة الدين واعلاء كلمة الحق واليقين وكانوا يشاهدون الجنة تحت ظلال السيوف فكانوا عند ذلك يبذلون أرواحهم ومهجهم وقد وقع ذلك من بعض صغارهم كما فى صحيح البخارى من قصة معوذ ومعاذ ابنى عفراء حيث وقف أحدهم على يمين سيدنا عبد الرحمن بن عوف والآخر عن يساره فقال الذى عن اليمين يخاطب سيدنا عبد الرحمن ياعم بلغنى ان رجلا فى صف الكفر هذا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لا يفارق سوادى سواده حتى أقتل أنا أو هو فما قالها الذى عن يمينه الا قال مثلها الذى عن يساره قال عبد الرحمن بن عوف فما سررت بشئ من الدنيا مثل ماسررت بكلام هذين ثم أشار الى أبى جهل وقال هذا صاحبكما الذى امام صف المشركين فتسابقا اليه كالصقرين فابتدراه بضربتيهما حتى أثخناه ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم أجمعين وقد ثبت ان أبا جهل قطع كف معوذ فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فتفل عليها فعادت كما كانت ببركته صلى الله عليه وسلم ثم عطف رضى الله عنه على المصدرى قوله

والكاتبين بسمر الخط ماتركت * أقلامهم حرف جسم غير منعجم

فقوله والكاتبين أى الطاعنين بسمر الخط التى هى شبيهة بأقلام الكتاب وهى الرماح الخطية ماتركت أقلامهم حرف أى طرف جسم من أجسام الكفار غير منعجم بل طعنته وفى هذا البيت لطائف منها ان تشبيههم بالكتاب والسمر بالاقلام دليل على غاية احكامهم للطعن بها حتى انها فى أيديهم كالاقلام فى يد الكتبة لا كبير مشقة عليهم فى التصرف بها ومنها انهم لا يطعنون طعنة الا فى محلها كما لا ينقط حرف الا بما يستحق ومنها انهم أعجموا حروف أجسام الكفار أى أزالوا العجمة عنهم بالنقط المبين ليتميزوا من المؤمنين فان الامر مختلط فى الحروب فيتميز الكافر بنقطه والمؤمن بسلامته اهـ قسطلانى وعبارة بعضهم فى شرحه

والكاتبين بسمر الخط عطف على قوله المصدري البيض وأراد من الكاتبين الطاعنين فيكون قد شبه الطعن بالكتابة بجامع التأثير في كل واستعار الكتابة للطعن واشتق من الكتابة بمعنى الطعن الكاتبين بمعنى الطاعنين على طريق الاستعارة التصريحية التبعية والمراد بسمر الخط الرماح الخطية فاسمر جمع أسمر وهو الرمح والخط شجر تتخذ منه تلك الرماح وقيل موضع باليمامة تجلب اليه تلك الرماح من الهند وقوله ماتركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم أي لم تترك أسنة رماحهم طرف جسم من أجسام الكفار غير مزال عجمته بل ازالت عجمته أي خفاءه بالطعن بان طعنته ليتميز الكفار من المؤمنين فان الامر مختلط في الحروب فيتميز الكافر بطعنه والمؤمن بسلامته كما يتميز الحرف المعجم بنقطه والمهمل بخلوه عن النقط فالمراد بأقلامهم أسنة رماحهم فيكون قد شبه أسنة رماحهم بالاقلام واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية والحرف بمعنى الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على طرف وجانب من الدين اه ❊ ثم انه يوجد في بعض النسخ بيت نصه

❊ وان قام في جامع الهيجاء خاطبهم ❊ تصامت عنه أذناصمة الصمم ❊

قوله خاطبهم أي خاطب المؤمنين وصمة الصمم بكسر الصاد في الاولى أي أشدهم شجاعة قال العلامة ابن مرزوق وهذا البيت لم يثبت في روايتي وانما هو في بعض النسخ والظاهر انه ليس من كلامه ولذا وقع الاضطراب في تفسيره وهذا شأن كثير مما أدخل في هذه القصيدة مما ليس من كلامه وفي ذلك دلالة على خلوص نيته وصدق محبته ومما يدل على كونه دخيلا قوله شاكي السلاح فانه ظاهر الاتصال بقوله غير منعجم لانه لما أخبر ان الصحابة رضي الله عنهم قطعوا حروف أجسام الكفار وأزالوا الاعجام عن أجسامهم حتى تميزوا بما حصل فيهم من الطعن عن المؤمنين أراد أن يخبر عن علامة المؤمنين التي تميزهم في أنفسهم لان سلامتهم من الطعن وان كانت مميزة لهم عن الكفار لكن تلك علامة اضافية تميز من اقتتل منهم مع الكفار فبقي مايميزهم بالاطلاق عن الكفار فوصفهم بما يميزهم فقال

❊ شاكي السلاح لهم سيما تميزهم ❊ والورد يمتاز بالسيما عن السلم ❊

أي هم شاكي أي تامي السلاح وحاديه لهم سيما تميزهم عن غيرهم وتلك السيما اما كونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم واما كونهم يرون ركعا سجدا سيماهم في وجوههم من أثر السجود قال شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر

ليلة البدر وكأنه قيل له الفرق الذي ذكرت بين الفريقين في شاكي السلاح معنوي خفي لا يفطن له الا الاذكياء فلا يحسن جعل سيما الكل أحد واعيا يرى الاكثر تساويهم في لبس السلاح الحسي فأجاب بقوله والورد يمتاز بأسماء عن السلم يعني ان شجر السلم والورد وان كانا شجرين مورقين بورق ذي شوك الا أن ذلك لا يمنع ادراك الفرق لكل ذي بصر فان الورد يمتنع عن الحيوانات الخسيسة كامتناع الشجاع من الاعداء الانذال سهل التناول على الاحباء وطيب رائحة الورد وحسن خلقه وشرف منزلته وبهاء منظره لا يخفى فكأنه يقول كما لا يخفى امتياز الورد بسيماه من السلم كذلك لا يخفى امتياز الصحابة رضي الله تعالى عنهم بسيماهم من غيرهم اه قسطلاني ثم ان تركيب شاكي السلاح كثر كرب المصدري البيتين وأصله شاكين السلاح لكن حذفت منه النون للاضافة أو للتخفيف وأصل شاكي شاوك فهو من الشوكة التي هي الحدة فدخله القلب المكاني فصار شاكو ثم دخله القلب الذاتي فصار شاكي قال ابن العماد والسيما العلامة وهي السمت الحسن والخشوع وقيل سيماهم صفرة الوجوه من السهر اذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقيل سيماهم أثر التراب على وجوههم كانوا يسجدون على التراب لا على الاثواب رضي الله تعالى عنهم وحشرنا في زمرتهم والسلم شجر له شوك والسلام شجر عظام الواحدة سلامة وسمي بذلك لسلامته مما يلحق ما دق من الشجر من الكسر والدق اه * ثم لما ذكر رضي الله عنه ما تقدم اتبعه بما يزيد بيانا وتبيينا فقال

---

* تهدي اليك رياح النصر نشرهم * فتحسب الزهر في الاكمام كل كمي *

تهدي بضم التاء مضارع أهدى اليك رياح النصر نشرهم الطيب الذي يمتازون به كامتياز الورد برائحته عن السلم فتحسب الزهر حال كونه في الاكمام كل كمي أي كل شجاع متكنف في سلاحه كالزهر في اكمامه وهي غلافاته التي يكون فيها شبه أجسامهم الطاهرة الطيبة حالة كونهم متقنعين في السلاح بالازهار في اكمامها قبل أن تتفتق عنها فهم رضي الله تعالى عنهم من لم يميزهم بسيماهم الظاهرة التي هي كسيما الورد في بهاء المنظر وطيب الرائحة وذلك لمن شاهدهم فانه يميزهم بما توصله اليه رياح النصر من طيب الثناء عليهم وصدق الخبر عنهم لتواتره بأنهم المنصورون وأصل كمي كميّ بالتشديد على وزن فعيل حذفت الياء الساكنة وسكنت المتحركة لثقل الكسرة على حرف العلة اه قسطلاني وفي كلام بعضهم والمراد برياح النصر الرياح التي حصل بها النصر فالاضافة لادنى ملابسة ويحتمل ان المراد بها بركات النصر وآثاره وقد يراد بالرياح الدولات كما في قول الشاعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فعقبى كل عاصفة سكون

والمراد بالنشر الخبر السار مجازا عن الرائحة الطيبة وقوله فتحسب الزهر فى الاكمام كل كمى كان حق الكلام أن يقول فتحسب كل كمى الزهر فى الاكمام لكن المصنف قد جعله من باب التشبيه المقلوب على حد قوله

ومهمه مغبرة ارجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه

وقوله

وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح

﴿ كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحزم لا من شدة الحزم ﴾

﴿ طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا * فما تفرق بين البهم والبهم ﴾

شبههم تشبيها مطلقا بقوله كأنهم حال كونهم فى ظهور الخيل نبت ربا فى بهاء المنظر وحسن المخبر وطيب الرائحة والثبات والاستقرار وأنهم وان تحركوا عليها لم يتحركوا عما يقلعهم من أصل ظهورها بل انما يتحركون للطعن والاتقاء مع ثبوت أصلهم كما يتحرك النبات على ظهر الربا بحركة الرياح ثم ثبات أصلهم على ظهور خيلهم انما هو من أجل شدة الحزم الذى أوتوه وهو بفتح الحاء لا من أجل شدة الحزم بضم الحاء والزاي وهى سروج الخيل أوغيرها مما تشد به على ظهر الدابة ولا من أجل شدهم أنفسهم عليها بحزمهم وشبههم بنبت الربا ولم نشبههم بالشجر لان الشجر تشبه به العظام من الكفار وأما النبت فان الرياح تنسفه يمينا وشمالا ومثله المؤمن فى المحن الدنيوية كما فى الحديث المؤمن كالخامة من الزرع وخصص نبت الربا لانه أحسن النبات لانه يأخذ حظه من الماء ثم يسيل عنه ويأخذ حظه من الشمس والرياح على اختلاف أنواعها فتجده أخضر يانعا غضا يروق الناظرين ويعجب حسنه المتأملين وأما نبت المنخفض من الارض فقد يستقر فيه الماء فيقتله ويصفر لونه لان التلال التى أحاطت به تمنعه الشمس والرياح وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم كالحبة فى حميل السيل وفى قوله من شدة الحزم احتراس حسن وفى ظهور الخيل للظرفية ومعنى على عند بعضهم والوجهان فى قوله تعالى فى جذوع النخل ولما ثبت من وصف الصحابة رضى الله عنهم ما ثبت من الشجاعة والتأييد الالهى بالنصر طارت قلوب العدا من أجل بأسهم فرقا فما تفرق بين البهم وهى أولاد الضأن وبين البهم وهم شجعان الفرسان فالاول بفتح الباء والثانى بضمها وهذا من شدة الفزع والرعب الذى حل بهم حتى صاروا من الدهش لا يميزون بينهما وهذا أحسن ما يفسر به البيت اه قسطلانى وفى المحلى نبت ربا جمع ربوة مثلث الراء وهو ما ارتفع من الارض ونبتها أثبت فى الارض من نبت غيرها لطول عروقه حتى يصل الى الماء بخلاف نبت غيرها



فهم في ظهور الخيل أثبت من غيرهم بكثير من شدة الحزم بكسر الشين وفتح الحاء أي قوة الثبات لا من شدة الحزم بفتح الشين وضم الحاء والزاي جمع حزام وهو ما يشد به السرج أو غيره على ظهر الدابة وقوله طارت قلوب العدا أي اضطربت من بأسهم أي من أجل شدتهم في الحرب فرقا أي فزعا فاتفرق بين البهم بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة بزيادة الهاء وهي السخلة والبهم بضم الباء وفتح الهاء وهم الشجعان جمع بهمة بسكون الهاء والمعنى ان الفزع اشتد بالقلوب الى أن صارت لا تميز بين البهم والبهم اه ثم الناظم ذكر أنه حصل للعدا الفزع الشديد من بأس الصحابة رضي الله عنهم اشار الى أن ذلك انما هو بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال

﴿ومن تكن برسول الله نصرته ❁ ان تلقه الاسد في آجامها تجم﴾

أي ومن تكن نصرته برسول الله صلى الله عليه وسلم كالصحابة ومن حذا حذوهم ان تلقه الاسد في آجامها أي تستتر فيها بالاشجار الملتفة فان أحدا لا يقدر على الدخول فيها عليها احرصا وان انتزع منه أعز ما يكون عليه فانه لا يتبعها لشدة الخوف فهي في آجامها ممتنعة فانها اذا رأت على من يريدها في ذلك المكان زرق ولو كان معه من الجمع ما يمكن أن يوجد خوفا من هيبة صوتها لكن ان لقيت من ينتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم انعكس الحال فتصير الاسد ان أحست بذلك المنتصر تجم من هيبته أي تسكن ولم يسمع لها صوت خوفا من أن يكون صوتها دالا على مكانها فيأتيها المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض عليها ويحتمل أن يراد بالاسد الشجعان وبالآجام الحصون ويناسب حمل الاسد على الحقيقة قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد ولا تكون النصرة برسول الله صلى الله عليه وسلم الا باتباع سنته وترك كل ما جاء على خلاف شريعته فمن حصلت له هذه المرتبة طارت قلوب العدا من بأسه وسلم من أعدائه فان لقيه الاسد في أجمته استخفى ووجم واتباع السنة عين تقوى الله والحامل عليها عين خوف الله فمن خاف الله أخاف منه كل شئ اه قسطلاني وفي الشفاء ومن هذا الباب أي باب المعجزات ماروى من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد قال فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق اه ومن باب الانتصار به صلى الله عليه وسلم انتصار الظبية به وشكوى الجمل اليه ففي الشفاء عن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه

وسلم في صحراء فنادته ظبية يارسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان بكسر الخاء وسكون الشين المعجمتين أي ولدان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الاعرابي وقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله اه وفي أبي السعود والآجام جمع أجمة وهي غاب الاسد ومن شرطية وتكن يجوز أن تكون تامة وأن تكون ناقصة فنصرته اما فاعل أو اسم والباء للسببية أو للاستعانة وبرسول الله اما خبر او متعلق بنصرته والجملة الشرطية أعني أن تلقه جزاء الشرط والضمير في تلقه عائد الى من وفي آجامها حال من الاسد وفائدة التقييد به المبالغة والتوكيد في حصول الهيبة والسطوة لمن كان منتصرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فان الاسد في آجامها أشد بأسا منها في غيرها فاذا وجت هنالك عند ملاقاة من هو منتصر به صلى الله عليه وسلم كانت هيبته وسطوته أشد وأقوى وتجم بكسر الجيم جواب الشرط والمعنى ان من كان ناصرا لدين الله وشريعته أو كان منصورا بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو باستعانته من متابعته واقتفاء سنته فقد شملته العزة القاهرة واحاطت به السطوة الباهرة وتجلت بجلباب القدرة الربانية وتردى برداء العظمة السلطانية فهو محفوف بالالطاف السبحانية في كنف العناية المهيمنة منصور نصر من عزت كلمته محفوف بكلاءة من جلت قدرته فلا يلاقيه شجاع من شجعان ميدان فرسان النزال أي القتال والحرب ولا يصادمه صنديد من صناديد معارك القتال الا تراه رعدت فرائصه تيقنا منه بنزول الهلاك والبوار ولحوق العار ودخول النار فترى الاسود في آجامها بعد زئيرها الى آكامها قد وجمت وجوم من استولت عليه الهموم والاحزان وأطرقت اطراق من استغلبت عليه الغموم والاشجان اه نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊ ولن ترى من ولي غير منتصر ❊ به ولا من عدو غير منقصم ❊

لما ذكر ما تقدم عقبه بقوله ولن ترى من ولي من أوليائه صلى الله عليه وسلم غير منتصر به على عدوه وأولياؤه هم من آمن به صلى الله عليه وسلم وكان على هديه وطريقته ولا ترى من عدو له غير منقصم أي به فيكون من الحذف من الاواخر لدلالة الاوائل عليه ولفظ منقصم بالقاف وفي بعض النسخ بالفاء فان قيل اذا أخبر ان الولي منتصر علم ان العدو منقصم لانه من المعلوم ان أحد المتقابلين اذا انتصر فمقابله مخذول فما حكمة قوله ولا من عدو فالجواب لا نسلم دلالة الشطر الاول على انقصام العدو كما ذكر

السائل بل انما يدل على انه غير منصور وذلك أعمّ من كونه منقصما لجواز أن تغلب بالهزيمة ويسلم مع ذلك والاعمّ لا اشعار له بالاخص المعين سلمنا دلالة الشطر الاول على ذلك لكن دلالته على انقصام العدو باللزوم ودلالة الثانى بالمطابقة ولما كان سياق هذا المدح فيما نال الاعداء من المهالك ناسب الاطناب فى الاخبار عن أحوالهم بدلالة المطابقة والالتزام اهـ قسطلانى وفى أبى السعود الولى فعيل من الولى بمعنى القرب يقال وليه بمعنى قرب منه والمصدر منه الولى ووليه أحبه ومصدره الولاء قال الشاعر

ولائى لكم يا آل أحمد جنة ❊ تقينى يوم الحشر هولا ونيرانا

والولاية بالفتح النصر وولى أمره قام به ومصدره الولاية بالكسر وقوله صلى الله عليه وسلم فى حق على رضى الله عنه اللهمّ وال من والاه يحتمل الفتح والكسر والولىّ من أسماء الله تعالى بمعنى القريب الودود والانقصام بالقاف الكسر مع فصل وبالفاء بدونه وان لتأكيد النفى والرؤيا اما بمعنى العلم المتعدى الى مفعولين أو بمعنى الابصار المتعدى الى مفعول واحد ومن زائدة فى المفعول أى ولن ترى وليا وغير يجوز فيه الجر على انه نعت لولىّ والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف والنصب على انه مفعول ثان لترى ان كان من أفعال القلوب أو على الحال ان كان بمعنى الرؤية البصرية اهـ والكلام على الولى بأقسامه وكراماته وأنواعه سبق لك مستوفى فلا تغفل ❊ ثم قال رضى الله عنه

❊أحلّ أمته فى حرز ملته ❊ كالليث حلّ مع الاشبال فى أجم❊

هذا البيت كالتعليل للبيت قبله فكأنه قال لانه أحلّ أمته فى حرز ملته وشريعته التى هى كأعظم الحصون المنيعة التى لا تنال ولا يدخلها الا من هو من أهلها كالليث وهو الاسد حل مع الاشبال فى أجم فانه لا يستطيع الدخول عليه فى ذلك المكان الا واحد من أشباله أى أولاده وابناء جنسه فهو صلى الله عليه وسلم بمثابة الليث وأمته بمثابة الاشبال ودين الاسلام بمثابة الاجم وهذا التشبيه اما لان ما حصل لهم من اليقين بصحة الاسلام فى قلوبهم يهوّن عليهم بذل نفوسهم فى ذات الله تعالى فشتدّ لذلك قتالهم لانّ موتهم فى سبيل الله أشهى عندهم من الحياة وهذا هو الحصن الحقيقى واما لانّ ما حصل لهم من الايمان فى القلوب بمثابة من حلّ فى حصن حصين فمن أراد أن يدخل عليهم فيه شيأ مما يخالفه لم يجد الى ذلك سبيلا وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالاسد وأمته بالاشبال لانّ الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالآباء لاممهم اهـ قسطلانى قال العلامة السعد أحله أنزله والامة نوعان امة الدعوة وهى كل من بلغه دعوة النبىّ صلى الله عليه وسلم وأمة الاجابة وهى كل من آمن به والحرز



مايحرز به الشئ أي يحفظ والملة الدين الذى أملى من السماء والشبل ولد الاسد والاجمة والاجم كالثمرة والثمر وقوله كالليث حال من ضمير أحل وحل اما صفة على طريقة ❊ ولقد أمر على اللئيم يسبني ❊ أوحال على طريقة قوله تعالى حصرت صدورهم شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالاسد في السلطنة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش وحمايته لاشباله وجعل أمته أشباله وأولاده لانه عليه السلام سبب نجاتهم الابدية وشبه الملة التي سماها حرزا بالاجم في ان كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير وفي تسميتها حرزا اشارة الى قوله تعالى، لا اله الا الله حصني ومن دخل حصني امن من عذابي والى قوله عليه الصلاة والسلام أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الحديث اه * ثم ان انتصار دين الاسلام يكون بالسيف تارة وبالحجج أخرى وأقوى تلك الحجج حجج القرآن كما افهمه قوله

❊ كم جدلت كلمات الله من جدل ❊ فيه وكم خصم البرهان من خصم ❊

أي كثيرا ما جدلت بتشديد الدال يقال جدله أي صرعه ويجوز تخفيف الدال الا ان المشدد يفيد التكثير ويحتمل ان يكون معناه كم قطعت كلمات الله من جدل بكسر الدال اسم فاعل من جدل جدلا أي أحكم الخصومة وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا والاسم الجدل وهو شديد الخصومة فيه أي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أوفي دينه وكم أي كثيرا ما خصم البرهان أي الحق بادلته القاطعة وبراهينه الساطعة من خصم أي شديد الخصومة فيه فهو من الحذف من الاواخر لدلالة الاوائل عليه اه قسطلاني وفي الدسوقي على المحلي قوله وكم خبرية الخ أي والمجرور في الموضعين تمييز لها ومعنى البيت كم أزال القرآن جدال المجادل الاشد وكثيرا ما ازالت الخصومة حجة النبي ومعجزته من الخصم الالد فالاول اشارة الى ما وقع في القرآن من جواب المعاندين السائلين ومنه ما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فان أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وان أجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبي فنزلت قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ونزل قل الروح من أمر ربي فاحال علمه الى ربه ومنه أيضا ما روى ان اليهود قالوا لكبراء المشركين اسألوا محمدا لم انتقل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فلما نزل القرآن بذلك قالوا ما هذا الا سحر مبين والثاني اشارة الى ما وقع منه صلى الله عليه وسلم اجابة لاسئلتهم على وجه الامتحان كسؤالهم له اراءة آية كآية انشقاق القمر وغيرها وعطف الثاني على الاول من عطف العام على الخاص اه

❊ ثم قال رضى الله عنه

﴿كفاك بالعلم فى الامى معجزة ۞ فى الجاهلية والتأديب فى اليتم﴾
أى يكفيك العلم فى النبى "الامى" وهو الذى لا يكتب ولا يعلم من معلم معجزة دالة على صدقه فيما جاء به فى زمن الجاهلية وفى أهلها وكفاك أيضا ما فيه من التأديب معجزة فى اليتم بضم التاء اتباعا لضم الياء لضرورة الوزن وهو فى الناس فقد الأب وفى البهائم فقد الام وهو صلى الله عليه وسلم قد مات أبوه وهو فى بطن أمه وشأن اليتيم فى الاغلب ان لا يكون فيه من الآداب ما يكون فى ذى الأب لان الأب يحتفل بتأديب ابنه ويسعى فى تكميله باكتساب الصفات الحميدة وغير الاب لا يكون منه ذلك فلما وجد منه صلى الله عليه وسلم من العلوم ما لا يبلغ بتعليم لمن تصدى لها فكيف بمن لم يتصد ومن الآداب ما لا ينال بارشاد لمن له مؤدب فكيف بمن عدمه دل على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ قسطلانى وكفى شرفا قول البارى جل شأنه فى مقام الامتنان وخطابا لحبيبه الاكرم ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى أى ألم يجدك يتيما فآواك اليه وتولى تربيتك لديه ولم يجعل لمخلوق عليك منة ووجدك ضالا تائها عن طريق ابيك ابراهيم فهداك اليها بالوحى وفى أبى السعود كفاك فى ثبوت حجته وسطوع بيناته ووضوح براهينه وافحام معجزاته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام احاطته بعلوم الاولين والآخرين مع كونه أميا لم يمارس ما خط فى الكتب والرسائل ولا يدارس أهل العلم وأصحاب الحجج والدلائل وتحليه بحلى جميع الآداب باطنا وظاهرا وتزكيته من رجس الادناس ونشئه طيبا طاهرا وقد تربى يتيما بين أخلاف الجاهلية الذين كانوا عراة من ملابس الآداب عزلا عن سلاح يقمع الخطأ فى السؤال والجواب وما ذلك الا بتأييدات سبحانية ومدامات ربانية خارجة عن طوق البشرية داخلة فى حومة القدرة الالهية اهـ ۞ ثم عقب الناظم تلك بالاقرار بما ارتكبه والتوسل الى الله تعالى فى غفران ذلك فقال

﴿خدمته بمديح استقيل به ۞ ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم﴾
أى خدمته صلى الله عليه وسلم بمديح وهو هذا وكأنه يخاطب الله تعالى يقول يارب خدمت رسولك عليه الصلاة والسلام بمديح حال كونى استقيل أى أطلب منك ان تقيلنى به من ذنوب عمر مضى فى نظم الشعر مدحا فى الناس والخدم لهم بما ليس فى طاعة الله جل وعلا هذا وان كان الا انه قد يخرج فيه الى المحرم اهـ قسطلانى وفى أبى السعود الخدمة اداء حوائج الشخص والاستقالة طلب الاقالة وهى فى الاصل الاخذ باليد عند العثار ومنه ما جاء فى الدعاء اللهم أقل عثرتى والشعر هو الكلام المقفى الموزون المخيل وفى الاصل العلم ومنه قول بلال رضى الله عنه

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ❋ بمكة حولي اذخر وجليل

والضمير في خدمته راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى بيان علاج مرضه القلبي من داء ذنبه القوي فانه لما كان قد ابتلي بذنبين عظيمين واثمين شديدين احدهما يتعلق باشتغال البال عن ذكر الكبير المتعال وترتيب الاقوال واللغو في المقال وتوجه الخاطر بكل كله الى ما لا يعني من الشعر الذي أشار اليه الحكيم الحاذق بالحقائق والعارف المطلع على النكت واللطائف عليه من الصلوات أزكاها ومن التحيات أنماها بقوله لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلئ شعرا وثانيهما يتعلق بالاعضاء والجوارح كما يتعلق بما تحويه الضلوع والجوانح وهو خدمة الامراء والسلاطين التي هي أشد هلاكا من سم الافعى والتنين ولقد أحسن في معالجة هذين الداءين العضالين بملازمة تركهما قطعا وعدم الالتفات اليهما طبعا وجبر ما فات من تضييع الاوقات بخدمته من خدمته خدمة الاله واطاعته اطاعة الله فخدمته خدمة الحق ومدحته كفارة لما جرى من اللغو في النطق فلذلك تستقال العثرات وتغفر الزلات اه ثم قال رضي الله عنه

❋اذ قلداني ماتخشى عواقبه ❋ كأنني بهما هدي من النعم❋

اذ قلداني أي الشعر الذي قلته في الناس والخدم التي صدرت مني لهم أي جعلا في عنقي من الآثام ما هو كالقلادة وذلك الذي قلداني هو ما تخشى عواقبه اذ هو ان لم يغفره الله مؤد الى الهلاك الدنيوي والخسران الاخروي حتى كأنني بهما هدي من النعم فكما لا يخفى الهدي من النعم على رائيه بما قلد في عنقه من تعليق نعل أو غيرها فكذلك انا لا يخفى استحقاقي العقاب بما اكتسبته من الآثام بسبب مدحي غيره صلى الله عليه وسلم من أهل الدنيا وخدمتي اياهم على من رآني وعرف حالي اهـ قسطلاني وفي أبي السعود واذ تعليل لاستقيل ويجوز أن يكون تعليلا لخدمته والضمير في قلداني عائد الى الشعر والخدم وما موصولة منصوبة بقلداني على انها مفعول ثان له أي قلداني الامر الذي تخشى عواقبه وتخشى مبني للمفعول وعواقبه مرفوع به أقيم مقام الفاعل قال العلامة السعد لاني رأيت ان خدمة المخلوق والركون اليه ونظم الاشعار في مدائح كل أحد ورضاه عليه مما قلداني عملا تخاف عواقبه واملا تخشى معاطبه واني وان تنزلت عن مدارج الملكوت وتخلفت عن التدرج في معارج الجبروت وابتليت بالحزن الدائم والقلب الهائم بل انخرطت في سلك البهائم ولكن لم يحول وجه قلبي عن قبلة الاقبال وما زاغ بصر همتي عن مشاهدة كعبة حضرة ذي الجلال والجمال بل ما أقبلت على غير حضرة الاله على مقتضى قوله تعالى أينما تولوا فثم وجه الله اهـ ثم قال رضي الله عنه



❊أطعت غيّ الصبا في الحالتين وما ❊ حصلت الا على الآثام والندم❊

أي أطعت غيّ زمن الصبا وهو زمان الجهل والبطالة الداعي الى الهلاك في الحالتين حالة مدحي لغيره وخدمتي له وما حصلت منهما الا على الآثام والندم على ما صدر مني ولو صحبني التوفيق من أول الامر لكان ما صدر مني من شعر وخدمة له صلى الله عليه وسلم خاصة لكن التوفيق بيد الله تعالى يمنّ به متى شاء اه قسطلاني وفي أبي السعود والناظم تجاوز الله عنه وعن سائر المؤمنين والمؤمنات لما كان في عنفوان شبابه مشغولا بهذين العملين أعني العمل الديواني المشتمل على ديوان الوزارة وديوان الشعر ولم يكن من اشتغل بشئ منهما خاليا عن سنة الغفلة وسكر الهوى وكانت قد أخذت بضبعه العناية الازلية في آخر العمر الذي هو محل الانابة والاستغفار فانتبه من سنة الغفلة وأفاق من سكر الهوى ظاهر التحزن والندامة على ما ضيعه من رأس ماله الذي برّه به مولاه وجعل سفرته هذه من المبدا الى المعاد مناط الربح تجارته ومحلا لكسب معاملته فقال منتدبا اني أطعت داعي الضلال الذي هو غيّ الصبا ومقتضى سن الشباب من الميل الى اللذات والتقمص بالشهوات والرغبة في الفانيات عن الباقيات الصالحات في حالتي الوزارة التي وزرها يكلّ عن استقلاله كاهل الجبال والشعر الذي يعجز عن حمله قوى الرجال أو في حالة الشباب والكهولة فان الشباب شعبة من الجنون وقد يصدر من المجنون ما يخل بالانتظام ثم يستمر على ذلك الاستيلاء العادي الى سن الكهولة فيعسر ازالته في سن الشيوخة نعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسوء أعمالنا اه ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊فيا لخسارة نفس في تجارتها ❊ لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم❊

قوله لم تشتر الخ في معنى التعليل لما قبله فكأنه قال لانها لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم فما أعظم خسارة من عدل عن العظيم القدر الباقي الى الحقير الخسيس الفاني اه قسطلاني وفي أبي السعود ولما أعانته يد التوفيق وازاحته العناية عن طريق علائق التعويق استنجد قومه وعشيرته وأهله وقبيلته لاعانته على ما نزل به واغاثته على ما دهمه فناداهم مستغيثا بهم قائلا يا قوم احضروا وانظروا خسارة نفس دنية جاهلة بما يصلحها في تجارتها ومعاملتها في راس مالها التي آتاها اياه مولاها فلم تشتر ما هو عند الله خير وأبقى بما في يدها والحب يصرفها عن الحول والقوة والمال وما أشبه ذلك مما هو فان لا يبقى بل لم تتعرض لذلك ولم تطلب تلك السلعة الشريفة بذلك الثمن البخس بل كانت في معزل عن تلك التجارة ولم تحضر تلك المعاملة أصلا في ألما أو يكون المعنى يا خسارة احضري وانظري ما انا فيه من الحالة التي ترثي لها الاعداء وترق لها الخصوم فهذا أوان حضورك وابان حصولك فعسى ان ترفي



كما يرق العدو لعدوه عند مشاهدة سوء حاله وتكدر باله وتغير آماله اه ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊ (ومن يبع آجلا منه بعاجله * يبن له الغبن في بيع وفي سلم) ❊

أي ولا شك انه من يبع آجلا منه وهو نعيم الآخرة الباقي أبد الآباد الذي لا يفنى طول الآماد بعاجله وهو متاع الدنيا الفاني يبن له الغبن في بيع وفي سلم أي يظهر له الغبن في بيعه العاجل وفي سلمه وهو بيعه الآجل ويحتمل أن يكون في كلامه حذف معطوف وحذف قيد أي ومن يبع آجلا من متاع الآخرة بعاجله من متاع الدنيا أو يشتر عاجله من متاع الدنيا بآجله من متاع الآخرة يبن له الغبن في بيع وهي الحالة الاولى المصرح بها في كلام الناظم وفي سلم وهي الحالة الثانية المقدرة والظاهر ان ضمير منه عائد على قوله الدين في البيت قبله اه قسطلاني وفي أبي السعود ثم انه لما قال ما قال وظهرت عليه مخايل الجزع وأمارات الفزع في الحال والمآل قال ان هذا الحال ليس مخصوصا بي بين الرجال بل كل من بلى بمثل ما بليت به ووقع فيما وقعت فيه من اختيار العاجل على الآجل وايثار الفاني على الباقي والتوجه الى الفانيات الدنية الدنيوية والاعراض عن الباقيات الصالحات العلية الاخروية يظهر له الغبن في تجارته والغبن في فكرته فلا غرو يقع فيما وقعت فيه من الحسرة والندامة فالسعيد من يحصل له ذلك قبل يوم القيامة يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا فلم يغن عنه في ذلك اليوم نقيرا ولا فتيلا اللهم انا نسألك بحسن عنايتك أن تلبسنا ملابس هدايتك وتجعل لنا الى متابعة الرسول سبيلا ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين فانا لا نجد سواك في هذا الطريق دليلا وليس لنا غيرك حسيبا ولا كفيلا اه ❊ ثم قال رضي الله عنه

❊ (ان آت ذنبا فما عهدي بمنتقض ❊ من النبي ولا حبلي بمنصرم) ❊

أي ان افعل ذنبا بعد ما تقدم من التوبة والندم على الشعر والخدم بان عدت اليهما فما عهدي الذي التزمته من دين الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بمنتقض من النبي لان نقض التوبة بارتكاب الذنب لا ينقض الايمان ولا حبلي بمنصرم منه أي من دينه اه قسطلاني وفي أبي السعود لما جزعت نفسه مما قدمت يداه وفزعت كل الفزع مما فرطت في جنب الله أخذ في تسكينها من ذلك الاضطراب بما هو عدة لمؤمن يوم الحساب فقال ان حصل لي الخلل في الاعمال والزلل في الاقوال فان عهدي أعني الدين القويم والاعتقاد الصحيح المستقيم الذي

أخذه الله منى فى الازل او على رسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين غير منتقض وجل رجائى الذى هو محبتى وولائى له صلى الله عليه وسلم وولائى له وأصحابه ومتابعيه ومحبيه وكتابه المجيد وقرآنه العظيم الذى أشار اليهما صلى الله عليه وسلم فى قوله انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى حبلان متصلان لن ينقطعا حتى يردا على الحوض ليس بمنصرم ولا منقطع وانعم ماتوسل به الناظم رحمه الله تعالى فانه العروة الوثقى التى لا انصرام لها والحبل المتين الذى لا انقطاع له وكفاه فى ذلك حجة قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقوله صلى الله عليه وسلم لولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفرلهم اه * ثم علل رضى الله عنه ماذكره بقوله

*(فان لى ذمة منه بتسميتى * محمدا وهوأوفى الخلق بالذمم)*

أى لان لى ذمة منه صلى الله عليه وسلم بتسميتى محمدا كتسميته صلى الله عليه وسلم بذلك فاختيارى التسمية باسمه دليل على محبتى فيه فان أحدا لايتسمى باسم الا وهو يحبه أويحب من يتسمى به واذا ثبت لى منه ذلك مع عظيم جاهه وعلو مكانته عند ربه فلا أخاف وكيف أخاف أوابالى وهو صلى الله عليه وسلم أوفى الخلق بالذمم لانه عليه الصلاة والسلام قادر على تخليصه بالشفاعة التى أذن له ان يشفع بها فى محبيه المؤمنين وفى كلامه دليل على الترغيب فى التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى ذلك أحاديث فنها ما أخبرتنابه الشيخة الاصلية عزيزة المصرية اذنا ان لم يكن سماعا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقف عبدان بين يدى الله عزوجل فيأمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله عزوجل عبداى ادخلا الجنة فانى آليت على نفسى ان لايدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد وعن نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل وعزتى وجلالى لا أعذبن أحدا تسمى باسمك فى النار رواه أبو نعيم وعنه أبو على الحداد وعنه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسنده مرفوعا وقال متصل الاسناد وروى عن جعفر بن محمد اذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقومن من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ آخر ينادى يوم القيامة يامحمد فيرفع رأسه فى الموقف من اسمه محمد فيقول الله جل جلاله اشهدكم أنى قد غفرت لكل من اسمه محمد على اسم محمد نبيى" وعن أبى امامة رضى الله عنه قال من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا كان هو ومولوده فى الجنة

رواه صاحب الفردوس وابنه أبو منصور ورويناأيضاعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال مامن مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد ومحمد الا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين قلت وانا ولله الحمد لي منه صلى الله عليه وسلم ذمة بتسميتي أحمد كاسمه الشريف واسأله من فضله كما منّ عليّ بذلك ان ينظمني في سلك محبيه ووارثيه بمنه وفضله ورحمته اه قسطلاني وفي أبي السعود ثم انه رحمه الله تعالى اكد قواعد رجائه وشيد بنيان أمله بما يشد أزر ذلك الرجاء والامل ويقوي تلك الامنية ولو تعرّت من صالح العمل وهو أنه ساعده التوفيق الازلي والعناية الربانية بأن وافق اسمه اسمه عليه الصلاة والسلام وان لم يقرب مسماه من مسماه فانه قد دخل بذلك في ذمام لا تتطرق اليه يد الخذلان وحل في جوار لا تصل اليه أنامل العدوان كما نطقت به الاحاديث الصحيحة الصريحة التي في ايرادها برمتها في هذا المختصر نوع من التعسر لكن لا يسعنا ان نترك حميدكاتنا عاطلا عن التحلي بشئ منها فمنها ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاني جبريل فقال يامحمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك وعزتي وجلالي لا أعذب من سمي باسمك بالنار وعنه صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ينادي مناد في الموقف ألا من كان اسمه محمد فليدخل الجنة بلا حساب اكرامة سميه وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله ليوقف عبدا بين يديه اسمه أحمد أو محمد فيقول له عبدي ما استحيتني وأنت تعصيني واسمك باسم حبيبي محمد فينكس رأسه ثم يقول اللهم اني قد فعلت فيقول الله عز وجل خذوا بيد عبدي فأدخلوه الجنة فاني أستحي ان أعذب بالنار من اسمه باسم حبيبي وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام عن خوفه ورجائه فقال جبريل عليه السلام انهما كانا متساويين حتى رأيت ماوقع على عزرائيل بعد قربه فغلب خوفي على رجائي بعثت يامحمد ودعيت بمحمد الامين وكنت قد دعيت جبريل الامين فحيث منحت بهذه المنحة أعني مطابقة اسمي اسمك غلب رجائي خوفي اللهم انا نسألك ياامان الخائفين ويا أنيس المستوحشين وياصريخ المستصرخين ان ترزقنا الامن والامان اذا أزلفت الجنة للمتقين وبرّزت الجحيم للغاوين ببركة محمد الامين الذي أرسل رحمة للعالمين وان تميتنا على دينه ومحبته ومحبة آله الطاهرين برحمتك ياأرحم الراحمين اه ❁ ثم قال رضي الله عنه

❁ان لم يكن في معادي آخذا بيدي ❁ فضلا والا فقل يازلة القدم❁

أي ان لم يكن صلى الله عليه وسلم في معادي آخذا بيدي أي في يوم حشري مع سائر المخلوقات بأن يشفع في فضلا منه لا لسابقة مني استحق بها أخذه بيدي فان المنة



والفضل لله ولرسوله والا بالتنوين أى فضلا وعهدا فقل أنت يا من يصلح منه الخطاب بازلة القدم فى تلك المداحض أو يكون والا شرطا حذف فعله وجوابه لدلالة السياق والعقل عليه أى وان كان آخذا بيدى فى معادى فقل يا ثبوت قدمى وعلى هذين لا اشكال فى فهم قوله والا فانه لم يزل يستشكل ووجه الاشكال ان أصل الكلمة ان لا فادغمت النون فى اللام ومعناه ان لا يكن ماذكر فهى لرفع ما تقدم فان وقعت بعد الثبوت فهى للنفى وان وقعت بعد النفى كما هنا فهى للايجاب ثم قوله فقل جعله هذا المستشكل جواب قوله والا وقد كان الاخذ باليد فى قوله ان لم يكن منفيا فيجب ان يكون فى قوله والا مثبتا أى وان يكن آخذا بيدى فقل يا زلة القدم وهذا الاشكال فى استحالته وقيل الرواية فان يكن فى معادى وهذا بين لا اشكال فيه ان صحت اه قسطلانى

وقال العلامة السعد المراد من المعاد حالة الموت وما بعده وأخذ اليد عبارة عن النصر والامداد والادراك بالمعونة والرفع عند الحاجة والباء فى بيدى زائدة فضلا تمييز عن نسبة آخذا الى فاعله وزلة القدم عبارة عن الهلاك والشقاء وسوء الحال أما جواب ان لم يكن فيحتمل وجهين أحدهما أن يكون قوله فقل يا زلة القدم وجواب ان التى أدغم نونه فى لام لا محذوف أى وان كان آخذا بيدى لان نفى النفى اثبات فقل يا سعادة أمرك ويا طيب حالك والثانى أن يكون محذوفا أى فقل يا شدة الحال ويا سوء المآل ويكون قوله والا مع الشرط والجزاء تكرارا للشرط والجزاء السابق بالعطف وذلك لمزيد بيان تأكيد الحال والمآل ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون قوله والا تكرارا للشرط السابق ويكون لمجرد تأكيد الشرط فقط لمزيد تقرر الفرض المذكور بكلمة ان لا لان هذا الفرض مستبعد عنده لقوة حسن ظنه بالنبى الرؤف الرحيم صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لا يحتاج الى الجوابين لكون الشرط واحدا وهذا الوجه ألطف من الوجهين السابقين ولو قرئ الا بالتنوين والآل هو العهد يكون سالما لفظا ومعنى صحيحا ويكون المعنى ان لم يدركنى على مقتضى الفضل والعهد ولكن السماع والرواية بدون التنوين وأيضا فيه فرض ما يمتنع فرضه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم من ترك مقتضى العهد ومعنى يا زلة القدم أى يا قوم انظروا زلة القدم أو يا زلة القدم تعالى فهذا أوانك ويقصد بهذا تقرر الامر وتحققه اه ثم قال رضى الله عنه

﴿حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه ❁ أو يرجع الجار منه غير محترم﴾

أى انزه محمدا صلى الله عليه وسلم تنزيها من أن يحرم الراجى فيه مكارمه أو يرجع الجار

منه غير محترم فان قيل ما اعراب قوله حاشاه أن يحرم الراجي فالجواب ان حاشا وحاشاه وحاشا له وقد تحذف منه الالف فيقال حاش له اسم بمعنى المحاشاة وأما حاشا المستعمل في الاستثناء فهو حرف وقد يستعمل فعلا فالحرف يجر المستثنى والفعل ينصبه فان جعلنا حاشا في البيت اسما فيكون منصوبا بفعل مضمر وهو اسم واقع موقع المصدر أي احاشيه حاشاه والهاء في موضع خفض باضافة حاشا اليها وأن يحرم أصله من أن يحرم كما تقدم تقديره وحذف من ومحله بعد حذفها قيل نصب وقيل جر وعلى كل تقدير فعامله اما حاشا او العامل فيه المقدر وان جعل حاشي فعلا فهو فعل ماض والهاء مفعوله وأن يحرم فاعله والراجي مفعول يحرم ان بني للفاعل وقد نصب يائه ضرورة وان بني يحرم للمفعول فالراجي مفعول لم يسم فاعله وهو مرفوع وفاعل يحرم هو الله تعالى وعلى بنائه للفاعل ففاعله ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم اه قسطلاني وفي أبي السعود وهذا أي المعنى السابق في قوله يا زلة القدم وهو الندامة حيث لا يجدي الندم حال لا يحسن أن يرضاه المستجير من أحقر ذوي الجوار فضلا عمن هو حامي الديار رفيع المقدار عزيز الجار متحاش أن يذر نزيله مضاما متعال عن أن يترك جاره مستهاما قد فاق سائر أهل الآفاق في مكارم الاخلاق وأذاق كل من لسعته حية الذنوب شفاء الترياق فهو رحمة العالمين جار المستجيرين لن يضام من استجار بعلاه ولا يخيب من نزل بفناه فلا يمكن أن يرجع من أمل صيب سحاب عنايته خائبا ولا يتصور أن يؤب من توجه الى ماء مدين جوده ظاميا وكيف يخيب من أمل سيد الكرام أو يضام من نزل بحمى سيد الانام عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام على التواتر والتوالي والدوام في جميع الاوقات والايام والشهور والاعوام من هنا الى يوم القيام

أصبحت في جارك ياسيدي * والله قد أوصى بحفظ الجوار

ان كليبا قد حمى جاره * فكيف لا تحمي الاسور الكبار

* ثم استدل الناظم رحمه الله على قوة رجائه وأنه لا يخيب في ظنه بقوله

---

*(ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه * وجدته لخلاصي خير ملتزم)*

أي ومنذ زمان ألزمت ذات افكاري مدائحه في الدنيا متوسلا بها في مطالبي العظيمة كطلبي الخلاص من الداء الذي لا يقدر على رفعه الا الله ببركة محمد صلى الله عليه وسلم وجدته صلى الله عليه وسلم لخلاصي من جميع الشدائد التي تصيبني خير ملتزم بكسر الزاي وهذا الداء الذي أشير اليه هو سبب انشائه لهذه القصيدة فانه أصيب بفالج أبطل نصفه فعمل هذه القصيدة واستشفع بها ثم رآه صلى الله عليه وسلم في النوم فمسح



بيده الشريفة عليه فعوفي فلما استيقظ قال له بعض الصالحين اسمعني هذه القصيدة التي مدحته بها صلى الله عليه وسلم التي أولها أمن تذكر جيران فلقد سمعتها تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كالقضيب وفي قوله ألزمت افكاري جواز الحذف والتقدير كما تقدم ذات افكاري أي نفسي ومنذ مبني على الضم ومذ على السكون ويكونان حرفي جر بمعنى في فيجر مابعدهما ولا يكون الا زمانا أنت فيه نحو مارأيته منذ الليلة ومذ الليلة ويكونان اسمين فيرفع مابعدهما على التاريخ نحو مارأيته منذ يوم الجمعة أي أول انقطاع الرؤية يوم الجمعة أو على التوقيت نحو مارأيته منذ سنة أي أمد ذلك سنة ولا تقول منذ سنة كذا لانه لا يقع هنا الا نكرة وقال سيبويه منذ للزمان نظيرة من للمكان فقول الناظم رحمه الله تعالى ومنذ ألزمت فيه حذف اسم زمان مضاف للجملة الفعلية والعامل في منذ وجدت فهو متقدم في التقدير أي وجدته صلى الله عليه وسلم لخلاصي خير ملتزم منذ زمان ألزمت افكاري مدائحه وهي لابتداء الغاية لانها مع الزمن المعين غير المعدود تكون كذلك وان قدرت منذ حرفا فالزمان المقدر مخفوض بها وهي متعلقة بوجدت وان قدرته اسما كان مبتدأ وخبره اسم الزمان المحذوف اهـ قسطلاني وفي أبي السعود الالزام جعل الشئ لازما غير منفك والافكار جمع الفكر وهو اعمال القوة المفكرة لتدبير أمر من الامور ووجدته من الوجدان وهو أن يرى الرجل ضالته بعد طلبها والخلاص مصدر خلص يخلص بفتح اللام في الماضي وضمها في المضارع وهو أن يخرج الانسان من شئ تقيد به وخير ملتزم بكسر الزاي وهو الرواية كما قاله بعض الشراح أي خير من التزم بخلاص من التجأ اليه ولاذ في الشدائد به ثم قال المعنى لما قال ان جنابه الشريف وحماه المنيف صلى الله عليه وسلم متحاش عن أن يرجع من أمل كرمه محروما متجاف عن أن يؤب من رجا نواله ممنوعا متعال عن أن يعود جاره محروما من الاحترام مقدس عن أن يرجع من نيله صفر اليدين من الاعزاز والاكرام استشهد على تحقق هذا المعنى واستدل على صدق هذه الدعوى بأصدق شاهد واوضح دليل وهو عدم خيبة رجائه مع استحقاقه للنوال وظفره بمطلوبه مع عدم استعداده لاصلاح الحال فقال اني وجدته في جميع المدة التي ألزمت أفكاري فيها نظم لآلئ أوصافه الحميدة وفي جميع الاوقات التي صرفتها في نقد جواهر سماته السعيدة خير ملتزم التزم بحال اعتصامه للخلاص من الاهوال وأوثق مستمسك استمسك بأذيال كرمه للنجاة من بوائق الاعمال اهـ ❀ ثم قال رضي الله عنه

❀ ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ❀ ان الحيا ينبت الازهار في الاكم ❀

قوله تربت أى افتقرت أوخسرت ما كان بيدها امامن الاموال فى الدنيا واما من الثواب لاقتراف المعاصى فهو يشفع فيه ويدخله الجنة ان الحيا وهو المطر ينبت الازهار حتى فى الاكم التى يقال انها لاتقبل استقرار الماء لارتفاعها وسرعة انحداره عنها أى كما ان الحيا ينبت الازهار فى المواضع التى لا يظن نبته فيها كالاكم لعموم بركته فكذا هو صلى الله عليه وسلم لعلو منزلته وشرف قدره عند ربه تعالى ينيل الغنى من يظن أن لا يستغنى لشدة فقره وفاقته وهذا التشبيه انما هو على سبيل التقريب للأفهام وفى أبى السعود والغنى عدم الاحتياج وقد يطلق بمعنى الثروة واليد الجارحة وقد تطلق ويراد بها النفس وتربت بمعنى اشتد بها الفقر والفاقة والحيا بالقصر الغيث والازهار جمع زهر بسكون الهاء وفتحها وهو النور والاكم جمع أكمة وهى ما ارتفع من الارض ثم قال فهو الكريم الذى لا يحرم سائله عن سيب سحاب نواله فى عام الجدب ولو خلت راحتاه من أسباب الاستجابة عند الاستسقاء وهو الجواد الذى لا يخيب قاصده ولو افتقرت يمينه من يمن الوسيلة عند رفعها فى الدعاء ففيض جود جوده ليس مقصورا على من أصلح العمل واستعد لقبول الفيوضات وسح سحاب ديمة كرمه غير محصور على من تعرض لعارض وابله بالاستعداد لقبول الفتوحات فانى مع خوضى فى بحر الخطايا لم أحرم العطايا ومع اشتغالى عن التأهب لنيل افضاله لم امنع من سيب نواله قال

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عنى وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث ان جئته وافاك رائقه * وان ترحلت عنه لج فى الطلب

ولا غرو أن يشملنى بره العام ويصل الى احسانه التام مع كونى جديرا بالحرمان حقيقا بالنسيان فان الحيا اذا نزل بأرض قوم أنبت الازهار فى الاكام وان لم تمسك الماء كما ينبته فى الاجام التى هى مقر لما نزل من السماء كما ان ريح المسك قد ينشقه من يمر عليه غير مستقر فيه وضوء السراج قد يستضىء به من رام اطفاءه بفيه اه

❊ ثم قال رضى الله عنه

❊ ولم أرد زهرة الدنيا التى اقتطفت ❊ يدا زهير بما أثنى على هرم ❊

كانه رضى الله عنه قال انى لم أرد بمدحى له عليه الصلاة والسلام الثواب الاخروى ولم ارد بذلك زهرة الدنيا ونضارتها من المال وغيره التى اقتطفت يدا زهير الشاعر المشهور بما أثنى على هرم أحد اجواد العرب وهو زهير بن أبى سلمى بضم السين بن ربيعة بن رياح المزنى الشاعر المجيد من فحول شعراء العرب وهو أحد الشعراء الستة وهو أبو كعب وبجير ابنى زهير الصحابيين وابنه كعب هو القائل بمدحه صلى الله عليه وسلم

بانت سعاد * القصيدة المشهورة والشعر فيهم وراثة وكان زهير يمدح هرم بكسر الراء ابن سنان بن حارثة المرّى وكان هرم يصله بالصلاة الجزيلة الخارقة للعادات اهـ قسطلانى وفى أبى السعود الزهرة بفتح الزاى من كل شئ ما يروق الناظر وتعجب النفس منه وزهرة الدنيا مشتهياتها ولذاتها والاقتطاف الجنى وزهير هو ابن ابى سلمى الشاعر المشهور وهرم هو ابن سنان سيد غطفان ماتت أمه وهى حامل به وكانت أوصت فى نزعها أن شقوا بطنى وأخرجوا منها سيد غطفان قيل انه سمى هرما لانه مكث فى بطن أمه أربع سنين ثم قال ولما اعترف بعد استحقاقه لما نال بواسطته صلى الله عليه وسلم من الفوائد الدنيوية وكان ذلك موهما أن غرضه من نظم فرائده كما لانه وقصده من كتب قصائده صفاته اقتطاف زهرة الحياة الدنيا التى هى مطمح نظر مداح أهلها أزال ذلك التوهم بقوله لم أرد بمدحى تالك الحضرة العلية والسدة السنية حطام الدنيا الدنيئة كما هو دأب الشعراء والادباء من الاطراء على أهل الثروة والغناء كثناء زهير على هرم بن سنان لاجل ما كان يسدى اليه من الاحسان فان ذلك غبن فى المعاملات وخسارة فى التجارات فان الذكر الجميل نفع على مر الدهور وهو تجارة ان تبور وحطام الدنيا وان جل يمر مر الرياح وقلب اللبيب الى ما هو فان وان رق ولطف وشف لا يرتاح كما قال

تالله لا تشتهى نفسى وان تربت * فضول عيش البهاماتالت البهم
وانما تبتغى فضلا ومرحمة * تبقى اذا زالت الاموال والنعم

وروى ان ابنتى زهير وهرم اجتمعتا بعد موت أبيهما فقالت بنت زهير ان لك على فضلا كفضل أبيك على أبى فقالت ابنة هرم انما الفضل لابيك والعقل لابى فان أباك من على أبى بما هو باق على مرور الازمنة والدهور وأبى اسدى الى ابيك ما يمر كمر الحرور فابى قد اشترى الباقى بالفانى وابوك قد باع الباقى بالفانى فالفضل لابيك والعقل لابى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير عقبى اهـ * ثم قال الناظم رحمه الله بعد المدح على سبيل الالتفات عن الاخبار عن الغائب الى المواجهة له صلى الله عليه وسلم وأقبل بالخطاب عليه فقال اياك أعنى وأنت أردت

---

*(يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم)*
*(ولن يضيق رسول الله جاهك بى * اذا الكريم تحلى باسم منتقم)*

قوله العمم أى الطويل كربه الشديد مشقته وخطبه وقوله رسول الله منادى أى وان يضيق يارسول الله جاهك بى أى عنى أو بسببى فى كونى التجأت اليك فى التوسل بك لاستنقاذى مما استحقه من العقاب وذلك اذا الكريم سبحانه وتعالى تحلى بالحاء



المهملة أي اتصف باسم أي بمسمى منتقم وذلك حين يقع الانتقام من العصاة ويستشفع الى المرسلين فكل يقول نفسي نفسي وأنت صلى الله عليك وسلم تقول أمتي امتي فان قيل في كلامه اشكال كبير وقلق عسير لان قوله اذا الكريم تحلى يقتضي ان الكريم يتصف في الزمن المستقبل بمنتقم لان اذا للاستقبال ولان تحلى في حيزها والماضي الذي في سياق الشرط مستقبل المعنى فمعناه يتصف بالمستقبل وصفات الله تعالى قديمة لم تزل ولا تزال هذا هو الاشكال واما القلق ففي قوله باسم منتقم فان الاسم عند أهل السنة هو المسمى نحو سبح اسم ربك الاعلى أي ذاته فالكريم في البيت بمعنى المسمى واسم بمعنى المسمى أيضا ومنتقم أيضا بمعنى المسمى فيكون التقدير اذا اتصف المسمى الذي هو الكريم بالمسمى الذي هو اسم المسمى الذي هو منتقم وهذا قلق كما ترى وأيضا يؤذن كلامه باجتماع صفتي الفعل المتضادتين في وقت واحد فان المراد بالكرم التجاوز أو ما يتضمنه والمراد بالانتقام المؤاخذة بالذنب ولا يتأتى اجتماعهما في الوقت الواحد في المحل الواحد فالجواب اذا تقرر ان الكريم في وجه والمنتقم صفتان فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام كما ان الخالق من له الخلق والصفة الفعلية لا يرجع من معناها الى الفاعل معنى قائم به هذا هو الصحيح من مذهب أهل السنة وهو مذهب الشيخ أبي الحسن الاشعري ولذا قال أئمتنا رحمهم الله لا يتصف البارى تعالى بكونه خالقا في الازل الا مجازا وقال الشيخ أبو الحسن من أسمائه تعالى ما يقال انه غيره وهو كل ما دلت التسمية به على فعل الخالق وذهب بعض أئمة أهل السنة الى ان كل اسم هو المسمى بعينه فالخالق هو الاسم وهو الرب تعالى وليس الخالق اسما للخلق ولا الخلق اسما للخالق والمرضي طريقة الشيخ أبي الحسن نقل القولين الامام أبو المعالي في الارشاد وغيره فكلام الناظم على طريق الشيخ لا اشكال فيه نعم يبقى النظر في قوله تحلى فان معناه كما تقدم اتصف وقد سبق انه لا يرجع من الصفة الفعلية الى الفاعل معنى فيكون ضمن تحلى معنى دعي أي يدعى في ذلك المقام باسم منتقم وأما القلق فيزول اذا قلنا ضمن تحلى معنى دعي وبالجملة لو بدل هذه الالفاظ بغيرها لكان أولى فان المقام ضيق ويحتمل أن يكون المراد بالكريم والمنتقم جنس من اتصف ممن شأنه الكرم والتجاوز عن الهفوات بمدلول اسم منتقم أي تبدل صفاته من الكرم الى الانتقام والاخذ بالجرائم وذلك لما يرى من أهل الموقف فكل أحد في ذلك اليوم يشتهي ان يدور له الحق ولو على أبيه وابنه وأقرب الناس اليه ليستكثر به في استجلاب الثواب ودفع العقاب وعلى هذا الوجه يندفع الاعتراض الوارد على الوجه الاول اه قسطلاني وفي أبي السعود المعنى الاستغاثة بالغوث الذي هو

غياث المستغيثين الذى أرسل رحمة للعالمين والمتوسل به المذاهب ليوم يؤخذ فيه بالنواصي والأقدام ولا خلاص ولا مناص فيه من أطواق الآثام الا بعفو ذى الجلال والاكرام وشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام والمناداة له صلى الله عليه وسلم على سبيل التضرع والابتهال كما ينادي المستغاث عند حلول المكاره ونزول الاهوال بوصف يفيد تعليل صحة الالتجاء في المحن اليه واباحة الاعتماد في الاحن عليه وهو كونه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله فان الشفاعة لابد من وقوعها وعلى هذا لابد من شافع مشفع يؤذن له فيشفع وهذا المنصب مشروط بالكرامة منوط بالقرب والسلامة من الندامة يوم القيامة وهذا الشرط لاشك في تحققه فيمن هو أكرم الاكرمين وأشرف الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم هو الجدير بهذا المقام المحمود واللواء المعقود والحقيق بهذا المنصب الاسنى والدرجة العليا

اتته الشفاعة منقادة ❊ اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له ❊ ولم يك يصلح الا لها

ومن توسل به في هذا الامر الذى هوله وهو له فقد أعطى القوس باريها واسكن الدار بانيها ومن التجأ اليه في أمر هو متعين له ومهم لا يكتفي الا منه فلا يسعه عقلا ولا شرعا ولا عرفا أن يحرم من رجاه ويخيب من أمله في بلوغ مناه لاسيما اذا كان ذلك المقصود ممن تحلى بصفات كمالية ونعوت جمالية لم تجتمع لاحد غيره في مقام قد طم فيه البلاء وعم وكل فيه أمر النشأة الاولى وتم وانتصب من لا تخفى عليه خافية وهو يعلم السر وأخفى وهو على كل شئ قدير لما وعد وأوعد من الثواب والعقاب في الكتاب والحساب وليس لاحد من دونه من ولي ولا نصير بصفة الانتقام من العاصين متعلما بعلة الاثابة للمطيعين وفي هذه المقدمات التى أوردناها والتعليلات التى زبرناها ما يبرد غليل المذنبين ويسكن جزع الخاطئين عند التهاب نار الجزع بما قدمته الايدى من اكتساب السيئات واسلفته الجوارح من احتطاب الخطيئات اه ❊ ثم قال رضى الله عنه

❊فان من جودك الدنيا وضرتها ❊ ومن علومك علم اللوح والقلم❊

هو تعليل لما تقدم أى لان من بعض جودك الدنيا وكذا ضرتها وهى الآخرة والمراد نعيمها ومن بعض علومك علم اللوح والقلم قيل اللوح المحفوظ درة بيضاء طولها ما بين السماء والارض وعرضها ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت وقلبه نور فان قلت قولك ان من بعض علومه علم اللوح والقلم مشكل لان الله تعالى كتب في



اللوح علم الكائنات التي من جملتها الخمس التي استأثر الله تعالى بعلمها كما في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم خمس لا يعلمهن الا الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من المخلوقين لا يعلم هذه الخمس فكيف يتضمنها بعض علومه فيتعين أن يكون المراد باللوح والقلم في كلامه جنسهما من الالواح والاقلام التي تكتب فيها الخلائق علومهم فالجواب لا نسلم ان هذه الخمس مما كتب في اللوح المحفوظ اذ لو كانت مما كتب فيه لاطلع عليه بعض الملائكة المقربين عليهم الصلاة والسلام من شأنه أن يطلع على اللوح المحفوظ ولئن سلم انها فيه وان الله لم يطلع عليها أحدا وان كانت فيه فالمعنى وبعض علومك علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق اه قسطلاني قلت والتحقيق انه عليه الصلاة والسلام لم يفارق الدنيا حتى أعلمه الله بسائر المغيبات التي يليق علمها بالبشر ومن جملتها هذه الخمس فقوله فالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من المخلوقين لا يعلم هذه الخمس محمول على أول أمره صلى الله عليه وسلم كما نص على ذلك أئمة التحقيق وقد نبهنا في أغلب كتبنا نقلا عن محققي الائمة على ان اللوح والقلم والعرش والكرسي والسموات الاولى تفويض الامر في حقيقتها الى العليم الخبير لعدم نص صريح في تعيينها فنؤمن بثبوتها ووجودها ونفوض معرفة حقيقتها الى الله تعالى وفي أبي السعود والمعنى كيف يضيق جاهك يا رسول الله بمثل هذا الفقير الحقير الذي قد خلت يداه من نفس العمل والتطهير مع ان الدنيا وما فيها والآخرة وما احتوت عليه من العل ما أعد للمتقين هي بعض من جودك العميم وشيء من عميم كرمك يا كريم وعلمك قد أحاط باستحقاقي الشفاعة فان الصدقة والاحسان يتفاوت موقعهما بحسب شدة الفقر وقوة الحرمان فان المضطر المسكين أولى باحسان المحسنين وكيف لا تعلم حالي وتعرف فقري وقلة نوالي وعلم اللوح والقلم بمعنى ما هو مسطور في اللوح مما جرى به القلم بعض مما جرى فيه علمك وأحاطت به معرفتك وانما خص هذين الوصفين بالذكر لان اغاثة المضطر المستكين واعانة البائس المسكين موقوفة على هذين الوصفين فان المانع من الاغاثة والاعانة اما البخل واما عدم العلم بحال المستحق فاذا زال المانع وحصل المقتضي وجب صدور الفعل ثم قال ولا يبعد انه سبحانه وتعالى قد أطلع حبيبه صلى الله عليه وسلم على جميع ما هو مسطور في اللوح وقد جرى القلم به ولا شك انه صلى الله عليه وسلم قد تحلى بحلى المعارف الالهية من الصفات الربانية والاحوال القدسية مما لم يحط به اللوح ولم يجر عليه قلم ولا يعلم به ملك ولا يخطر بقلب أحد من بني آدم فيكون علم اللوح والقلم بعضا من علومه صلى الله عليه وسلم اه ولا يخفاك ما سبق غير مرة انه لولاه ما وجد لوح ولا قلم كما في الحديث القدسي لولاك لولاك لما خلقت الافلاك لا سيما وقد خلق

اللوح والقلم وسائر الافلاك من نوره صلى الله عليه وسلم فيكون علم اللوح والقلم من ضمن علومه صلى الله عليه وسلم * ثم أقبل الناظم رحمه الله على نفسه يخاطبها بتحقيق رجائه و يؤنسها الئلا تؤل بها شدة الخوف الى القنوط من رحمة الله تعالى فقال

* يانفس لاتقنطى من زلة عظمت * ان الكبائر فى الغفران كاللمم *

قوله من زلة أى من عفو زلة عظمت فان فضله تعالى عظيم وحلمه وعفوه عن الذنب عميم وان الكبائر العظام كالذى ارتكبته أنت أيتها النفس فى جانب الغفران منه سبحانه وتعالى كاللمم وهى صغائر الذنوب فانه وردانه تعالى يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فلذلك يعفو عن الكبائر ان شاء الله تعالى بفضله وكرمه وشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام وماذكره الناظم من أن الكبائر فى جواز العفو عنها كاللمم هو مذهب أهل السنة وهو الموافق للقرآن والحديث والدليل العقلى لانه تعالى لايجب عليه ثواب ولا يتحتم عليه عقاب فالثواب منه فضل والعقاب منه عدل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والاصل يانفسى مضافا الى ياء المتكلم وحذفت استغناء عنها بالكسرة اه قسطلانى وفى أبى السعود النفس تنقسم بانقسام المراتب الى مطمئنة وملهمة ولوامة وأمارة بالسوء وقد سلف القول فيها والقنوط هو اليأس من الرحمة والزلة الذنب صغيرا أو كبيرا واللمم مادون الفاحشة من صغار الذنوب والمعنى يخاطب النفس اللوامة فى مقام الحسرة والندامة على مافرطت فى جنب الله بارتكابها المعاصى واستهتارها بتبعات مااقترفته فى يوم يؤخذ فيه بالنواصى حتى أشرفت على مقام اليأس من رحمة رب العالمين وأوشكت أن تقع فى مهاوى القنوط من عفو رب العالمين نظرا الى عظم الخطيات وشدة السيآت قائلا لها ياأيتها النفس المغمورة فى بحر العصيان المنهمكة فى جدول الطغيان الكارعة من شراب الغفلة والسهو والنسيان المتقاعدة عن اطاعة الملك السلطان لاتقنطى من رحمة البر الرحيم ولا تجزعى مما دهاك من بوائق الذنب العظيم ولاتيأسى من روح رحمة أرحم الراحمين فانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وان ذنوبك وان عظمت وجمت وخطاياك وان كثرت وطمت فرحمة ربك أعظم وأوسع وعفوه أكبر وأرفع وعظائم الآثام وكبائر الذنوب بالنسبة الى الرحمة وسعة المغفرة مساوية لصغار الذنوب ومماثلة للمم من الخطايا فانه كما لا يعسر على قدرته وكرمه غفران الصغائر لا يعسر عليه التجاوز عن الكبائر اه * وكأن الناظم رحمه الله تعالى لما نهى نفسه عن القنوط قدر كأنها قالت له أنا لا أقنط من رحمة الله تعالى فان ذلك كفر ولكننى أخشى أن يكون حظى الذى أعطاه من الرحمة لايفى بتبعات ذنوبى لعظمها فأجابها بقوله

﴿لعل رحمة ربي حين يقسمها ❊ تأتي على حسب العصيان في القسم﴾
أي لعل رحمة ربي التي تنال العصاة للستر على ذنوبهم حين يقسمها جل وعلا اذا وزعت عليهم تأتي أقسامها في العظم والصغر على حسب أي قدر العصيان في القسم فمن حمل من آثام المعاصي حملا كبيرا يناله من أقسام الرحمة التي هي الستر شيأ كثيرا وقد اشتملت هذه القصيدة على أنواع التغزل وتوبيخ النفس والوعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم على اختلاف أنواعها ومدح القرآن ومدح الصحابة وذم الكفار وتوبيخ النفس أيضا والاقرار بالذنب وذكر معتصمه في الخلاص من الآثام اهـ قسطلاني وفي أبي السعود والقسمة جعل الشيء أنصباء كل نصيب لفرد من المقسوم عليهم وقد يراد التمييز بين الانصباء من غير اعطاء وحسب بفتح الحاء المقدار ومنه قولهم أحسنت الى فلان حسب الطاقة وأصله من حسب المال عده وحسب الرجل ما تؤثر آبائه لانه يحسب به من المناقب وقوله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى معناه ان الغني يعظم كما يعظم الحسيب وان المتقي هو الكريم لامن يجود بماله ويبذره ويخاطر بنفسه ليعد جوادا والقسم جمع قسمة والمعنى ومايدريك أيتها النفس لعل رحمة ربي عند القسمة يكون منها نصيب العاصي الذي هو صفر اليدين من الحسنات أكثر لان احتياجه اليها أوفر وعادة الكريم أن يرشد شديد الاحتياج بالاحسان ويخصه بمزيد من المنح بالنسبة الى سائر الاخوان والحكيم الذي لايسأل عما فعل جدير بأن يكون فيضه بقدر الاحتياج حقيق بكرمه أن يخص المضطر المسكين وقد تقرر أن الرتق على قدر الفتق والحكيم الحاذق يضع الهناء موضع النقب والراكب الحازم يشد الحزام موضع الحقب اهـ ❊ ثم ان الناظم رحمه الله ختم بالدعاء ثم الصلاة على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

﴿يارب واجعل رجائي غير منعكس ❊ لديك واجعل حسابي غير منخرم﴾
أي يارب حقق ظني واسمع دعائي واجعل رجائي غير منعكس لديك يوم القيامة حيث يكون الثواب والعقاب واجعل حسابي وهو ظني الجميل فيك أن تعفو عن زلاتي وتنيلني من فضلك ما أملته من كراماتك التي تكرمني بها غير منخرم ذلك الظن أي غير ناقص لديك بل أجده حسبما قدرته كما قال الآخر الذي غلب عليه الرجاء

وانى لارجو الله حتى كأنني ❊ أرى بجميل اللطف ما الله صانع

اهـ قسطلاني وفي أبي السعود يارب يجوز فيه الكسر على حذف ياء الاضافة كقوله تعالى رب اني وهن العظم مني فيكون منادى مضافا أو الرفع على انه منادى مفرد وقوله فاجعل يروى بالفاء فيكون الكلام متفرعا على قوله ان الكبائر في الغفران



كالملم أو على ما أظهره من الرجاء وطيب النفس في قوله يا نفس لا تقنطي ولعل رحمة ربي بالواو فيكون معطوفا على محذوف كما في قوله تعالى وإياي فارهبون وهذا انما يكون للمبالغة واظهار المغالبة في نيل المطلوب والتقدير حينئذ يارب اسمع دعائي واجعل رجائي غير منعكس والمعنى لما عنى نفسه المسيئة عما من شأنه أن يجعل ذريعة الى نيل المطالب ووسيلة لاقتطاف ثمار المآرب وهو الطمع في نوال الجواد الكريم وحسن الظن بعفو العفو الرحيم عقبه بالنداء والاستغاثة بان لا يرده خائبا غير مقضي المرام ولا يعكس رجاءه في اقتحام المضايق وازدحام الاقدام في يوم القيام بقوله يارب وسيدي وسندي وذخري ومعتمدي استجب دعائي و بلغني مناي ولا تجعل رجائي عندك معكوسا ولا أي رحمتك منكوسا واجعل ظني الحسن في جناب رحمتك غير منقطع وما ارتقبه من المغفرة والتجاوز غير ممتنع اه ❁ ثم قال رضي الله عنه

❁والطف بعبدك في الدارين ان له ❁ صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم❁

قوله في الدارين اي الدنيا والآخرة ان له أي لعبدك و يعني نفسه صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم أي متى تطلبه الامور المهولة ينهزم صبره ولا يثبت فيهلك وباللطف يندفع الهلاك اه قسطلاني وفي أبي السعود اللطف فعل الأصلح واللطافة ضد الكثافة واللطيف جاء منهما والاهوال جمع هول وهو الامر المخيف يقال هالني هذا الامر راعني وأخافني وهزمه أي حمله على الهزيمة وانهزم مطاوعه والمعنى والطف بي في الدنيا والآخرة فاني أنا عبدك الذي لا يقاوم صبره الاهوال ولا يثبت قدمه عند تغير الاحوال وتبلبل البال فانك عالم بضعف صبره عند قوة الشدائد وبانهزامه اذا دعته الاهوال بمقاومة المكايد وجدير بالكريم المنان الحنان أن يقبل عثرة من عيل صبره في مقام الجزع وأن يؤمن روعة من اشتد خوفه في حالة الفزع فانك كريم حليم رؤف عطوف اه عطف الله علينا قلوب أحبابه بجاه النبي وآله وأصحابه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ❁ ثم قال رضي الله عنه

❁وائذن لسحب صلاة منك دائمة ❁ على النبي بمنهل ومنسجم❁

قوله دائمة بالجر صفة لصلاة أي وسلام دائم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمنهل أي وأمر يارب سحائب الصلوات أن تمطر بنوع منهل من الصلوات أي منصب ومنسجم منها أي سائل وانما شبه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر لان الصلاة من الله على نبيه رحمة والمطر رحمة وأدخل بعضهم هنا بيتا حسنا لا بأس بادخاله وهو

﴿وآله الغرّ والصحب الذين علوا ＊ أهل الصفا والوفا والجود والكرم﴾
اه قسطلاني وفي أبي السعود الايذان الاعلام والسحب بضم السين وسكون الحاء جمع سحاب والصلاة الرحمة المقرونة بالتعظيم وسبق الكلام عليها مستوفى وانهلت السماء صبت واستهلت ارتفع صوت وقعها وانهلت العين جرى دمعها وانسجم سال والمعنى انه لما سأل ربه الكريم وطلب من مولاه البر الرحيم أن لا يعكس رجاءه فيما حسن ظنه فيه من غفر الذنوب وستر العيوب وأن يجعل انصباب رحمته بالنسبة للعاصين على حسب مراتب العصيان ومن المعلوم ان الدعاء موقوف حتى يشفع بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الكرام ختم دعاءه وقصيدته بالصلاة عليه عليه من الصلوات أزكاها ومن التحيات أنماها فقال أسألك يا داحي الارضين وماسكها بلا وتد وباسط السموات ورافعها بلا عمد أن تأمر سحب الصلاة التامات وتأذن لمزن التحيات أن تفيض شآبيب الروح والرضوان وأن تسبل أنابيب النور والمعرفة والعرفان على القلب الانور والقالب الازهر والجسد المطهر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اه ＊ ثم قال رضي الله عنه

﴿ما رنحت عذبات البان ريح صبا ＊ وأطرب العيس حادي العيس بالنغم﴾
ما رنحت أي أمالت عذبات شجر البان ريح صبا وهي الشرقية سميت بذلك لانها تقابل بهبوبها باب الكعبة فكأنها تصبو اليها وأطرب العيس حادي العيس بالنغم أي ائذن يا رب لهذه السحب أوان همعها ما بقيت الابل تساق فيحدوها الحادي وتطرب بحدائه ومعلوم ان هذين الامرين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا وللابل خاصية عظيمة في حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادي وذلك معلوم بالاخبار ومشاهد بالابصار وكلما كان الصوت أحسن كان طربها أكثر حتى انها تقطع المسافة الكثيرة في الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن حكمة العزيز القادر والعيس كما قال الجوهري رحمه الله تعالى بكسر العين الابل البيض يخالط بياضها شئ من الشقرة وانما خص البان والعيس لانهما من مألوفات الاحبة وهم العرب وتخصيص ريح الصبا أظهر في ذلك لصبوّها الى باب الكعبة أعظم مكان في البلد الذي هو مسقط رأس حبيبه وحبيب كل مؤمن صلى الله عليه وسلم كما خص بالذكر في أول بيت من هذه القصيدة محل الاحبة ليتطابق حسن الابتداء وحسن الاختتام في الدلالة على ان القلب معمور بذكر الاحبة أولا وآخرا ووسطا وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام وسماها بعضهم حسن المقطع وبعضهم حسن الخاتمة وهو في الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه لانه آخر ما يبقى في الاسماع وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به فان كان مختارا



جبر ماعسى أن يقع قبله من التقصير والاعمال بخواتيمها ختم الله تعالى لى ولوالدى ولمشايخى ولاحبائى وللمسلمين بخاتمة السعداء بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبى الله ونعم الوكيل واستودع الله نفسى ودينى وخواتيم عملى واحبائى وما أنعم به علىّ وعلى المسلمين فانه سبحانه وتعالى اذا استودع شيأ حفظه ونعم الحفيظ وفى أبى السعود ورنحه فترنح أى اطربه فهز عطفيه طربا وعذبات جمع عذبة بفتح الذال وهو الطرف اللطيف من الشئ الممتد والبان شجر لطيفة أغصانه والمراد بعذبات البان أغصانه وريح الصبا مهبها مطلع الشمس عند استواء الليل والنهار ويقابلها الدبور والطرب الخفة الحاصلة من الفرح المقتضى للحركة والاهتزاز وأكثره عند شدة الميل الى نيل مطلوب ولقاء محبوب والعيس بالفتح بياض البطن من الابل وبالكسر قيل كرائم الابل والنغم جمع نغمة وهى فى العرف مدة فى الصوت يقصد بها الاطراب وفى الاصل الكلام الخفى يقال نغم ينغم مكسورا ومفتوحا أى تكلم كلاما خفيا (والمعنى) فادم اللهم تلك الصلوات وأبق تلك التحيات ماهزت الصبا غصون البان وأطرب حادى الركائب بحداه الركبان يعنى ماحركت المحبة الالهية والارادة الربانية افئدة عشاق النور الجمالى وقلوب محبى الجمال الالهى وما أطرب بلبل بستان النبوة وخطيب نادى الفتوة جمال ركب السائرين الى الله وعيس سفر السالكين فى معرفة الله اهـ ولما من المولى القدير على عبده الذليل الحقير من فيض ساحة الكرم الربانية باتمام النفحات الشاذلية انهلت سحائب معانيها على أرض رياض مبانيها وأينعت بنفائس العلوم ثمارها وفاحت لمنتشق عبير الحقائق أزهارها وتدفقت حياض بدائع ألفاظها العذاب فملأ لسان حالها مافرطنا فى الكتاب لجمعها ماتشتت فى غيرها من بدائع التحقيق وماحوى غيرها من المحاسن المصطفوية من نصوص أهل التحرير والتدقيق فاذا بدا الانسان تلوا نجمه وحياتكم فيه الكثير الطيب أسأل الله العظيم متوسلا اليه بوجاهة وجه نبيه الفخيم أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وان ينفع بها النفع العميم شافعة فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم اللهم انك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها الينا فوصلنا الهدايا الهنا والسلامة من العنا نشهدها منك فنكون من الشاكرين ونضيفها اليك دون أحد من العالمين اللهم اجعلنا من المختارين لك لا علينا اذ الامر كله منك واليك اللهم انا اليك محتاجون فأكرمنا وعن القيام بشكرك عاجزون فألهمنا وهب لنا قدرة على طاعتك وعجزا عن معصيتك واستسلاما لربوبيتك وصبرا على أحكام الوهيتك وعزا بالانتساب اليك وراحة فى قلوبنا بحسن التوكل

علمك واجعلنا ممن دخل مدائن الرضا وكرع من تسنيم التسليم للقضا وألبس خلع التخصيص وذاق حلاوة الوصل بغير تنغيص مواظبين على خدمتك محققين بمعرفتك وارثين لسنة رسولك مقتبسين من نور بهجة خليلك الذي رقى من مدارج معارج رتب الكمال أعلاه وارتقى بشرفه الذاتي فوق العرش فنال من الدنو والمشاهدة والكمال ما لم ينله مخلوق سواه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وشرف وكرم وعظم ﷺ قال مؤلفه وكان الفراغ من تعليقه ظهر يوم الاثنين السابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة سبع وتسعين بعد المائتين والالف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وسلام على جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يقول مصحح طبعه ومحسن وضعه حسيب الجناب الحسيني الاسعد الفقير الى الله تعالى الحسيني محمد

بحمدك اللهم تستمد هنيء النفحات وبشكرك تستهل غيوث الهبات فالحمد لك ما درت سحائب كرمك والشكر لك ما ذرت شوارق نعمك والصلاة والسلام على عروس مملكتك وامام حضرتك الذي اخترته لقربك وخلعت عليه خلع حبك فهامت الافهام بمحبته حيارى وتاهت الاوهام بكاس غرامه سكارى فمن مترنم ببل غلة وجده بترشح من غير صفاته ومن واجم قصر لسانه عن أن يحوم حول كمالاته وعلى آله وصحبه ومحبيه وحزبه وبعد فقد تم طبع هذا الشرح بديع المثال الرافل في حلل الدلال المسمى بالنفحات الشاذلية بشرح البردة البوصيرية

صاغه اللوذعي رب المعالي ❁ غرة الحسن في جبين الليالي

سيد ماجد امام همام ❁ لوذعي شهم عديم المثال

كعبة المعتفي ثمال وفي ❁ مسعف من نحاه في كل حال

علم الفضل الذي تستخف دونه الاطواد ومنبع المجد الذي طاب ذكره في كل ناد الاستاذ الاعظم والملاذ الافخم استاذنا الشيخ حسن العدوي الحمزاوي وقاه الله جميع المساوي وكان تمام طبعه وزهو زهره وكمال ينعه بالمطبعة العامرة بالمحروسة مصر القاهرة تعلق ذي الجناب الافخم والكمال الاعظم الذي لم يزل باحتسابه على رحاب أهل البيت النبوي مهذبا مأنوسا المكرم الشيخ شرف موسى وذلك في أواسط شعبان المعظم من عام سبع وتسعين بعد الالف والمائتين من

هجرة الرسول الاكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ۞ ولما تهلل وجه تصنيفه وتبلج صبح ترصيفه وتأليفه قرظه شيخ مشايخ عصره وبركة أيامه ودهره حامل لواء الشريعة المحمدية وناصر السنة الاحمدية أوحد الفضلاء ومربي السادة الجهابذة النبلاء استاذنا الشيخ ابراهيم السقاء حفظه الله فقال

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد فقد اطلعت على بعض النفحات الشاذلية شرح البردة البوصيرية للهمام الامجد والامام الارشد فريد العصر ووحيد الدهر الفاضل الشيخ حسن العدوي الحمزاوي وقانا الله واياه الوقوع في المهاوي فحمدت الله على تلك النعمة وشكرته على هذه الهمة الشاهدة بأنه محب لاهل بيت النبي كما هو محب لحضرة الرسول الوفي

لك البشرى محب أي حب ۞ ففوزك ثابت يوم القيامه

أملاه الفقير اليه عز شأنه ابراهيم السقاء الشافعي بالازهر عفي عنه آمين

وقرظه أيضا مؤرخا عام تأليفه وطبعه عقد الكمال الفريد ودر الجمال الثمين النضيد خزانة الادب وريحانة العرب الفاضل الشيخ عبد المجيد الشرنوبي فقال

۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞

يا من توفيقك العباد لحمدك من باهر النفحات ۞ وارشادك المستهام لشكر افضالك من وافر الهبات ۞ ووفقنا لحمد ذاتك على جميل آلائك ۞ وجعلنا لشكر افضالك وجميع نعمائك ۞ وأسبغ جلابيب صلات الصلاة على الخيرة من خلقك ۞ من اطلع بعلمك على مكنون غيبك وجلس على بساط أنسك ۞ سيدنا محمد الذي آتيته سبعا من المثاني والقرآن العظيم ۞ وجبلته على محاسن الاخلاق فجاء وهو بالمؤمنين رؤف رحيم ۞ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه السادة الاعلام ۞ وجميع التابعين ومن تبعهم باحسان على تعاقب الايام ۞ وبعد فلما كان الحبيب المختار هو الواسطة لنا في كل نعمه ۞ والوسيلة العظمى في دفع كل كربة وغمه ۞ وكانت شجرة محبته تنبت ثمر الوصال ۞ وتقرب المحب من الحبيب حتى يبلغ بقربه الآمال ۞ تمسك بغصن هذه الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السما ۞ حضرة ذي المجد والافضال حسن الاسم والافعال من طاب أصله وسما ۞ وسقاها من ينابيع صفات الحبيب المحبوب ماء غير آسن ۞ وألف هذا الكتاب في شمائل انسان العيون فعد من أبهج المحاسن ۞ وكان جديرا ما قلت فيه ۞ وان كنت أضعف واصفيه

جاد الزمان وقد تحلى جيدنا ۞ بفرائد فاقت عقود جمان

وتطاولت أيدي المعارف وازدهت ۞ أنوار طه السيد العدناني

حيث الامام ابن الهمام اخوالبها ❁ حسن الثنا قدجاد بالاحسان
وأجاد فى سير البشير محمد ❁ وصفاته وكماله الانسانى
وافادنا بجوامع الكلم التى ❁ منه بدت كقلائد العقيان
لله يا عدوى يابحر الندى ❁ ماقد وصلت به الى الرضوان
فاهنأ بما تهوى فقد نلت المنى ❁ حاشا يفوتك سيد الاكوان
ولقد نسبت لاله بمحبة ❁ ظهرت بشائرها بكل لسان
لاغرو أن ألفت فى أوصافه ❁ وسموت فى شرف رفيع الشان
فهى العناية صادفتك فعندها ❁ ظهرت عليك مواهب الرحمن
لازلت فى الارشاد تبصرة الورى ❁ كنز المطالب فى رضى المنان

وانه لكتاب تعطرت المطابع بنفحاته الشاذلية ❁ وتجملت المحافل بما اشتمل عليه من البردة البوصيرية ❁ وقرت به أعين هذا العام ❁ لما ظهر عليه من بشائر النفع العام ❁ فانه جمع من الاحاديث النبوية مايقرب من ثلاثة آلاف ❁ واشتمل على السيرة المصطفوية من النور المحمدى الى النهاية مع مافيه من كمال الاوصاف ❁ وتلقته الافاضل بحسن القبول ❁ وصبا اليه نسيم الصبا والقبول ❁ فصاح العندليب ❁ وأنشد قول الحبيب

لم رأيتك قد لاحت عليه ❁ من المختار أنوار القبول

وقد تحلى بذكر مناقب آل بيت النبوة الذين تنزل بذكرهم الرحمات ❁ وتفصيل البراهين المتعلقة بكرامات الاولياء فى الحياة وبعد الممات

فكان كالروضة الغناء قد جمعت ❁ من زاهر الزهر باهى الحسن أنواعا

ولعمرى انه الشرح الشارح للصدور ❁ المغنى عن النظر لما سواه اذ هو من أهم الامور ❁ فانه جمع الفرائد فى عقد النظام ❁ فكان فريدا فى المحاسن كالبدر التمام ❁ به يتذكر من تذكر أو قرا ❁ كل الصيد فى جوف الفرا ❁ ولما لاح بدر تمامه ❁ وفاح مسك ختامه ❁ قلت مؤرخا عام الطبع والتأليف ❁ بقدر ماخطر على الخاطر الضعيف

نبهت الناظر من وسنى ❁ اذ وافانى باه وسنى
وأجلت الفكرة مجتليا ❁ نورا فى البصرة أطمعنى
وخلعت عذارى حيث بدا ❁ عذرى وعذولى يعذرنى
وأمطت الوهم عن الأذها ❁ ن وملت بعزمى عن وهنى
وكلفت بتهيامى لأرى ❁ رأيا من خل يسعفنى
وأتيت أسائل من نجد ❁ وأجوب الشام مع اليمن
وأقول علام أرى الأنوا ❁ رعلت وزهت فى ذا الزمن

وثغور الأكوان ابتسمت ❊ وتباهت أرجاء الوطن
ورياض الأنس شدت فيها ❊ ورق الإسعاد على فنن
فأجاب العارف قد ظهرت ❊ نفحات للولي الحسن
وبها نور المختار بدا ❊ وشمائله أصل المنن
فاسعد وانشق رياه تفز ❊ بكمال السعد بلا محن
وأدركأسا امتزجت بحديث جميل الخلق تسكرني
فحديث رسول الله له ❊ كأس في حان الصفو هني
ومن استحلاه وكرره ❊ فسينعم من محن الفتن
وأنا الراجي في منهاجي ❊ يوم الإفضال يكلمني
ويوافيني بالحب كما ❊ وافى العدوي على علن
حسن الإرشاد أبو الإمدا ❊ د ابن الإسعاد أخو الفطن
بحر الإفضال محب الآ ❊ ل أجميل الحال بلا وهن
ذخر الراجين لينجدهم ❊ ويدير الجاه بلا ثمن
ويرى جدوى الإحسان لهم ❊ وبهم ينحو أبهى سنن
ويقوم بواجبهم حتى ❊ يأتي بالنفل مع السنن
وعليه من التقوى حلل ❊ وجمال العلم عليه سني
لله محاسنه الغرا ❊ منها روض الآمال جني
عمت وزهت في هذا العصر فكانت روحا في البدن
وله التأليف به صارت ❊ أرجاء الكون تجاوبني
حتى عمت منه النفحا ❊ ت فقلدنا أبهى المنن
وسرور الأنس به أضحى ❊ بين الفضلاء يخامرني
لله كتاب منه بدا ❊ عن كثرة مدحي فيه غني
جلت أوصاف محاسنه ❊ وأزالت أنواع الحزن
وزهى بالطبع على الأكوا ❊ ن فحن إليه ذوو الشجن
وبآل البيت سما وعلا ❊ إذ صار على أعلى فنن
وحسين الفضل أبو الإسعا ❊ د أفاض الجود على السكن
ولسان الحال يؤرخ لي ❊ نفحات عمت من حسن
١١٨ ٩٠ ٥١٠ ٥٣٩ ٤٠
❊(١٢٩٧)❊

